

«سلسلة الروايات اليابانية»

امرأة

على الضفة المقابلة

ميتسويو كاكوتا

ترجمة:
أسامة منزلجي

ميتسويو كاكوتا

امرأة على الضِّفة المقابلة

ترجمة: أسامة منزلجي

مراجعة: د. خالد المصري

الطبعة الأولى 1432هـ 2011م

PL872.5.A3 T3512 2011
Kakuta, Mitsuyo, 1967
[Taigan no kanojo]
امرأة على الضفة المقابلة / تأليف ميتسويو كاكوتا؛ ترجمة أسامة منزلجي؛ مراجعة خالد المصري. -ط. 1.-
أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2011.
ص324 ؛ 14×21سم.
ترجمة كتاب: Taigan no kanojo
العنوان بالإنجليزية: Woman on the other shore
تدمك: 978-9948-01-982-4
1. القصص اليابانية -- القرن العشرون -- المترجمات إلى العربية.
2. القصص العربية -- القرن العشرون -- المترجمات من اليابانية. أ. منزلجي، أسامة. ب. مصري، خالد. ج. العنوان.

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الياباني:

Original title: Taigan no kanojo
Written by Mitsuyo Kakuta
Woman on the Other Shore

Originally published in Japan by Bungei Shunju, Tokyo

Based on the English translated edition, Woman on the Other Shore published by Kodansha International, 2007, translated by Wayne P. Lammers.

www.kalima.ae

ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ فاكس: 462 6314 2 971+



www.adach.ae

ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ فاكس: 059 6336 2 971+



امرأة على الضّفة المقابلة

مقدّمة

حازت رواية «**امرأة على الضفة المقابلة**» جائزة ناوكي عام 2005، وهي الجائزة الأدبية الأعلى مكانة في اليابان، وفي رصيد مؤلّفتها ميتسويو كاكوتا أكثر من اثنتي عشرة رواية وعددٍ من الجوائز الأدبية من ضمنها جائزة ناوكي الأدبية التي تمنح للأدباء الشبّان وجائزة فوجين كورون الأدبية.

ولدت الكاتبة في يوكوهاما عام 1967 وبدأت مسيرتها الأدبية وهي لاتزال طالبة في جامعة واسيدو. وإلى جانب أعمالها الروائية تكتب مقالات حول موسيقى الروك، وقصصاً مصوّرة، وتساهم في المجلات الشعبية.

في رواية «**امرأة على الضفة المقابلة**» نتعرّف إلى سايوكو، ربّة منزل في الخامسة والثلاثين ولها ابنة في الثالثة من العمر. زوجها لا مبال، وغامض، لا يظهر إلا في خلفية الرواية في معظم الوقت، وحماتها المتذمّرة دائماً ترمي سايوكو بكلام لاذع حول تربيتها لابنتها أو الطبخ. إنّ سايوكو عالقة في هذا العفن ولا تتوقف عن التساؤل: ***إلى متى ساكفُّ عن أن أكون المرأة العجوز التي أنا عليها؟***

عندما تقرّر سايوكو أخيراً أن تحدث تغييراً في حياتها، تواجه استنكار زوجها وحماتها، بالإضافة إلى تعاسة ابنتها. لكنها تشق طريقها باجتهاد وتجد عملاً في شركة صغيرة متخصصة بالسفر وبتنظيف المنازل تديرها امرأة أعمال جسور اسمها آوي.

آوي أيضاً في الخامسة والثلاثين، ولكن من دون العائلة والمسؤولية التي

تتحملها سايوكو في حياتها. في أول الأمر يبدو أن المرأتين مختلفتان تماماً ولا يجمع بينهما أي قاسم مشترك. ولكن مع تكشُّف أحداث الرواية ببطء وإماطة اللثام عن ماضي آوي ندرك شيئاً فشيئاً حجم التشابه الكبير الذي يجمع هاتين المرأتين: فكلاهما تنطوي على ذكريات مريرة في المدرسة، غير أن ماضي آوي أشد إيلاما، وحتى وهما في سنّ النضج لاتزالان تشعران بالضعف وبانعدام الأمان.

مع تقدُّم أحداث الرواية وتنامي الصداقة بين سايوكو وآوي تلقي أيضاً نظرة إلى الخلف نحو صداقة عهد المراهقة التي شكّلت شخصية آوي. عندما تتعرّض آوي للمضايقة في المدرسة تتنقّل بين المدارس والمدن على أمل العثور على بعض المواساة. في مدرستها الجديدة تقابل ناناكو، وهي فتاة تتنقّل بين الزمر المتباينة بحدَّة، وسرعان ما تعقد صداقة مع آوي.

خطّا الرواية هذان يجتمعان في الفصل الختامي. تتغيَّر سايوكو وتصبح أقوى وأشدّ ثقة في نفسها من ذي قبل. ونفهم شخصية آوي بصورة أفضل عندما ترفع القناع الذي تضعه لمواجهة العالم. وتزداد صداقتهما متانة بإيماءات بسيطة مع تفهُّم كل منهما الأخرى وتقبُّلها بشكل تام.

ما هي الحدود التي تكتنف حياتك؟ متى تجرؤ على تجاوزها؟ في رواية «امرأة على الضفة المقابلة» تتجاوز هاتان الشخصيتان، هاتان المرأتان الحقيقيتان جداً، الحدود لتكتشفا أنهما ليستا وحدهما؛ قد تفصل بيننا أنهار ولكن هناك أيضاً جسوراً تصل فيما بيننا.

هذه رواية مؤثّرة كتبت بأسلوب جميل، رواية خالدة من أوجه عدَّة، وعمل كلاسيكي في عالمنا المعاصر.

-1-

«متى سأكف عن أن أكون المرأة العجوز التي أنا عليها؟».

أجفلت سايوكو تامورا وأدركت أنّها شاردة الذهن تقلّب السؤال نفسه في رأسها مرة بعد أخرى، وارتسمت ابتسامة ملتوية على شفتيها. إنّ استمرارها في تقليب تلك الأفكار في عقلها يعني أنّ هناك شيئاً واحداً لم يتغيّر مذ كانت طفلة صغيرة. لقد أمضت طفولتها كاملة وهي تتساءل كيف ستكون حالها لو أنها شخص آخر. *«ماذا لو كنت يوكو محبوبة الجميع؟ ماذا لو كنت نيّنا المتفوقة؟»*.

كانت جالسة على مقعد في حديقة عامة تحت ظلال مجموعة من أغصان شجرة، حوّلت بصرها إلى ابنتها ذات الأعوام الثلاثة التي تلعب داخل صندوق الرمال، وهناك العديد من الأطفال في مثل سن أكاري في الحديقة العامة، وقد وجدوا جميعاً طفلاً آخر أو طفلين ليلعبوا معهم. لكن أكاري، كالمعتاد، كانت تقوم بجرف الرمال وحدها في الركن. فهل ستستمر في طرح السؤال نفسه على نفسها عندما تكبر قليلاً: *«ماذا لو كنت شخصاً آخر؟»*.

أخرجت سايوكو هاتفها المحمول من جيب بنطلونها الخلفي وهي تتنهّد. لم يظهر السجل رسائل لم تجب عنها، فاتصلت برقم منزلها لكي ترى إن كانت قد وصلتها رسائل إلى هناك. لا شيء. المكالمة التي كانت تنتظرها لم تصل بعد.

ولدت أكاري قبل ثلاث سنوات في شهر شباط. وبعد ذلك بستة أشهر، طبّقت سايوكو نصيحة مجلات الآباء التي تقرأ وباشرت باصطحاب ابنتها في

نزهات إلى الحديقة العامة القريبة من المنزل - عند الساعة المقترحة، مرتدية الملابس اللائقة. كان عليها أن تتعرَّف إلى أمهات أخريات لهن أولاد في مثل سنّ أكاري، بل وترتِّب للقائهن من أجل القيام بزيارات الفحص العام والتلقيح الدورية معاً. ولكن مع مرور الوقت، بدأت سايوكو تلاحظ أن هناك جواً من التآمر بين بعض الأمهات الشابات اللواتي يتردَّدن إلى الحديقة العامة. لاحظت أنهن يتبعن قياد امرأة بعينها، وعلى الرغم من أنهنَّ كنَّ حريصات على كتمان الأمر، تجنُّباً لتلقي أي ازدراء واضح، إلا أنهنّ في الواقع كنَّ ينبذن إحدى الأمهات الأخريات. ولما كانت سايوكو قد تجاوزت الثلاثين من العمر، بدا واضحاً أنها متقدمة في السن أكثر من غالبية النساء، فقد تقبلت فكرة أنهنَّ ربما يعتقدن أنَّها لا تناسبهن. وهذا لم يعن أنهنَّ كنَّ يعتقدن أنَّها سيئة، بل كنَّ يفترضن بصورة طبيعية أنَّ واحدة في مثل عمرها ستكون لديها وجهات نظر مختلفة وسيكون من الصعب الانفتاح نحوها. لقد كانت ردَّة فعل مفهومة تماماً في الواقع.

ومع ذلك، حالما أدركت سايوكو ما يجري، أصبحت فكرة الخروج إلى الحديقة العامة تبعث على الانقباض، وتخلَّت عن النزهات اليومية لبعض الوقت. لكنَّها سرعان ما بدأت تشعر بالذنب بسبب حبس ابنتها في المنزل طوال الوقت. شعرت بالقلق من أنَّه دون زيارات الحديقة العامة وفرص لقاء الأطفال الآخرين قد لا تنمّي طفلتها المهارات الاجتماعية التي تحتاج إليها.

وهكذا راحت سايوكو وأكاري في السنتين الأخيرتين تقومان ببطء بزيارة كل حديقة عامة تقع على مسافة يمكن قطعها سيرا على الأقدام من منطقتهما السكنية. وحالما تتردَّدان إلى الحديقة العامة (أ) مدَّة كافية تتكيَّف فيها سايوكو مع الآليات الاجتماعية للأمهات اللواتي كنَّ يجتمعن هناك، حتى تنتقلان إلى الحديقة العامة (ب). ولحسن الحظ، لم يكن هناك نقص في الحدائق العامة من

مختلف الأحجام ضمن نطاق منزلهما.

علمت سايوكو أنَّ الأشخاص الذين يتنقَّلون من حديقة إلى أخرى بهذه الطريقة يسمَّون «جوَّالة الحدائق العامة». غمغمت وكأنَّها تجد أعذارا لشخص في أثناء مغادرتها المنزل مع أكاري بحثا عن كل حديقة جديدة، «*لكنَّنا لا نتنقَّل بينها باختيارنا. إنَّنا فقط نحاول أن نعثر على حديقة يمكننا أن نشعر فيها بالألفة*».

كانت هذه الحديقة العامة بالذات، التي تبعد مقدار عشرين دقيقة مشياً من المنزل، أكبر الحدائق التي تردَّدتا إليها في تجوالهما، وتجذب حشدا أكثر تنوُّعا من تجمُّعات الأمهات الشابات التي تتميَّز بها الحدائق الأصغر حجما. هنا شاهدت آباء يدفعون عربات أطفالهم أمامهم، أو أناسا أكبر سنا يلعبون مع أحفادهم، وحتى الأمهات كنَّ أشدَّ تنوُّعا بكثير في السِّن والملبس. وليس هذا فقط، بل إنَّ البالغين كلَّهم تجاهلوا بعضهم بعضا، من باب الكياسة؛ ولم يحاول أحد قط أن يتحدَّث مع أيِّ شخص إلا عند الضرورة القصوى. ولما قرَّرت سايوكو أنَّها تفضِّل هذا الوضع، أخذت تواظب على جلب ابنتها إلى هنا منذ ستة أشهر.

طبعاً، حتى وإن كان البالغون ينأون بأنفسهم عن عقد الصداقات، فقد كان الصغار يقومون بذلك. وبينما الآباء يدفنون أنوفهم داخل الكتب أو يعبثون بآلات تصوير في مكان قريب، كان الأطفال يجتمعون معاً وسط الألعاب وينجذبون باطِّراد أحدهم نحو الآخر ويشرعون باللعب مع أطفال لم يروهم من قبل. وتنهمر الدموع بين حين وآخر بسبب نزاع حول دمية، ولكن حتى حينئذ يحاول البالغون جاهدين ألا يتدخَّلوا في النزاع. وكأنَّ ذلك قانون غير مدوَّن في تلك الحديقة.

توقَّفت أكاري برهة عن حفر الرمال بمجرفها البلاستيكي لتراقب فتاتين في مثل سنِّها تتظاهران وسط صندوق الرمال الكبير بأنَّهما أم وأب في أسرة. كانت

إحداهما ترتدي قميصاً رياضيا أحمر اللون، والأخرى ترتدي ثوباً طبعت عليه أزهار دوَّار الشمس، وكانتا تضحكان ضحكاً مكبوتاً وتثرثران حول مجموعة من أطباق بلاستيك ملوَّنة، ويتردَّد صدى صوتيهما رشيقاً في الجو. خطا صبي صغير مقترباً من الطرف البعيد لصندوق الرمال وراح يرمقهما كأنه يرغب في الانضمام إليهما. في أوَّل الأمر اكتفيتا بتبادل النظرات معه، ولكن بعد ذلك التقطت الفتاة ذات الثوب الموشى بأزهار دوَّار الشمس شوكة طعام وناولته إياها، محاكية بذلك ما بدا أنَّه سلوك أمِّها الأنيق.

تظاهرت سايوكو بأنَّها لا تراقبهم، وواصلت عينها المختلسة متابعة الثلاثة وسط صندوق الرمال وأكاري وهي تجرف الرمل وحدها في الركن. وكانت ترى ابنتها بين حين وآخر تلقي نظرة سريعة نحوهم، ومن ثمَّ تعود إلى الحفر.

غالباً ما كانت سايوكو تندهش من قدرة ابنتها على تقليدها. فمهما تبلغ شدَّة رغبة الفتاة في الانضمام إلى اللعب مع الأطفال، إلا أنَّها شديدة الحياء فلا تستطيع ببساطة الاقتراب منهم وتسأل إن كان في وسعها أن تلعب معهم. لذا تنتظر عن قرب، خجلة وآملة في أن تتلقَّى دعوة منهم. طبعاً، يندر أن يلاحظ الأطفال مثل هذه الأشياء، وعندما تعيد أكاري نظرتها الجانبية السريعة التالية سيكون الآخرون قد ابتعدوا ليلعبوا في مكان آخر. وبينما سايوكو تراقب عيني أكاري تتحرَّكان بسرعة جيئة وذهاباً، تتبيَّن دائماً فيهما حركات عينيها هي. هكذا بالضبط نظرت إلى الأمهات في تلك الحدائق الأخرى كلِّها، حيث كانت تجد صعوبة في التلاؤم. وفي كل مرة أدركت ذلك، انتابها إحساس عميق بالفشل كأم. وتمنت لو كانت أشدَّ ثقة بنفسها وأكثر انفتاحاً وتستطيع أن تفتح حديثاً سلساً مع أي شخص تقابله، متظاهرة بأنَّها لا تلاحظ الحواجز التي حاولت المجموعات أن تقيمها في وجهها، إذن لأصبحت أكاري حتماً طفلة أشدَّ ثقة بنفسها وأكثر انفتاحاً أيضاً.

فكرت سايوكو قبل ذلك بالعودة إلى العمل؛ وذلك في العامين الأوّلين من زواجها، قبل ولادة أكاري، وأيضاً في الأعوام الثلاثة التي مرّت حتى الآن. وبدلاً من أن ينتابها القلق طوال الوقت حول الحديقة التي سترتادها في المرة التالية، ربما ما احتاجت إليه هو أن تجد عملاً وأن تودع أكاري مدرسة حضانة. فمن المؤكد أنَّ ابنتها سوف تجد أصدقاء هناك أكثر مما فعلت وهي «جوّالة حدائق». لعلّها تتعلّم أن تكون اجتماعيّة أكثر. لكنَّ سايوكو استمرت في التردُّد. ***«أيُّ أمّ تلك التي تفضّل العمل وطفلتها في مثل تلك السّن الحسّاسة؟ مسكينة الطفلة التي تنتزع من أمها هكذا!»*** وراحت تختلق الأعذار لسلبيتها بتكرار الأقوال التي سمعتها من أمهات أخريات في الحدائق العامة ممّن يلزمن المنزل. لكنَّ السبب الحقيقي لتردُّدها يكمن في مكان آخر. فعندما رأت الزمر تتشكّل بين النساء الشابات في الحدائق العامة، تذكّرت جيداً سياسة المكتب التي سئمتها قبل أن تتزوَّج.

بعد أن تخرّجت في الجامعة، تولّت سايوكو عملاً مع موزّع أفلام، لصالح شركة كانت معروفة بمنحها الموظفين الجدد انفتاحاً كبيراً من الحرية والمسؤوليات منذ اليوم الأوّل. وقد استمتعت بالعمل بحد ذاته، وأحبّت أيضاً ثقافة الشركة السهلة إذ لا يتوقّع من المرؤوسين أن يكونوا رسميين كثيراً مع رؤسائهم. ولكن مع مرور الزمن ظهرت التوترات التي لم تكن واضحة في أوّل الأمر على السطح. فقد وضعت عضوات معيّنات من الهيئة المؤلّفة دائماً الإناث ضمن دائرة لا نهاية لها من التهم الصغيرة والاتّهامات المضادة من قبل العاملات المتعاقدات - حول من المسؤول عن توفير القهوة والشاي المثلّج؛ وحول الوقت الذي تستطيع فيه العاملات المغادرة في آخر النهار؛ وحول اللباس الرسمي؛ والحفاظ على خصوصية مرحاض السيدات. فإذا حاولت أن تنأى بنفسك عن المناظرة، سواء بمعاملة الجميع بلطف أو بتجاهل

الجميع، سرعان ما تجد نفسك محطّ إزعاج الطرفين. ويتطلّب منك جهداً جباراً للمحافظة على المسافة الصحيحة من الطرفين المتنازعين، وفي الحقيقة لقد بذلت سايوكو مقداراً هائلاً من الطاقة في محاولتها فعل هذا بالتحديد. ولحسن الحظ، في الوقت الذي بدأت فيه تسأم تماماً الضريبة التي كانت تدفعها جرّاء ذلك، سألها صديقها، شوجي تامورا، الزواج في الوقت المناسب. ووافقت على الفور، وبالسرعة نفسها قدّمت استقالتها للشركة. من الواضح أنَّ شوجي لم يكن سعيداً جداً بهذا – كان قد افترض أنَّ سايوكو ستستمر في عملها حتى بعد أن تتزوَّج – لكنَّها تظاهرت بأنَّها لم تلحظ ذلك.

قبل نحو شهر من الآن فتحت سايوكو الموضوع أخيراً مع زوجها.

«كنت أفكِّر في العودة إلى العمل».

أجابها بشرود: «طبعاً، ولم لا؟»، من دون أن يزعج نفسه حتى بسؤالها عن الدافع وراء قرارها. وأدركت سايوكو أنَّه يعتقد أنَّها ليست جادَّة، وأنَّها فقط تجهر بنزوة عابرة.

لكنَّ سايوكو كانت جادَّة بكل معنى الكلمة. لقد اشترت مجلات إعلانات الوظائف وتفحصت القوائم، بحثاً عن أيِّ شيء يقول: «الخبرة غير ضرورية. نقبل ربّات البيوت». وذهبت لتجري عدداً من المقابلات وفي كل مرة كانت ترفض، لأسباب متنوعة. وفي كل موعد تذهب إليه تضطر إلى ترك أكاري مع حماتها، التي كانت دائماً تلقي عليها بملاحظة خسيسة أو اثنتين. لكنَّ سايوكو كانت ترفض أن تسمح لتلك الملاحظات المزعجة المتكرّرة بالنيل منها؛ وإذا انزعجت، تصبح أشدَّ عزيمة من ذي قبل في أثناء تفتيشها عن الإعلانات وإرسال طلبات الوظائف.

الآن تلقي نظرة أخيرة على شاشة الهاتف الخليوي قبل أن تعيده إلى جيب بنطلونها الجينز الخلفي. أمالت رأسها إلى الخلف ورفعت بصرها إلى السماء.

ما وراء أوراق الأشجار المترنّحة فوق الرؤوس امتدت مساحة نقيّة من الزرقة اللازوردية.

كانت المرأة التي أجرت معها المقابلة قبل يومين قد أخبرتها بأنّها ستعود إليها اليوم. وعلى الرغم من السلسلة الطويلة من ردود الرفض حتى الآن، إلا أنَّ سايوكو تمنت في أن يكون الردُّ هذه المرة مختلفاً. في الواقع، كانت في سرّها تعتمد عليه. ليس فقط لأنَّ المرأة في مثل سنِّ سايوكو، بل لأنّهما درستا في الجامعة نفسها. وبما أنّها كانت جامعة ضخمة وتضمُّ عدداً هائلاً من الطلاب، فليس مستغرباً أن يلتقي المرء بزميل له في الدراسة، غير أنَّ هذه المرأة تصرّفت وكأنّها عثرت على صديقة طال غيابها.

أشرقت قائلة: «أتصدقين هذا؟»، وكأنّها مازالت طالبة، «فقط تصوّري كم مرة مرَّت إحدانا بالأخرى! من تحت أشجار غينكو من جهة البوابة، كما تعلمين، أو في إحدى قاعات الطعام».

الأطفال الذين كانوا يؤدون دور الأسرة وسط صندوق الرمال تحولوا الآن إلى لعبة البيع في الدُّكان، يهتفون البائع وفي أصواتهم خنّة.

«أريد فقط نصف تلك الملفوفة».

«هل لك أن تنظّف لي هذه السمكة، من فضلك؟».

رأت سايوكو ابنتها تراقب ما يحدث عن كثب من زاوية عينها. وفجأة نظرت أكاري ناحيتها، وفي عينيها التماس – من الواضح أنّها تتمنّى من أمّها أن تساعدها. أشاحت سايوكو سريعاً بعينيها بعيداً. لقد تمزّق قلبها، لكنّها أرادت من أكاري أن تتعلّم وحدها كيف تعقد الصداقات.

بعد مضي بضع دقائق، نهضت الفتاة ببطء واقفة على قدميها، والرمل عالق بثوبها. وخطت، وتعبير من التصميم المتجهّم على وجهها، نحو الأطفال الذين يلعبون لعبة الشراء من الدُّكان. بدا الثلاثة منهمكين في تقسيم الأغراض

فيما بينهم وتقرير ماذا ستحتوي لعبتهم.

قال أحدهم: «حسن، سوف نستخدم هذه كنقود. ولكن ليس هذه. هذه ليست نقودا».

عندما وصلت أكاري إلى القمة حيث كانوا يلعبون، رفعت مجرفها ودلوها المملوء بالرمل لتلفت انتباههم. ولكن سواء ألاحظوها أم تجاهلوها عمداً، لم يرفع أحدهم نظره إليها. تلكّأت قليلاً في مكانها، ولكن عندما أدركت أنّهم لن يطلبوا منها أن تنضم إليهم، رمت المجرف والدلو بحركة سريعة. على الأرض، تناثر الرمل ووصل بعضه إلى رأس الصبي الصغير. فانفجر بالبكاء.

قالت سايوكو: «أوه يا إلهي»، واندفعت إلى جوار الصبي وراحت تنفض الرمل عن شعره: «أنا آسفة جداً، آسفة جداً».

راقبت أكاري ما يجري وهي على بعد بضع خطوات. كانت هي أيضاً على شفا البكاء.

اقتربت امرأة شابة تعتمر قبعة وهي تبتسم. قالت: «لا بأس. سيكون على ما يرام»، ثم التفتت نحو ابنهاوقالت: «اجلس الآن، وابتسم. لا تتصرّف كالطفل الباكي. أنت تخيف أصدقاءك».

تبادلت رفيقتاه النظرات ثم استدارتا لترحلا.

قالت سايوكو بحدَّة: «تعالي إلى هنا، أكاري. يجب أن تعتذري. ماذا دهاك – لماذا رميت الدلو هكذا؟».

ندمت على نبرة صوتها حتى قبل أن تخرج الكلمات من فمها. لماذا تدع مثل هذا يحدث دائماً؟ كانت تعلم أنَّ هذا التصرف غير منصف لأكاري، لكنها بصورة ما لم تتمكن من كبح نفسها. لقد ثار سخطها عندما رأت ابنتها تواجه مشاكل في عقد صداقات حتى أنَّ خشونة غير مقصودة تسللت إلى صوتها.

قالت بنبرة أرقّ: «لا تبتئسي، يا حبيبتي. دعينا فقط نقول لأصدقائك الجدد إنَّك آسفة، اتَّفقنا؟». التفتت نحو الصبي وأمه، لكنَّهما كانا قطعا نصف المسافة عبر صندوق الرمال نحو الجهة المقابلة.

«حسن، ربما حان الوقت لنذهب إلى السوبر ماركت ومنه إلى المنزل. لقد تذكَّرت أمك أنَّها نسيت أن لديها غسيلاً».

أخذت سايوكو الدلو والمجرف وأمسكت بيد أكاري وعادتا إلى المقعد.

في السوبر ماركت، امتطت أكاري مقدمة عربة المشتريات في حين دفعتها سايوكو جيئة وذهاباً بين الأروقة شبه الخالية. كانت أسعار لحم البقر المفروم قد انخفضت، لذا قرَّرت أن تصنع شطائر من شرائح اللحم على العشاء. وبينما هي تستعرض الأسعار في أثناء مرورها، أضافت السبانخ، والجزر، والبيض إلى العربة، ثم تذكَّرت أنَّه ليس في حوزتها مُطرٍّ للأقمشة فتوجهت نحو رواق مواد الغسيل.

مالت أكاري نحو الخلف لتسأل عن أفضل أنواع اللبن الرائب. «هل لدينا من نوع ميل–ميل، ماما؟ هل اشتريت ميل–ميل؟».

قالت سايوكو بشرود وهي تتفحص الأسعار على أنواع المُطرّيات المتعددة، «نعم، يا عزيزتي». انتقت العبوة الأقلَّ تكلفة التي يمكن إعادة ملئها من جديد، حتى عندما كانت تعاود النظر إلى المنتج ذي الماركة الشهيرة الذي يكلِّف ثلاثة أضعاف.

قبل شهر، عندما قرَّرت أخيراً أن تعود إلى العمل، كان دافعها إلى ذلك شيء تافه جداً: بلوزة معلَّقة في واجهة محل تجاري. فبينما كانت تتسوَّق في كيتشيجوجي، رفعت الرقعة عن قطعة لفتت نظرها، ووجدت عليها سعر 15800 ين. وبينما هي تتأمَّل الرقعة، أدركت أنَّه ليست لديها أدنى فكرة إن كان هذا السعر عالياً أو منخفضاً. طبعاً كان أكثر بكثير مما دفعت مقابل قمصان شوجي،

وسوف يتسبب حتماً في خلل كبير في ميزانيتهما الشهرية. ولكن ما هو موقعه في خزانة ملابس نموذجية لامرأة في الخامسة والثلاثين من العمر؟ ماذا تتوقّع امرأة في مثل سنِّها أن تدفع مقابل بلوزة جيدة الصنع في هذه الأيام؟».

أذهلها أن تكتشف أنّه ليست لديها أدنى فكرة. وبينما هي تفكر في هذا، بدا أنَّ كلَّ شيء ينهار معاً: تجوالها في الحديقة العامة، هرباً من سياسة الأم الشابة التي أرادت أن تنفصل عنها؛ وسخطها من أكاري التي أرادت أن تحذو حذوها البائس باللعب وحدها؛ وعجزها عن تحديد السعر السائد لبلوزة أنثوية. أليست كلها تتصل بخيط واحد؟ إذا عادت إلى العمل، فسرعان ما ستتعرّف على أسعار الملابس، ولن تضطر إلى القلق بشأن الخروج إلى الحديقة العامة، وسوف تقلُّ المناسبات التي تعنّف فيها أكاري. واقتنعت سايوكو بأنّ العودة إلى العمل ستحل المشاكل كلها.

«ها قد انتهينا من التسوُّق، والآن ليس أمامنا إلا أن نهرع إلى المنزل لكي تبدأ الماما بغسل الملابس». هذا ما قالت سايوكو بصوت رتيب وهي ترفع كيس البقالة بيد وتمسك بيد أكاري بالأخرى. وقرَّرت أنّها إذا لم تسمع نبأ طيباً بشأن تلك الوظيفة مع نهاية النهار، فستبتاع مجلة إعلانات وظائف أخرى غداً.

انطلقت سايوكو وأكاري في طريقهما إلى المنزل وهما تؤرجحان ذراعيهما اللتين تشكلان قوساً واسعاً بينهما.

كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة بقليل عندما رنَّ جرس الهاتف أخيراً. كان شوجي في المنزل، يشاهد مباراة بيسبول، لكنّه لم يحرِّك ساكناً للنهوض عن الطاولة.

هتفت أكاري من موقعها على الكرسي العالي «مااااماااا، الهاتف!»، فهرعت سايوكو قادمة من المطبخ لتردَّ عليه.

«ألو؟».

«أوه، مرحباً، سيدة تامورا»، وصلها صوت امرأة تبدو مرتاحة جداً، «معك آوي ناراهاشي، من شركة بلاتينوم بلانت. شكراً لك لأنك أتيت في ذلك اليوم».

فوجئت سايوكو. كانت قد يئست من تلقّي أي مكالمة.

تلعثمت قائلة وهي تميل عميقاً نحو الهاتف، «لـ – لا أبداً. كان من دواعي سروري».

« أودُّ أن أمنحك الوظيفة، وأتمنى أن تقبليها».

«أو، يا إلهي! أقبلها! هل أنت جادَّة؟».

ألقى شوجي نظرة خاطفة إليها.

«ولكن، مع ذلك، وقبل أيِّ شيء، أعتقد أنَّني في حاجة إلى أن أخبرك أكثر عن طبيعة العمل بدقة. لقد انتابني قدر من القلق في المرَّة السابقة خشية أن أكون قد أعطيتك الانطباع الخطأ. فإذا قرَّرت بعد معرفة التفاصيل كلها أنَّه لا يصلح لك، أرجوك لا تترددي في الرفض».

سمعت سايوكو صوت موسيقى عالية قادمة من الخلف، ومن ثمَّ ارتفع صوت يحاول أن يكون مسموعاً فوق الضجيج. وتصورت أنَّه الصوت العالي في الخلفية الذي يتردد صداه وسط المكاتب المزدحمة التي قامت بزيارتها قبل يومين.

«أنا واثقة من أنه لن تكون هناك مشكلة».

«على أيَّة حال، هل أستطيع أن أطلب منك أن تأتي إلى المكتب مرة أخرى؟ غداً إذا أمكن، أو بعد غد إذا كان هذا أفضل. في أي وقت يناسبك».

قالت سايوكو بلهفة: «غداً سيكون مناسباً جداً. أستطيع أن أصل إليك بعد الظهيرة بقليل».

«عظيم! أراك غداً إذن»، قالت السيدة هذا، وأغلقت الخط.

أعادت سايوكو السمّاعة إلى مكانها بتأن شديد ثم هتفت: «لقد نجحت!».

التفت شوجي إليها وقال: «ماذا؟ من كان المتكلّم؟» كانت عيناه قد عادتا من جديد لمتابعة ما يجري على شاشة التلفاز.

ردَّدت أكاري: «من كان المتكلِّم، ماما؟»، وهي ترفع شوكتها الدمية بيد مغطّاة بالأرز.

«أتذكر ما كنت أقول في الشهر الفائت عن عودتي إلى العمل؟ لقد تلقَّيت الآن وظيفة! في الواقع بدأ القلق ينتابني من احتمال عدم حصولي على أي عمل. على أيّة حال، إنَّ صاحبة العمل في مثل سنّي، وقد اتَّضح أنَّنا درسنا في الجامعة نفسها معاً، على الرغم من أن لم تكن تعرف إحدانا الأخرى. إنَّها شخصية واقعية وودود، والشركة صغيرة ولكنَّ جوَّها المريح أعجبني. لقد غبت عن العمل مدة خمس سنوات، لذا أعتقد أنَّ مكاناً صغيراً كهذا قد يكون هو المناسب. خاصة وقد شعرت أنَّني أصبحت على صلة طيبة بصاحبة العمل».

استمرَّت سايوكو في الثرثرة، ثملة من فرط الإثارة، وهي تحمل وعاء السلطة إلى طاولة المائدة وتعدُّ الأطباق عليها.

كانت مكاتب شركة بلاتينوم بلانت تشغل ما كان ذات يوم شقَّة تتألَّف من غرفتيّ نوم في الطابق الخامس من بناء قديم متعدد الاستعمالات يقع بالقرب من محطة أوكوبو على خط سوبو. إحدى غرفتي النوم مملوءة بطاولات المكاتب من أجل الموظفين؛ والأخرى، وهي غرفة تاتامي– مات تقليدية[1]،

---

(1) غرفة تاتامي–مات: غرفة يابانية تقليدية مكسوة أرضيتها بأوراق الأسل الأسطوانية الطويلة. – المترجم

وفوق ممر الباب هناك رقعة معدنية تعلن بشيء من الفخامة «مكتب الرئيس». وهاتان موصولتان مباشرة بغرفة أكبر مساحتها حوالي أربعة أمتار في خمسة، وكانت في الأصل غرفة الطعام. الفوضى تعمُّ المكان كلَّه، لكنَّ الغريب في الأمر، وعلى الرغم من الفوضى السائدة، شعرت سايوكو بألفة شديدة في خلال إجراء المقابلة. وقد فوجئت بأنَّ صاحبة العمل صريحة، وفي أثناء إجراء المقابلة كانت غرفة الموظفين تضج باستمرار بالضحك، حيث تعمل نساء عدة على مكاتبهن. وتذكَّرت سايوكو أنَّها قالت في نفسها: «*هذا عظيم. لن أضطر إلى القلق من تشكّل الزمر والمواجهات والاغتياب الصبياني. هذا لا يحدث بين عدد قليل من الناس، ومع رئيس سهل العريكة كهذه*». لقد كان الجو العام أشدَّ الأماكن التي ارتادتها بهجة.

ألقى شوجي نظرة سريعة أخرى ناحيتها. بدا مندهشاً من شدَّة حماسها. قال بفتور وهو يعيد النظر إلى شاشة التلفاز: «يبدو الأمر رائعاً. ولكن ماذا عن أكاري؟».

انتصبت أكاري لدى ذكر اسمها. ردَّدت: «ماذا عن أكاري؟».

«يمكنها أن تذهب إلى مدرسة الحضانة».

لم يقل شوجي شيئاً وهو يضع بعض السلطة في طبقه.

تابعت سايوكو قائلة: «لقد فكَّرت ملياً في الأمر. أعلم أنَّ هناك أشخاصاً يعبِّرون عن رثائهم للأطفال الذين يلتحقون بمدرسة الحضانة، بمن فيهم أمك. ولكنَّني لا أفهم كيف يمكن ألا يكون أمراً جيداً لأكاري أن تلعب مع المزيد من الأطفال في مثل سنِّها. بالإضافة إلى أنَّه ستترتَّب علينا مصروفات جديدة من أنواع شتى مع تقدُّمها في السن. بل منذ الآن، في الواقع –».

قاطعها شوجي: «ماذا سيكون عملك بالضبط؟».

«يقول الإعلان عاملة تنظيف».

«تنظيف؟».

«لكنها وكالة سفريات من نوع ما».

«وما معنى هذا؟».

«أعتقد أنّني سأعرف المزيد غداً. أوه، تذكّرت، سوف أحتاج إلى أمك لكي ترعى الطفلة من جديد. هل لك أن تتصل بها، يا عزيزي؟ سوف أتحدّث إليها حالما تصبح على الخط».

كان شوجي مواظباً على متابعة المباراة في أثناء الحديث. وهتف لدى سماع صوت المضرب: «رائع!».

قالت سايوكو في سرّها: *«عظيم، إنّه يهتم بالمباراة أكثر من اهتمامه بعودتي إلى العمل بعد توقف استمرّ خمس سنوات»*.

قال سوجي بشرود: «حسن، كما تشائين». بقيت عيناه مثبّتين على شاشة التلفاز: «لكنك متوقّفة منذ وقت طويل، لذا تمهّلي في أول الأمر».

عبّرت أكاري المبتسمة عن بهجتها: «مرحى لماما!»- على الرغم من أنّها لم تكد تفهم سبب حماس أمها.

«شكراً لك يا حبيبتي. إليك هذه القبلة الكبيرة!»، وأحاطت سايوكو عنق أكاري بذراعيها وقبّلتها بصوت مسموع على وجنتها. فعبّرت الطفلة عن ابتهاجها بصرخة رفيعة وحادّة.

جلست سايوكو أمام رئيس شركة بلاتينوم بلانت في مطعم صينيّ يبدو عليه التواضع في أوكوبو، وراحت تنقّل بصرها بالتناوب بين رئيسها الجديد واسم آوي ناراهاشي المطبوع على بطاقة الشركة عند حافة الطاولة.

ما إن وصلت إلى المكتب، حتى حثّتها المرأة إلى الخروج، قائلة: «هيا بنا نتناول طعام الغداء». تساءلت سايوكو، وقد تملكتها الإثارة، وهي تتبعها عن المطعم الفخم الذي يمكن أن تصطحبها إليه امرأة تمتلك شركة بأكملها –

خاصة أنّها لم ترتد أي مطعم من أي نوع منذ زمن بعيد. ولكن عندما وصلنا، اتّضح أنّ المكان عادي ولائحة الطعام باهتة ومكتوبة بخط اليد وملصقة على الحائط. كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة، لذا احتلتا قاعة الطعام العلوية وحدهما. جاءت النادلة تحمل البيرة وكأسين. رفعت آوي الزجاجة كي تملأ كأس سايوكو، ومن ثمّ كأسها.

قالت بنشوة، وهي ترفع كأسها: «في صحتك! أهلاً بك في الشركة».

وقرعتا الكأسين وشربتا.

سألت آوي والزبد الأبيض يعلق بزاويتيّ فمها: «ماذا كنت تدرسين في الجامعة؟».

«كنت في كلية الآداب، قسم الأدب الإنكليزي». كانت سايوكو تستخدم غريزياً صيغ الكلام الدمثة المتوقع أن تصدر عنها عندما تخاطب أشخاصاً أعلى منها مرتبة.

قالت آوي: «أوه، أرجوك. دعينا نضع الرسميات جانباً. أولاً، نحن في سن واحدة. أنا كنت في قسم الفلسفة، ورسبت عاماً، لكنّني نجحت أخيراً. في الواقع، كانت لديّ مقابلتان أخريان في الجدول، لكنّني قرّرت أن أختارك أنت حالما خرجت».

قالت سايوكو بدهشة: «هل لي أن أسألك عن السبب؟».

قالت آوي، وهي ترميها بنظرة استنكار وتصب لنفسها المزيد من المشروب: «ها أنت تستخدمين من جديد اللغة الرسمية. ولكن ما سبب هذه الدهشة كلها؟».

«لقد تساءلت فقط عن السبب الذي جعلك متيقّنة أنّني المناسبة للوظيفة. أعني، لقد رفضني الجميع. فالإعلان يقول: «نقبل ربات البيوت»، لكنّني كنت أذهب إلى المقابلة فيبدون خشيتهم من أن تتصلي دائماً وتدّعي المرض لأنّ لك

طفلة صغيرة والأطفال دائماً يصابون بمرض ما. أو قد يوبخونني بالقول إنَّ التخصّص باللغة الإنجليزية ليس ضمانا بأنّني أجيد أي شيء، ويستحسن ألا أحاول ادّعاء ذلك. وما إلى ذلك. بصراحة، كنت قد بدأت أشعر بالإحباط».

أمالت آوي رأسها نحو الخلف وضحكت: «عندما يقول من يجري المقابلة أشياء كهذه، اعلمي أنّه لابد أنَّ هناك سخطاً جدّياً يدوم تحت السطح. إنهم يصبّون إحباطهم على المتقدِّمين إلى العمل. أنا ليس لديَّ مثل ذلك الثقل يجثم عليّ، لذا يمكنني أن أكون حكماً أفضل على الشخصية. هذا كل شيء».

اقتربت النادلة تمشي بحذر، حاملة صينية مليئة بوجبتين كاملتين من أكلة الغداء الخاصة لذلك اليوم. كان طبق اليوم الرئيس يتألَّف من الباذنجان المقلي واللحم المفروم. وبعد ابتعاد النادلة، تناولت آوي زوجين من عيدان الطعام من عن الحامل على الطاولة وأعطت زوجاً لسايوكو.

قالت، وقد أضحى وجهها جدّيا: «الآن، أنا في حاجة إلى أن أتيقَّن من أنّك تدركين ما أنت مقدمة عليه. إنَّ ما ستفعلينه في الغالب هو تنظيف منازل الناس. في منزل موزِّع الأفلام حيث كنت تعملين قبل أن تتزوجي، قلت إنَّهم دفعوك إلى اختيار عناوين يابانية للأفلام الآسيوية والإشراف على بيع منتوجات فرعية مستوحاة من تلك الأفلام، صحيح؟ حسن، لن يدعك هذا العمل تمارسين طاقتك الإبداعية أو يزودك بالإحساس بالرضا الذي منحه إياك مثل ذلك العمل. إنها وظيفة خدمات – في أساسها هي مجرد جهد يدوي قديم وبسيط. هل أنت مستيقنة من أنّك تريدين أن تتعاقدي على هذا النوع من الأعمال؟».

«حتما. أنا مستعدة لقبول أي عمل. كل ما أريد هو أن أعود إلى العمل من جديد». ثمّ أضافت في سرّها: ***«ليس «أريد» بل «مضطرة». إكراما لأكاري. وإكراما لي بوصفي أمها».***

قالت آوي: «يسعدني أن أسمع هذا. إنَّه يزيح همّا عن كاهلي». ثمَّ أسرعت بالانكباب على التهام وجبتها. وباعدت سايوكو بين عوديّ تناول الطعام وانكبّت بدورها تلتهم نصيبها.

وبين اللقم، كانت آوي تسرد على مسمع سايوكو قصة بلاتينوم بلانت، من دون أن ترفع بصرها عن الطعام الذي أمامها. وشرحت قائلة: «تقوم الشركة بأنواع مختلفة من الأعمال في مجال وكالات السفر. وعملها الأساسي هو تجميع طرود السفر وإرسالها إلى جهات مختلفة، خصوصاً في آسيا، للأفراد وللشركات معا؛ وفي بعض الحالات تبيع تلك الطرود أيضاً إلى وكالات سفر أخرى. لكنها بالإضافة إلى ذلك تتولى أعمالاً متنوعة متعاقد عليها مع وكالات أخرى - كوكلاء بيع، يجمعون المعلومات عن مواقع ما وراء البحار، ويعدّون عمليات النقل والايواء، وتجميع تقارير الزبائن، وكل ما يمكن لوكالة السفر أن تطلب منهم أن يفعلوا».

قالت آوي: «لهذا سمَّينا أنفسنا خدمة الأعمال الصغيرة. وكما قلت، استغرق مني إنهاء دراستي الجامعية سنة دراسية إضافية. وحالما تخرّجت باشرت عملي. لا أعني أنّني حقَّقت الكثير، بما أنّ الوضع في أول الأمر لم يكن يختلف كثيراً عن كوني طالبة بالأجرة، في الواقع. في الأساس كنت أقوم بما يطلبه مني الناس. وكما اتّضح، أصبح هذا هو كل ما تعنيه الشركة. والفائدة الكبرى الوحيدة هي أنّني أقمت شبكة واسعة حقاً من العلاقات».

سكتت آوي برهة لكي تأخذ رشفة من المشروب. لم تكن تضع أي نوع من المساحيق أو الحلي. قالت سايوكو في سرّها: «ملابسها متواضعة حقاً بالنسبة إلى صاحبة شركة». وقد أدركت كم كانت صورتها بوصفها امرأة تدير أعمالها بنفسها مثيرة للضحك بشكل ظاهر. فالصورة التي تخطر في مخيلتها في المعتاد لهذا النوع من الأشخاص هي أنّها امرأة تظهر بأبهى حللها من الألبسة الثمينة

التي تحمل أسماء أشهر المصممين، وتضع كميات كبيرة من المجوهرات البرّاقة، ووجهها مصبوغ بأناقة كاملة. وتذكّرت سايوكو أنها كانت شديدة التوتر إلى درجة أنها تنتبه حينئذ، لكنَّ مظهر آوي في لقائهما الأول كان هو نفسه - أبعد ما يكون عن الصورة التي كانت تحملها في ذهنها.

«قبل خمس سنوات أو ست شكّلت مجموعة من الفنادق في جنوب سريلانكا اتحاداً يدعى «مجموعة الحديقة». كانت تقع في بلدات تطل على المحيط الهندي مثل وليغاما وتانغالا لم تكونا قد تطوّرتا حتى تجذبا السيّاح. وفزنا بالعقد لنكون وكلاء مبيعات المجموعة الحصريين في اليابان - وأصبحت حجوزات الفنادق كلها من ذلك البلد تحدث من خلالنا. وقد جعل هذا العمل شركتنا أثبت قدماً لبعض الوقت. غير أنَّ أتساع رقعة الإرهاب بعد ذلك، بالإضافة إلى الحروب، كما تعلمين، أدَّت إلى انعدام الاستقرار. وأعتقد أنّنا كنا محظوظين بصورة ما، بما أنَّ جوهر عملنا كان يتعلق بالمسافرين الذين لا يدعون مثل هذا الأمر يزعجهم كثيراً، خلافاً لما يحدث مع الوكالات الكبيرة، ولكن مع ذلك نلنا نصيبنا من الضربة. ثم حل وباء سارس. وكأنَّ الآلهة تتربّص بنا. وانهارت كثير من الشركات الصغيرة مثل شركتنا التي تقوم بتموين المسافر إلى ما وراء البحار».

في أثناء إصغائها كانت سايوكو تتناول طعامها، وتومئ برأسها بين وقت وآخر. كانت تتساءل، إذا كانوا يعملون في مجال السفر، فما دخل تنظيف منازل الناس في الأمر، وكانت آوي تتناوب برشاقة بين الكلام وتناول الطعام.

تابعت آوي قائلة: «على أيّة حال، وسط هذا كلّه، كنت أفكّر في أنّنا في حاجة إلى توسيع مجالات عملنا لتشمل حقولاً أخرى. المثال الواضح على ذلك هو أن نقتحم مجال السفر المحلي. لكنّني كنت أيضاً أفكّر في أشياء أخرى، وأحدها أن أبدأ العمل في مجال الخدمة المنزلية».

كانت قد انتهت من تناول طعامها فدفعت بالأطباق جانباً، ثمَّ مالت إلى الأمام وأسندت مرفقيها إلى الطاولة.

«أعلم، أعلم. ستقولين ولماذا خدمة المنازل، من بين الأمور كلِّها؟ ولكن لديَّ رؤية بعيدة المدى هنا. بما أننا نعيش في اليابان، فنحن مضطرون كثيراً إلى أن نركب الطائرة أينما قرَّرنا الذهاب، بالإضافة إلى أنّنا نحصل على فترات إجازة قصيرة. ومع ذلك، وعلى الرغم من العوائق كلِّها، فالجميع دائماً يقومون بالرحلات، في أرجاء العالم كافة. ومن الصعب أن تجدي بلداً لم نقم بزيارته. وعندما قابلت مصادفة اثنين وسبعين سائحاً يابانياً في باراغواي خطرت لي الفكرة سريعاً: إنَّ حبَّنا للسفر لن ينتهي. بل قد يزداد، في الحقيقة. وأعتقد أنَّ هذا قد يكون جزئياً مجرَّد تمنٍّ، ولكنّني راغبة في المراهنة على أنَّ العاملين سينالون المزيد من الإجازات مع مرور الوقت. من هنا راودتني فكرة الخدمة المنزلية، التي تقوم على أساس الاعتناء بمنازل الناس في أثناء غيابهم في فترات إجازة طويلة – فنسقي شجيراتهم، ونزيل الأعشاب الضارة من حدائقهم، ونحضر بريدهم، ونهوّي غرفهم، ونحرص على نظافة المنزل. إنَّ الذهاب في عطلة يمكن أن يكون مريحاً أكثر إذا لم يضطر المرء إلى القلق بشأن هذه الأعمال المنزلية الروتينية الصغيرة كلِّها في أثناء غيابه، ألا توافقينني الرأي؟».

كانت آوي تميل بحيوية على إيقاع كلماتها.

هزَّت سايوكو رأسها إيجاباً بحركة متردِّدة: «أظنُّ ذلك». فبالنسبة إلى امرأة لم تسافر أبداً منذ ولادة طفلتها، لم يبد الأمر مغامرة مربحة جداً.

قالت: «طبعاً، أشياء كهذه لا تتوطَّد بين ليلة وضحاها. فأولاً، الآن، لا يقوم العديد من الناس بالكثير من رحلات الإجازة الطويلة حتى يحتاجوا إلى من يأتي ويعتني بمنازلهم. ولكن على أيّة حال، لست مضطرة إلى أن أجعل الأمر مجزيا في الحال وأعتقد أنَّ من المهم البدء به، لذا قرَّرت أن أعمل مع

شركة خدمة تنظيف المنازل تديرها إحدى صديقاتي وأوسّع السوق المستهدفة لتتضمّن أناسا آخرين أيضاً، وليس فقط المسافرين. هنا يأتي دورك»... «يا إلهي! إنَّ هذا الكلام كله سبّب لي العطش» وجرعت ما تبقّى من البيرة دفعة واحدة.

أخيراً انتهت سايوكو من تناول طعامها ووضعت جانباً العودين. كان معظم ما شرحت آوي قد فاتها سماعه، لكنّها فهمت أنَّ شركة بلاتينوم بلانت تعاني من صعوبات مالية، وبدا لها أنَّ آوي قرّرت أن تحوّلها من وكالة سفر إلى تقديم خدمات للمنازل. ولكن لكي تتفادى وصمة الاعتراف بالفشل، أو ربما بسبب نقطة قانونية من نوع ما، كانت تقحمها قسراً في قالب «العناية بمنازل المسافرين». لعلَّ الأمر أشبه بشيء كهذا، هذا ما خلصت إليه بصورة غامضة.

هنا تكلّمت سايوكو، وقد وجدت أنَّ الفرصة سنحت لها الآن بعد أن سكتت آوي: «بالنسبة إلى ساعات العمل. أعتقد أنَّ تفاصيل الوظيفة تقول إنّها ثلاثة أيام أو أربعة في الأسبوع، ولكنّني أتساءل إن كان هناك أي أمل في جعلها خمسة أيام».

اتّسعت عينا آوي. «الله، الله، أنت متحمسة جداً!».

«في الواقع، الأمر ليس كذلك. الحقيقة هي أنّني في حاجة إلى تسجيل ابنتي في مدرسة حضانة، ولكنّهم قد لا يقبلونها إذا كان عملي يقتصر على ثلاثة أيام في الأسبوع. وقرارات القبول تعتمد إلى حد بعيد على ساعات عمل الأم وشروط أخرى حول العمل».

« أوه، حسن، طبعاً. قلت إنَّ لديك ابنة. إذن كيف سنحل هذا الأمر؟ إنّني حقاً لا أحتاج إليك إلا في ثلاثة أيام في الأسبوع في الوقت الحاضر، ولكنّها ستصبح خمس ساعات في نهاية الأمر، لذا سنباشر ونصنّفك مستخدمة منتظمة تعمل دواماً كاملاً بدلاً من دوام جزئي. لعلك في حاجة إلى رسالة توصية في

هذا المجال، أليس كذلك؟».

«أأنت واثقة من أنّه لا بأس في ذلك؟».

«طبعاً، طبعاً. لا مشكلة على الإطلاق. ما عدا أنّني لن أدفع لك مقابل خمسة أيام».

«يا إلهي، طبعا لا». أجابت سايوكو بحماس زائد عن اللازم.

قالت آوي وهي تقهقه: «أنا فقط أمازحك».

قالت سايوكو، وهي تحدِّق إلى المشهد الواسع خلف النافذة: «في الواقع، هذا يذكّرني بمقهى الطلاب». تسللت أشعة الشمس من خلال أوراق شجرة باسقة عالية تماماً كما كان يحدث في قاعة الطعام التي كانت تتردد إليها في الجامعة.

هزّت آوي رأسها إيجاباً، وهي تضيّق اتّساع عينيها وتنظر من خلال الزجاج «أوه، حقاً، تقصدين الجديدة. أنا أيضاً كنت أتناول الطعام هناك كثيراً. بل إنّني عدت إليها بعد أن تخرّجت. لقد كانت رخيصة جداً».

«إذن لعلّنا كنا نتقابل أحياناً».

«أتذكرين وعاء لحم الطون المخلل؟ كان فقط بـ 580 يناً – لكنه كان أكثر بكثير من طاقتي على الإنفاق في تلك الأيام. كل ما كان في استطاعتي أن أفعل حينئذ هو أن يسيل لعابي».

«طبعا أتذكّر. أنا أيضاً كان لعابي يسيل. وكان طبق الكري بالأرز الذي يكلّف 170 يناً هو طبقي المفضّل. والأرخص على اللائحة».

«صحيح. وتكوني محظوظة إن عثرت فيه على أي قدر من اللحم!».

تبادلتا النظر وضحكتا. كان من الصعب التصديق، وهما تتحدثان هكذا عن أيام دراستهما، أنّهما تقابلتا توا. وكأنّما سبق أن تناولتا طعام الغداء في مقصف الجامعة معاً مرات عديدة، وهما تتحسّران على طبق لحم الطون أو

الكري الذي يتحدى اللحم البعيد المنال.

تناولت آوي الفاتورة ونهضت واقفة على قدميها: «حسن، إذن. هل تستطيعين أن تعودي إلى المكتب مرة أخرى؟ أودُّ أن أقدِّمك إلى الآخرين».

نهضت سايوكو بسرعة لكي تتبعها.

في أثناء هبوطهما الدرج الضيِّق، نظرت إليها آوي وقالت: «أنا سعيدة جداً لأنّني عثرت على شخص مثلك ليشغل هذه الوظيفة، سيدة تامورا».

قالت لها سايوكو، وهي تنحني: «هذا لطف ضاف منك».

استقلَّت سايوكو الحافلة بعد أن ترجَّلت من القطار في أوغيكوبو، إلا أنَّ الزحام كان شديداً وعندما وصلت إلى منزل حماتها في يوغي كانت الساعة قد اقتربت من الرابعة.

«ما الذي أخَّرك يا عزيزتي؟ أعتقد أنَّك كنت تستعرضين آخر ما نزل في المتجر؟ ما أجمل أن يكون المرء ذا قلب شاب».

رفعت الجدَّة تامورا عينيها عن شاشة التلفاز في غرفة الجلوس وقد بدت منزعجة قليلاً، وكلامها ينضح بالسخرية: «لمعلوماتك، لقد تركت أكاري يقظة حتى قبل بضع دقائق. أنت طلبت مني ألا أجعلها تغفو، فبذلت أقصى ما في جهدي لأبقيها يقظة، لقد فعلت حقاً، ولكن عندما تأخَّرت في العودة إلى المنزل، وأخذت هي تتذمَّر باطِّراد، اضطررت إلى تركها تستلقي».

لم يكن قصد أم شوجي من كلامها الدسَّ أو السخرية، بل كان ببساطة حتى تسمعه يقول ذلك بنفسه. لقد أرادت سايوكو أن تعتقد أنه على حق، لكنها بصورة ما لم تتعلَّم أبداً أن تستخفَّ بالأمر مع ابتسامة.

«آسفة. لقد كانت حركة المرور بطيئة، والحافلة لم تكد تتحرَّك».

«أحقاً أنت مضطرة إلى العودة إلى العمل، يا سايوكو؟ هل تدبُّر الأمور براتب شوجي أمر صعب إلى هذه الدرجة؟»

قالت سايوكو، وهي تبتسم بغموض وتسير باتجاه غرفة التاتامي في الطابق العلوي: «الأمر ليس هكذا».

تمدَّدت أكاري وذراعاها وساقاها منفرجة فوق سطح فوتون[1] الضيوف في وسط الغرفة. رفعت سايوكو جسد ابنتها الرخو كغطاء مبلل، ووضعتها على أرضية التاتامي، ثم طوت الفوتون ووضعتها داخل خزانة السرير. وبعد الانتهاء من ذلك حملت أكاري بين ذراعيها وهبطت بها الدرج. واستطاعت أن تسمع حماتها منهمكة في عمل شيء في المطبخ.

هتفت سايوكو من الردهة الأمامية: «آسفة، يا أمي. يجب أن أذهب في الحال. سوف أعود من جديد في وقت لاحق عندما لا أكون مستعجلة. شكراً جزيلاً لاعتنائك بأكاري اليوم».

ظهرت الجدَّة تامورا حاملة كيساً من الورق. قالت: «هل تستطيعين أن تأخذي هذا؟ إنها بعض الخضراوات العضوية، وأيضاً بعض السمك المجفَّف من أوداوارا. جاءتني هدية، وأريد أن أتقاسمها معك ومع شوجي».

تذمَّرت سايوكو في سرِّها بسبب الوزن الإضافي، ولكن لم يكن في وسعها أن ترفض.

قالت وهي تنحني: «هذا لطف منك. شكراً لك. حسن، يجب أن أذهب». وانحنت من جديد وهي تغلق الباب خلفها.

شقَّت سايوكو طريقها نحو موقف الحافلة وهي تتشبَّث بأكاري النائمة على إحدى ذراعيها وكيس الأغراض الورقي يتدلَّى من الأخرى. اصطبغ الضوء الذي يغمر المدينة باللون البرتقالي في أثناء انحدار الشمس في السماء.

غمغمت أكاري في أثناء نومها بجوار أذن سايوكو مباشرة «لا أريد».

(1) الفوتون: في اليابان هي فرشة ذات إطار خشبي يمكن الجلوس عليها أو استخدامها كسرير. - المترجم

«أولاً يجب أن أقوم بزيارة مدارس الحضانة المجاورة كلها، ثم هناك ملء طلبات الاستمارات، ومن ثم..».

في الحافلة، بدأ ذهن سايوكو يعمل فهي تحتفظ بلائحة بالأشياء كلها التي تحتاج إلى أن تقوم بها. في الغد تنتظرها حياة جديدة بأكملها. كلا، بل لقد بدأت تواً اليوم. كم من مرة استيقظت من نومها على صوت هطل المطر وابتهجت لأنَّ في إمكانها أن تلغي نزهة الحديقة العامة في ذلك اليوم، ولكنَّها بعد لحظة من ذلك شعرت بوخز الشعور بالذنب؟ لكنَّ ذلك الشخص يختفي الآن بسرعة في المدى، كالمشهد الذي تراه من نافذة الحافلة.

-2-

تمتمت آوي ناراهاشي وهي تحدِّق من نافذة غرفة نومها: «يا لها من بلدة ريفية نائية بائسة!» ملأ كامل مجال رؤيتها امتداد شاسع من حقول الأرز، مفسحة المجال في عمق المدى لحقول أشجار التوت، ومن بعدها لبساتين قصب البامبو.

هذا كان تقديرها الذي توصلت إليه فور وصولها إلى البلدة، لحظة ترجَّلت من القطار ولاحظت أنَّ كل طالبة ثانوية وقع بصرها عليها كانت ترتدي ثوباً طويلاً.قالت لنفسها: «لماذا يلبسن هذا الزي وهنَّ في عطلة الربيع؟»‌.

سمعت جدَّتها تنادي من الطابق السفلي: «آوي! هل أفقت من النوم؟ حان وقت التهيوء للذهاب إلى المدرسة!»

أسرعت آوي بتناول زي المدرسة عن المشجب. أدخلت ذراعيها من كميّ البلوزة الجديدة، وارتدت التنورة ذات الثنيات، واندفعت إلى الطابق السفلي والسترة والشريط في يدها.

كانت أمُّها واقفة عند طاولة المائدة وهي ترفع مقلي البيض المخفوق عن المقلاة وتضعها على طبقها.

«لا ينبغي لك أن تتأخَّري في اليوم الأول، يا عزيزتي، لذا أسرعي. يجب أن تحرصي على الخروج من هذا الباب وأمامك متسع من الوقت».

«أعلم، أعلم».

جلست آوي وغرزت الشوكة في سجق الإفطار. وبيدها الأخرى أمسكت بجهاز التحكم بقنوات التلفاز وغيَّرت قناة الدراما الكئيبة التي كانت أمها قد انتقتها إلى عرض الأخبار. ظهرت على الشاشة لقطات لديزني لاند طوكيو: «بدا جلياً أنَّ الحديقة كانت قد افتتحت قبل عام من الآن».

غمغمت أمُّها متذمرة لدى عودتها من المطبخ: «هيه، كنت أتفرَّج على ذلك البرنامج»، ووضعت طبق الخبز المحمَّص أمام آوي. ومع ذلك، وقفت تشاهد تغطية أحداث ديزني لاند باهتمام ظاهر.

لم تقل آوي أيَّ شيء وراحت تقضم خبزها المحمَّص. فوجبات الإفطار التي تعدُّها أمُّها لها لم تكن قد تغيَّرت أبداً منذ حركة انتقالهم الكبرى. كانت تجعلها تشعر كأنَّها مازالت في البلدة القديمة نفسها، تستعد للذهاب إلى المدرسة نفسها. أشاحت ببصرها عن شاشة التلفاز ونظرت من النافذة. أكَّد لها مشهد حقول الأرز الممتدة خلف الستائر أنَّها، كلاَّ، لم تعد في ذلك المكان المقيت.

«لا تتلكئي في تناول طعامك، يا عزيزتي. فكِّري كم سيكون محرجاً أن تتأخري في يومك الأول في المدرسة. أوه، انظري إلى شريطك. هناك تعليمات خاصة حول ربطه، أليس كذلك؟ أذكر أنَّني حصلت على نشرة بهذا الشأن. أين وضعتها؟».

انتقلت إلى خزانة أدوات المائدة وبدأت بفتح الأدراج وإغلاقها. لم تعلم آوي سبب ذلك، ولكنها شعرت بفيض من الغضب يجتاحها وهي تراقب أمَّها تقوم بالتفتيش.

«اهدئي، يا أمي. لن أتعرَّض للمضايقة مرة أخرى لمجرد أنَّني تأخَّرت قليلاً. وحتى إذا حدث شيء، فأعدك بألا أصرَّ على الانتقال من جديد».

في نبرة صوتها سخرية وقلَّة احترام، ولكن عندما استدارت أمُّها كانت تغالب ذرف الدموع.

«لست في حاجة إلى القلق حقاً، يا عزيزتي. هذه مدرسة بنات محترمة، والطالبات جميعاً ينحدرن من عائلات كريمة. ولن يقمن بإزعاج إحداهن الأخرى. أنا واثقة من أنّهن ناضجات ولا يفعلن ذلك».

إنَّ كلَّ ما فعلته محاولة السيدة ناهاراشي للمواساة هو أنَّها غذَّت ثورة آوي: «*أوه، طبعاً. إنَّ فتاة والدها يقود سيارة أجرة وأمها اضطرت إلى البحث عن عمل حالما انتقلوا إلى هذا العذر البائس المسمّى منزلاً سوف تحقق التقدُّم مع أولائي الأميرات الراقيات المنحدرات من عائلات كريمة كلهن*». التعليق المتهكِّم على طرف لسانها، إلا أنَّها ابتلعت الكلمات مع ملء شوكة من البيض المخفوق. لا داعي لإزعاج أمِّها. لابد أنَّ شراء منزل قديم ومتداع كهذا خطوة كبيرة بالنسبة إلى والديها. كان والدها عادة ما يتناول وجبة الإفطار معهم كل يوم، لكنه بات يقود السيارات ساعات أطول منذ أن انتقلوا؛ الآن أصبحوا محظوظين إذا رأوه على مائدة العشاء مرة كل ثلاثة أيام. وأمُّها لا تقضي غالبية أيامها وهي تطرق الأرصفة بحثاً عن عمل من أجل المرح.

قالت آوي وهي تنهي ربط الشريط الأحمر القاني على شكل قوس تحت ذقنها: «شكراً للإفطار، ماما». نهضت واقفة وواجهت أمها: «هل تبدو جيدة».

قامت أمها بمقارنة متأنية بين قوس آوي والتعليمات التي عثرت عليها. قالت، وهي تنعم النظر إلى ابنتها: «نعم، تبدو جيدة». ولحقت بآوي حتى الباب.

قالت آوي: «أراك لاحقاً».

«وداعا! أتمنى لك يوماً جميلاً، يا عزيزتي! سيأتي البابا لتناول العشاء، لذا سأعدُّ وجبة لذيذة جداً».

حاولت مع قليل من الجهد الزائد أن تبدو مرحة ولوَّحت بيدها بشكل

محموم مبالغ فيه. وكأنَّها عروس حديثة العهد تودّع زوجها لدى ذهابه إلى العمل للمرة الأولى، هذا ما خطر في بال آوي وهي تبتسم وتغلق الباب برفق خلفها.

بعد أن مشت آوي مسافة قصيرة على الطريق نحو موقف الحافلة، التفتت لكي تتيقَّن من أنَّ أمَّها لم تعد تراقبها، ثم مدَّت يدها تحت سترتها وراحت تلفُّ نطاق التنورة مرة بعد أخرى إلى أن أصبحت حافتها فوق ركبتيها. وحالما أصبحت التنورة بالطول المناسب، أخذت تسرع خطاها على الطريق حتى موقع موقف الحافلة.

كانت آوي وعائلتها قد انتقلوا من حي إيسوغو في يوكوهاما قبل أقلّ من شهر، بعد أن أنهت آوي عامها الدراسي التاسع مباشرة من مدرسة الأحداث العالية. كان انتقالاً سرَّعه تعرُّضها للاضطهاد. وقد فشلت آوي، بصورة ما، في تعلُّم أسرار الصداقة. لم تعرف ما يتعيَّن عليها فعله لكي تنجح فيها، ولا السبب الذي يجعل الأمور تسوء. وطوال فترة المرحلة الابتدائية، لم يكن لها أي واحدة يمكن أن تسميها صديقة مقرَّبة. حتى عندما اعتقدت أنَّها وجدت صديقة، كانت تبتعد دائماً بعد مضيّ بضعة أسابيع وتبدأ بمصاحبة بنت أخرى. أو أسوأ من هذا، أن تعاملها صديقاتها الجدد بتعالٍ ويتهامسن بأشياء خسيسة من وراء ظهرها. ولم تتوصل آوي إلى فهم الخطأ الذي ارتكبت. وكانت لاتزال تحاول فهم فحوى الأمر عندما انتقلت إلى مدرسة المرحلة المتوسطة.

في المدرسة الابتدائية كانت المشكلة ببساطة في عدم قبول أحد أن يكون صديقا لها، ولكن حالما بدأت دراستها في المدرسة المتوسطة تفاقم الأمر مباشرة إلى مستوى التنمُّر. فاختفت كتبها، وسرق حذاؤها الرياضي وملابسها الرياضية. ونبذتها طالبات الصف كلُّهن صراحة، وسرعان ما بدأت تعثر على مقعدها والكرسي في الرواق الخارجي في صباح كل يوم. وعلى الرغم من أنَّها

كانت تعيدهما إلى مكانهما، إلا أنَّها كانت تجدهما في الرواق الخارجي عندما تصل إلى المدرسة في اليوم التالي.

مع نهاية السنة الثامنة، أصبحت ترفض الذهاب إلى المدرسة في أغلب الأحيان. لكنَّها لم تنطو أبداً على حقد أو مرارة اتّجاه زعيمات المجموعات لأنَّها كانت دائماً تفترض أنَّ الخطأ خطأها. وهل هناك تفسير آخر؟ لابد أنَّها تحتك بالناس بطريقة خاطئة بصورة ما. لابد أنَّها تستحق أن تقاطع.

عندما أنذرتها المدرسة في السنة الدراسية التاسعة من أنَّها قد لا تتخرَّج، بدأت تزيد من أوقات حضورها حتى وهي تواجه التنمُّر. لكنها كانت تمضي كامل يومها وهي تحدِّق إلى الأرض. وسرعان ما حفظت الزخارف المرسومة على الأرضيَّة المشمَّعة أفضل من حفظها لوجوه أساتذتها وزميلاتها في الصف.

انتاب القلق والديّ آوي حول تغيُّبها المستمر عن المدرسة، ولكنَّهما في الغالب كانا يقولان لنفسيهما إنَّ المشكلة ربما ستتلاشى عندما تجتاز المرحلة المتوسطة. ستكون الأوضاع مختلفة في المرحلة الثانوية - خصوصاً إذا كانت المدرسة بعيدة ولا تحتوي أياً من الطالبات اللواتي يعرفنها من قبل. على الأقلّ هذا ما قرَّرا أن يبنيا آمالهما عليه.

لهذا السبب بالذات أبدت آوي لوالديها رغبتها في الانتقال. فما دامت تعيش هنا، لن تكفَّ عن الاستمرار كما هي. سوف تبقى دائماً تزعج الأخريات وتثير عدائهن؛ ستبقى على الدوام فاشلة ومنبوذة. وحتى بعد أن تنهي المرحلة الثانوية وتلتحق بالجامعة أو تنضم إلى العالم العملي، ستبقى عاجزة عن ترك ذلك الشخص. إنَّها في حاجة إلى الانتقال الآن، إلى مكان لا أحد يعرف فيه أخطاءها، وإلا لن تتمكن من تغيير مصيرها.

عندما جهرت آوي بأفكارها هذه للمرة الأولى لوالديها، حاولا اقناعها

بأنّها مخطئة، لكنّ القصص والأخبار المزعجة التي سمعاها جعلتهما يغيّران رأيهما. فقد انتحرت ثلاث طالبات من مدرسة المرحلة المتوسطة، واتُّهم فتى من المرحلة نفسها باغتيال رجل متشرّد. وكلتا الحادثتين وقعتا في مكان قريب، في يوكوهاما.

كانت آوي قد نشأت وترعرعت في مقاطعة غونما فجدتها مازالت تعيش هناك، لذا قرّر والداها أنّه المكان المناسب للرحيل إليه. نفّذت خطط الانتقال بسرعة ملفتة، والشيء التالي الذي تتذكّره آوي هو أنّها أرسلت لتمكث مع جدّتها لكي تتمكّن من اجتياز امتحانات القبول إلى عدد من مدارس البنات في المنطقة. وعندما نجحت في امتحانات قبول مؤسسة ذات مكانة أكاديمية متواضعة، أكملوا انتقالهم بسرعة كبيرة.

افتقدت والدة آوي وسائل الراحة في حياتها في يوكوهاما. فلم تكن هناك أسواق مركزية جيدة ولا دكاكين متنوعة، واضطرارها إلى أن تكون ودوداً مع الجيران كان أمراً مزعجاً، والوظائف الجيدة غير متوافرة مهما بحثت عنها، وسكان تلك المنطقة كانوا جميعاً فضوليين أجلافاً. وتلك بالضبط كانت الأسباب التي دفعتها إلى مغادرة غونما أصلاً، عندما كانت شابة. وبدا أنّها تحاول ألا تبوح بشكواها حول المنطقة المجاورة أمام آوي، لكنها فعلت ذلك بقدر من الوضوح اقتنعت آوي بأنّه مقصود. ولم تستطع منع نفسها من الاعتقاد بأنّ تلك طريقة والدتها الماكرة للرد عليها لأنّها أجبرتهما على الانتقال.

كانت قاعة المحاضرات بحراً جامداً من الفتيات، والفتيات والمزيد من الفتيات. وهذا ليس مفاجئاً، طبعاً، بما أنّها مدرسة خاصة بالبنات، ولكن كانت تلك المرة الأولى التي شاهدت فيها آوي مثل ذلك العدد الهائل من المراهقات في مثل سنّها متجمعات في مكان واحد. كانت مديرة المدرسة واقفة على المنصّة، ترتدي لباساً رياضياً خفيفاً أخضر اللون، تخاطب الجمع بتفصيل

شديد، مركِّزة على الأهمية التي توليها المدرسة لتعليم الإنجليزية. وأعلنت، وهي تضع على كل كلمة تنطقها تشديداً مضاعفاً، إنّ اليابان تلج عصراً يصبح فيه التمكّن الحقيقي من اللغة الإنجليزية حيوياً باطّراد بالنسبة إلى كل فرد.

نظرت آوي عبر صفوف الرؤوس الجالسة أمامها. فاندهشت من قلّة عدد اللواتي يصبغن شعورهن أو يجعّدنه أو يرفعنه قليلاً من الجانب. لقد كانت تتوقع مديرة المدرسة من الطالبات المتوسطاًت المستوى يتقدمن ببطء مستاء، ولكن لعلّ الطالبات هنا ملتزمات أكثر مما تخيَّلت. بل إنَّها لم تشاهد وهي في طريقها إلى المدرسة أحداً غيرها يرتدي تنورة قصيرة. لذا لعلّ من الأفضل أن تطيل تنورتها من جديد حالما تسنح لها الفرصة، هكذا قررت وهي تحدِّق من جديد في المرأة الستينيَّة التي تلقي خطبتها على المنصَّة. لقد رفعتها لأنَّها لم ترغب في أن يعدُّها الناس جاهلة بالأصول وليست على الموضة، ولكن لا أحد غيرها كان يعدِّل من وضع زيِّها الرسمي، لعلّها فقط تميِّز نفسها وتستجلب انتباها غير مرغوب فيه.

«بسسست. هل صنعت هذه في مكان معيَّن؟».

عندما سمعت آوي همساً حاداً قريباً، نحَّت هذه الأفكار جانباً وتلفَّتت حولها. كانت الفتاة الجالسة قبلها بمقعدين ناحية اليمين تميل نحو الأمام وتنظر مباشرة جهتها. كان شعرها مقصوصاً قصيراً كشعر الصبي، وكانت تحمل أيضاً وجه صبي، وتشبه صبياً في الخامسة أو السادسة من العمر.

«هه؟ لم تفهم آوي فوراً ماذا يسأل ذلك المخلوق».

همست الفتاة الشبيهة بالصبي بنزق: «تنورتك. إنَّها قصيرة. أين صنعتها؟ أنا أعلم أنَّ سيودو لا تصنع مثلها».

همست آوي: «لقد لففت منطقة النطاق، هذا كل شيء». لم يكن لديها أدنى فكرة عن سيودو.

«أحقاً؟ ألا تفلت؟».

«لا أظن».

رمقتهما الفتاة الجالسة بينهما بنظرات تنمُّ عن الانزعاج في أثناء حديثهما عبرها. اعتدلت في جلستها ثم مالت نحو الخلف وهي في كرسيها لكي تبتعد عن مسار الحديث.

«أرنيها لاحقاً، اتَّفقنا؟ تقولين إنَّك فقط لففت النطاق؟».

«أهاه».

«عظيم. عندما ذهبت إلى سيودو –».

«سكوتا هناك!» طلبت المدرِّسة الواقفة في موقع قريب السكوت من ناحيتهما، مقاطعة الفتاة. ووجَّهت آوي انتباهها من جديد نحو الجهة الأمامية من القاعة.

كانت المدرِّسة تقول: «خذن مثلا الكلمة الإنجليزية **T-H-E**, ***the***. لأنه ليس لدينا لفظ مطابق له باليابانية، فإنَّ المدارس الأخرى كلها تعلمكنَّ لفظها «زا». أما هنا فنعلمكنَّ أن لفظها«***the***» ونطقتها بما يفترض أنه لفظها الصحيح. «ولفظ «زا» هو اللفظ الإنجليزي على الطريقة اليابانية. أنا أسميه الإنكليياباني، وإذا ذهبتن إلى بلد يتحدث بالإنجليزية ونطقتنها «زا»، لن يفهم أحد ماذا تقلن».

في أثناء إصغاء آوي إلى محاضرة المدرِّسة المطوَّلة حول اللغة الإنجليزية، اعتقدت بالتحاقها بمدرسة غبية حقاً. ولكن في تلك اللحظة بالذات، لم تكن لتهتم لو أنَّ المدرسة كانت غبية فعلاً، أو لو كان مستوى الطالبات جميعاً دون المتوسط، أو لو كانوا يعلِّمونها أن تقول ***the*** بدلاً من «زا». إنَّ جلَّ ما يهمها الآن هو أنَّه لم يبد على الفتاة التي سألتها عن تنورتها أنَّها نفرت منها.

عندما بدأن يغادرن صالة العرض ويتوجهن إلى صفوفهن، شقت الفتاة التي كانت تجلس على بعد مقعدين من آوي طريقها بصعوبة

نحوها وقالت: «ما اسمك؟».

«آوي ناراهاشي. آوي كما تلفظين كلمة زهرة، ثم نارا كما في الأشجار وهاشي كما في كلمة جسر».

«لم أكن أعلم أنَّ الأشجار في لفظ نارا تتسم بأيِّ شيء خاص».

كانت قد أخطأت فاعتقدت أنَّ لفظ نارا هو اسم مكان وليس نوعاً من الأشجار، لكنَّ آوي لم ترد أن تحتك بها بصورة خاطئة بتصحيح نطقها لذا اكتفت بالابتسام.

«واسمك أنت؟».

«ناناكو نوغوشي. ناناكو تعني «الطفل السمكة»، ونوغوشي على غرار اسم غورو نوغوشي المغني».

«الطفل السمكة؟».

«أهاه. تكتبين كلمة «طفل» ثم «سمكة» وكلتاهما تلفظان «ناناكو». لأنَّ عائلتي كانت دائماً من هذه المنطقة».

تساءلت آوي سرّاً، إن كان هذا يفسّر أيَّ شيء. إنَّها ولاية داخلية، ولا يوجد أي ماء على أي من أطرافها. وعندما استبدَّت بها الحيرة، قالت ببساطة: «وماذا يعني اسم العائلة نوغوشي؟».

قالت الفتاة سخرية: «لا عليك من هذا، يا آوكنز. نادني فقط ناناكو». وبصفعة قوية على كتف آوي انطلقت تطفر مرحة مبتعدة نحو مقدمة الموكب. شعرت آوي، وهي تراقب ابتعادها، بوخز خفيف مفاجئ من الشك. لعلَّها كانت نوعاً ما غريبة الأطوار. «الطفل السمكة»، راحت تهمس بها بهدوء لنفسها، وتكاد لا تحرّك شفتيها. هل توقف هذه الفتاة عن مكالمتها أيضاً هي مسألة وقت فقط؟ هل ستشير إلى آوي وتسخر منها حالما ترتكب غلطتها الأولى؟ هل ستجعل صندوق غدائها يقع ومن ثمَّ تمسك بأنفها ساخرة منها؟

هل سترمي بملابس آوي الرياضية على الأرض وتدوسها بحذائها؟

عندما رفعت آوي نظرها من جديد، كانت ناناكو نوغوشي قد اختفت بين الحشد.

تطل نوافذ غرفة الدرس على مساحة شاسعة من الأرفف المنخفضة والمائلة مع حواف سلسلة جبال تشمخ في المدى البعيد. حدّقت آوي إلى الصورة الجانبية ذات اللون الأزرق والرمادي لسلسلة الجبال البعيدة، وكادت لا تصغي إلى سيل الإيقاعات اللفظية التي قرأت بها المعلّمة من كتاب اللغة الإنجليزية المقرَّر.

في أثناء العطلة الأسبوعية ذهبت مع أمّها إلى مزرعة هاياكاوا. أوصلهما والدها في سيارة الأجرة في وقت فراغه. وكانتا في العطلة السابقة قد استكشفتا مركز الأفاعي، وفي خلال فترة الإجازة قبل بدء العام الدراسي قاموا جميعاً بزيارة جبل هارونا. ولم يكن لدى آوي أي اهتمام بأيٍّ من تلك الأماكن، وكانت تعلم أنَّ أمّها وأباها أيضاً لا يهتمان بها. لم يستمتع أحدهم بالمناظر الطبيعية. لكنَّ والديها تظاهرا بأنَّهما سيقضيان وقتاً ممتعاً، وفي الحال أخذا يقدِّمان الاقتراحات للقيام برحلة إلى هذا الموقع أو ذاك، وفهمت آوي أنَّهما يقصدان ذلك بشكل كامل من أجلها، لذا بذلت أقصى جهدها لكي تتظاهر بالحماس مثلهما تماماً. واقترحت قائلة: «*أريد أن أجرّب المكان الذي يقدّم شرائح لحم الخنزير بالصلصة الخاصة*»، أو «*ما رأيكما في أن نجرّب ينابيع يابوزوكا الحارة في عطلة الأسبوع القادم؟*».

مع انصرام أسبوعين كاملين منذ أن فتحت المدرسة أبوابها، انقسمت الفتيات في صف آوي إلى مجموعات واضحة بصورة أو بأخرى. فكانت هناك الرياضيّات اللواتي بدا أنهنَّ يمتلكن من الطاقة أكثر مما يعرفن فيما ينفقنها؛ والمدمنات على قراءة الكتب اللواتي بدا مزاحهن جدّياً أكثر مما ينبغي؛ وهناك

اللعوبات اللواتي يتسابقن مباشرة إلى أقرب حمّام لكي يسرفن في وضع مساحيق التجميل حالما ينصرفن في آخر النهار. وآوي ذاتها انجذبت إلى مجموعة من الفتيات العاديات بكل معنى الكلمة - عصبة يصعب وصفها، ما جمع بينهن ليس الاهتمامات المشتركة أو الشخصيات بل تقارب مقاعدهن المخصصة لهنّ. وعلى الرغم من الضعف النسبي لهذه المجموعة، بدا أنَّ كل واحدة كانت تعيش خوفاً قاتلاً من أن تجد نفسها منفصلة ومنبوذة وسط البرد، لذلك كانت تربط بينهن، في أثناء الاستراحات بين الدروس، الثرثرة المبالغ فيها والضحك العالي والحادّ.

بقيت ناناكو نوغوشي بلا انتماء، وظلت تنتقل جيئة وذهاباً بين مختلف المجموعات في خلال وجبة الغداء أو في أثناء انتقالهن عبر الردهات إلى صفوف تعقد خارج قاعتهن الرئيسة - كنّ يقضين فترات بعد الظهيرة، مثلاً، في تعلُّم كيفية تلميع أظافرهن مع مجموعة الفتيات اللعوبات، لكنّها بعد ذلك تعبِّر عن حماستها مع الرياضيّات وهنّ يندفعن إلى درس الألعاب. واللغز الأكبر بالنسبة إلى آوي هو سبب نجاح ناناكو في فعل ذلك من دون أن تلقى معاملة متعجرفة من أحد.

بعد ظهيرة كل يوم دراسي بعد الانصراف كانت آوي تتنفَّس الصعداء وتقول لنفسها، «حتى الآن، كل شيء على ما يرام». لقد اجتازت يوماً آخر من دون أن تتجهم إحداهن في وجهها بسبب شيء قالته، واشتركت بسلاسة في أحاديث أثيرت من حولها. وكانت وجبة الغداء التي تعدُّها لها أمُّها متنوعة بقدر كاف إلى درجة أنّها تجنِّبها الشعور بأيِّ حرج، وكانت تتفادى أيَّ شيء يراق ويترك بقعا قبيحة على كتبها المدرسية أو دفاترها. كانت تضحك في المواقف نفسها كما يفعلن جميعاً، وتشترك مع الأخريات عندما يقلن شيئاً قذرا عن مدرساتهن.

بينما كانت تهبط التل نحو محطة الحافلة وتستعرض أحداث يومها، شعرت بربت خفيف على كتفها. استدارت لترى من يفعل ذلك، فوجدت ناناكو تبتسم لها وحقيبة كبيرة، غير نظامية، صفراء اللون تتدلى على صدرها. لم تكونا قد تبادلتا الكلام منذ بداية التجمُّع.

قالت بعد أن أصبحت إلى جوار آوي: «أردت أن أسألك، لماذا أطلت تنورتك من جديد؟». لم تكد قامة ناناكو الصغيرة تبلغ مستوى كتف آوي.

«هاه؟».

انطوت ناناكو على نفسها من فرط الضحك. قالت بين القهقهات «إنَّك تفعلين ذلك كلما طرحت عليك سؤالاً. هيا يا عين البقَّة قولي «هاه؟»».

تقدَّم عدد من زميلاتهما في الصف من خلفهما وتجاوزنهما بسرعة. وبعد بضع خطوات التفتن ليلوِّحن لهما بالأيدي. هتفن «باي! نراكما في الغد!» ثمَّ انحدرن أسفل التل وتنانيرهن ذات الثنيات تتطاير وشعورهن السوداء تلمع تحت أشعة الشمس. تابعت آوي تقدُّمهن بعينين مزمومتين، وكأنَّها تحدِّق إلى شيء رائع.

قالت ناناكو، وهي ترفع سترتها وتبدأ بطيِّ الحزام الضيِّق بكلتيّ يديها: «قلت لي في ذلك اليوم إنَّك فقط تطوين منطقة الحزام، وقد جرَّبت ذلك. لكنَّها تتجعد وتبرز. أترين؟ تبدو غريبة المظهر، أليس كذلك؟» أقحمت سترتها تحت مرفقها، وعرضت على آوي النتائج غير المرضية. ضحكت آوي. ذكَّرها سلوك ناناكو بتعثُّر طفل يتعلَّم مفهوم القيام بالأشياء بطريقة حسنة.

تجهَّمت ناناكو: «أنا جادة. شكلها غريب، أليس كذلك؟».

دارت آوي حول ناناكو لكي تحلَّ الحزام المطوي بطريقة خرقاء وتبدأ من جديد، وهذه المرة كانت تزيل بعناية التجاعيد في أثناء عملية الطي. كانت رائحة عرق ناناكو ممزوجة بعطر ليمون خفيف. هدرت شاحنة مارة بهما على

الطريق بجوار الرصيف، مثيرة الغبار في إثرها.

قالت آوي: «هاك، ما رأيك؟ ينجح الأمر إذا حرصت على طيّه بشكل مستو وأزلت التجاعيد في أثناء ذلك».

نظرت ناناكو إلى انعكاس صورتها على زجاج واجهة محل بقالة صغير كانتا تمرّان به ودارت حول نفسها. قالت، وقد أذهلها الفرق: «معك حق».

حدّقت آوي إلى ساقيّ ناناكو تمتدان باستقامة قلم رصاص من تحت تنورتها المرفوعة. وفي اليوم الأول من المدرسة، وحالما أدركت آوي أنّها الوحيدة التي ترتدي تنورة قصيرة، هرعت مسرعة إلى غرفة الحمّام وأعادتها إلى وضعها الاعتيادي لكي لا تلفت الانتباه. الطول الذي حدّدته المدرسة حتى منتصف ربلة الساق موضة قديمة، بالإضافة إلى أنّها اقتنعت بأنّه يجعل ساقيها تبدوان ضخمتين، لكنّ ذلك أفضل من أن تبدو مختلفة وتجذب انتباهاً لا ضرورة له.

«كيف كانت إجاباتك على ورقة امتحان الرياضيات التي استعدناها اليوم؟ أنا حصلت على علامتين – أتصدقين هذا؟ اثنتان! وقد سألت ناومي أيضاً، لكنّها رفضت أن تخبرني. لقد ظلّت تلحُّ على أنّها الأسوأ، لابد أنّها حصلت على أدنى علامة. ولكن لا يمكن أن تكون أدنى من علامتي. أنا غبية تماماً، وهذا ليس مضحكاً».

راحت ناناكو تثرثر متنقلة من موضوع إلى آخر في أثناء سيرهما على الرصيف المغبر. كانت أكمات من الأعشاب الضارة النحيلة تنمو هنا وهناك على طول جانب الطريق. كان في طريقة ناناكو في الكلام شيء ذكّر آوي بنساء في مثل عمر أمّها. نسوة لا يثير اهتمامهن أغلب ما يحدث في العالم ويرفضن، ضمن حدود الشقّة الصغيرة جداً من العالم التي يهتممن بها، تصديق وجود أقلّ قدر من الحقد أو انعدام الثقة أو أي عاطفة أخرى تسبب الاضطراب. نساء من النوع الذي شاهدت إحداهن تخوض أحاديث مع أمّها في محطات القطار

ومواقع السياحة وكأنَّهما أختان أو ما شابه. كنَّ ودودات كأفضل ما يمكن، وكنَّ يغمرنك بلطفهن. وتذكرت آوي أنَّه حالما كان يحدث خطأ ما، يرمينك بكل برود بعيداً في كل مرة.

كانت الطالبات اللواتي ينتظرن عند محطة الحافلات قد تجمعن ضمن مجموعات صغيرة متعددة، وكل منها تنخرط في حديث حام خاص بها. وقفت آوي في الطابور، ووقفت ناناكو بجوارها، ولاتزال تثرثر. قالت آوي في سرِّها، وهي تصغي بلا انتباه، «***لا بد أنَّ طريقها على طريقي. ترى أين تقيم؟***».

على الطرف الآخر من الشارع قبالة إشارة موقف الحافلات ذي جدول المواعيد الصدئ بشكل سيئ كانت سقيفة واقية بالكاد تكفي لتقي حفنة من آلات البيع الذاتي المصفوفة جنباً إلى جنب. هرع عدد من الطالبات بحماس إلى الطرف المقابل ليبتعن المشروب المعلَّب، ثم عدن مسرعات. كانت السيارات والشاحنات تمر بسرعة كبيرة، ومع ذلك لم يظهر أي أثر للحافلة. في أثناء وقوفهن، كانت ناناكو تتنقل بسرعة وبلا تناسق من موضوع إلى آخر: من امتحان الرياضيات الفجائي إلى اختيارهن للمادة الاختيارية، ومن هذه إلى آخر ما عرض من أفلام سينمائية، ومن آخر الأفلام المعروضة إلى أفضل طريقة لصنع الخبز المحمَّص على الطريقة الفرنسية. وعندما بدأت آوي تتساءل كيف وصلتا إلى موضوع الخبز المحمَّص الفرنسي، وصلت حافلتان واحدة إثر أخرى.

رفعت ناناكو بصرها إلى آوي الأطول قامة، وهي محشورة بقوة وسط الممر الفاصل بين المقاعد المزدحم بزميلاتها من الطالبات.

«هل تمانعين في أن أذهب معك إلى بيتكم؟».

«هاه؟» وجحظت عينا آوي.

دفنت ناناكو وجهها في ظهر طالبة أخرى وضحكت: «فعلتها من جديد!».

قالت آوي: «ألن تذهبي إلى بيتكم؟».

«أبداً. إنَّ بيتنا ليس حتى من هذه الجهة. أنا ذاهبة في هذا الاتجاه لكي أصطحبك إلى منزلكم». كانت ترسم ابتسامة عريضة وكأنَّ هذا أشدُّ الأمور طبيعية في العالم.

عندما وصلتا لم يكن هناك أحد في المنزل. كانت السيدة ناراهاشي إما في الخارج تفتش عن عمل أو تتسوَّق لإعداد وجبة العشاء. شقَّت حزمة صفراء من أشعة الشمس عتم غرفة الطعام وتبعت ناناكو آوي إلى الداخل وتراخت عند طاولة المائدة. حيث اختارت الجلوس على الكرسي الذي يجلس عليه والد آوي دائماً. انتاب آوي إحساس غريب لدى رؤية زميلة لها في الدراسة تكاد لا تعرفها جالسة على طاولة الطعام في منزلها الجديد الذي لم تشعر فيه بعد بألفة كاملة.

توجهت آوي إلى المطبخ ذي الإضاءة الخافتة وفتحت باب الثلاجة لكي ترى إن كان لديهم أي نوع من العصير. فلم تعثر إلا على الحليب ومشروب كالبيس[1]. أخرجت كأسين وباشرت بإضافة الثلج. انزلق أحد المكعبات من بين أصابعها وضرب الأرضية بصوت مقرقع. وأدركت للمرة الأولى كم كانت متوترة.

انتظرت ناناكو عند الطاولة وهي تسند ذقنها بيدها. ثم هتفت كطفلة صغيرة عندما وضعت آوي إحدى الكأسين أمامها، «هيه، كالبيس!» رفعت كأسها، وجرعت منها دفعة واحدة، ثم مسحت فمها بظاهر يدها ورسمت

---

(1) كالبيس: مشروب غازي ياباني مسمّى باسم الشركة المنتجة، شركة كالبيس المحدودة. له قوام حليبي، أشبه بلبن رائب بنكهة الفانيلا. - المترجم

ابتسامة عريضة على وجهها.

مع أشعة الشمس التي تخترق عتمة هذه الغرفة التي مازالت غير مألوفة لها بصورة غامضة وفتاة بشعر قصير تبتسم لها، انتاب آوي شعور مفاده أنَّها مرَّت بمثل هذا الموقف من قبل. لكنَّها كانت تعرف أنَّ ما تذكَّرته ليس حادثاً حقيقياً؛ كان مشهداً من أحد أحلام يقظتها. تذكَّرت مشهداً يمر بخاطرها مرات لا تحصى في خيالاتها: فتاة لطيفة لا تخلو من جاذبية، شخصية محبوبة من زميلاتها في الصف كلِّهن، كانت قد قالت إنَّها تريد أن تكون صديقة لآوي، وجاءت لزيارتها في منزلها دون حاجة إلى التوسُّل إليها، وجلست هناك تنظر إلى ابتسامتها الدافئة. مرة بعد مرة بعد مرة حلمت آوي باليوم الذي ستكون فيه جزءاً من هذا المشهد العادي بكل معنى الكلمة.

بعد النظر إلى تحديق صديقتها الجديدة الصبيانية بضع لحظات، استدارت آوي بسرعة وعادت إلى المطبخ. لم يكن في وسعها أن تجعل ناناكو ترى عينيها وهما تمتلئان بالدموع.

نادت ناناكو من مكانها، وهي تمط الكلمات قليلاً، «أتعلمين، يا أوكينز، إنَّ منزلكم يشيع حقاً إحساساً بالارتياح. هل لي أن أرى غرفتك أيضاً؟ لاحقاً؟».

قالت آوي «طبعاً»، وهي تفتح الحنفية وترش وجهها بالماء.

«آآآه، الكاليبس لذيذ جداً!» استنشقت ناناكو الهواء معبِّرة عن استمتاعها. بالمناسبة، يا آوي، أنت جديدة في هذا المكان، لهذا لعلَّك لم تتعرَّفي إلى أماكن كثيرة بعد، أليس كذلك؟ قد أتمكن ذات يوم من مرافقتك إلى مكان خاص أعرفه. إنه مكاني السرّي منذ أن كنت في المدرسة الابتدائية».

استمرت ناناكو في الثرثرة من دون توقف على هذه الصورة مما ذكَّر آوي بنساء في عمر والدتها رفضن أن يضمرن أي قدر من الشك أو القلق تجاه الناس

الآخرين. ومن المطبخ، نطقت آوي لازمتها الشهيرة «أهاه» وهي تواصل رشَّ وجهها بالماء. كان الماء هنا يخرج من الحنفية أشدَّ برودة مما يفعل في شقَّة يوكوهاما.

لماذا تعقد هذه الفتاة صداقة معها؟ لماذا طلبت أن تأتي إلى منزل آوي؟ لماذا أرادت أن تطلع آوي على مخبئها السرّي؟ لماذا انتقت آوي؟ ماذا تريد؟

رغبت آوي بألم في أن تطرح هذه الأسئلة لكنها لم تتمكّن، فاكتفت بالهمهمة «أهاه، أهاه» في حين ظلَّت صديقتها الضئيلة تواصل ثرثرتها. وأخيراً مدَّت يدها إلى الحنفيَّة وأحكمت إغلاقها. عندما نصبت قامتها، تدحرجت قطرات من الماء على وجهها وسقطت على أرضية المطبخ كالدموع.

-3-

تقرَّر البدء بالتدرُّب على المغامرة الجديدة في التدبير المنزلي في الثاني من شهر حزيران، وهو يوم عمل سايوكو الأول. نصحتها آوي بارتداء ملابس لا يهمُّها إن اتَّسخت وبأن تكون أمام فرع مصرف طوكيو–ميتسوبيشي قبالة المدخل الجنوبي لمحطة ناكانو عند الساعة التاسعة صباحاً.

عقدت سايوكو العزم على ألا تتأخَّر إلى درجة أنَّها وصلت قبل الموعد المحدَّد بعشرين دقيقة. وقفت وظهرها يواجه مصراع المصرف المغلق في أثناء انتظارها، وراحت تحدق في المطر الهاطل برفق وتفكر في أكاري. كانت قد تركت ابنتها مع الجدَّة تامورا قبل وقت وجيز. أتراها تبكي الآن؟

كانت أمهات أخريات تعرفهن قد حذَّرنها من مدى صعوبة إيجاد مكان في مدرسة حضانة مجازة، وتذكَّرت أنَّها قرأت عن الشيء نفسه في مجلات الآباء، ولكن بصورة ما لم تقتنع بأنَّ هذا ينطبق عليها. تخيَّلت بسعادة أنَّ كل ما عليها أن تفعل هو أن تسلِّم طلب استمارة، وعلى الفور سيستقبل المكان الذي ستختاره أكاري بكل ترحاب. لذا أمضت الأسابيع السابقة لالتحاقها بالعمل في القيام بزيارات كل مدرسة حضانة تقع ضمن نطاق مسافة يمكن قطعها سيراً على الأقدام بدءاً من مسكنها، وتفحَّصت بعناية المكان المحيط بالموقع كلِّه ومساحة الملعب بالإضافة إلى مراقبة نوعية الأطفال وكيفية تفاعل الهيئة المشرفة معهم. ولكن عندما توصلت إلى الاستقرار على ثلاثة خيارات وقدَّمت

الطلبات، قيل لها منذ خيارها الأول إنّ لديهم عشرة أشخاص ينتظرون دورهم؛ وعلى الرغم من أنّ لوائح الانتظار اختلفت من مكان إلى آخر، لم تستطع أي من المدارس أن تقبل أكاري على الفور. وأفضل ما تمكّنت سايوكو أن تفعله هو أن تضع أكاري على لائحة الانتظار. ومع حلول موعد التحاقها بالعمل، اضطرّت إلى أن تطلب من حماتها غير الموافقة أن تجالس الطفلة إلى أن تفتح إحدى المدارس أبوابها لها.

كانت آوي قد قالت إنّ سيارة نقل بيضاء تحمل شعار «خدمة المنازل» على جانبها سوف تأتي وتنقلها. وفي أثناء مراقبتها قطرات المطر تقطر من مظلّتها والزمن يمر، شعرت سايوكو كأنّها عاملة يومية مشرّدة تنتظر في الحديقة العامة مجيء سمسار الأشغال. وعلى الرغم من أنّ ذلك كان يوم عملها الأول منذ خمس سنوات، إلا أنّ قلبها لم يكن يخفق بسرعة، ولم تشعر بحماسة استثنائية، ولم تكن متوترة أكثر من المعتاد. بدلاً من ذلك كانت مفعمة بتصميم متحد على أنّها، واللعنة على كل شيء، سوف تنجز هذا العمل، مهما كانت النتائج. وكانت والدة شوجي قد وافقت سلفاً على استقبال أكاري، ولكن في صباح ذلك اليوم عندما ذهبت سايوكو لتودعها، لم يسعها إلا أن تلقي أحد تعليقاتها الساخرة. أعلنت حتى بعد أن مشت سايوكو مسرعة نحو الباب: «*أنا لم أرغب يوماً في أن أكون إحدى تلك الأمهات اللواتي لا يكنّ حاضرات عندما يعود أولادهن إلى المنزل. إنّني لا أفهم كيف يمكن لامرأة أن تتخلّى عن أولادها من أجل العمل*».

لمحت سايوكو شعار «خدمة المنازل» نحو الساعة التاسعة وخمس دقائق وذلك عندما انعطفت سيارة النقل البيضاء التي وصفتها لها آوي إلى البلازا أمام المحطة. فانتقلت بسرعة من موقعها أمام المصرف، وخبّت قدماً باتّجاه فتحة على حافة الرصيف خلف مكان توقّف الحافلات. توقفت الشاحنة وانزلق زجاج نافذة راكب المقعد الأمامي نحو الأسفل. أطلّت امرأة في منتصف العمر ذات

بشرة جافة من مقعد السائق.

قالت باقتضاب فج، وبصوت ذكوري عميق من دون أن تزعج نفسها بسؤالها عن اسمها: «اصعدي من الخلف».

قالت سايوكو مع انحناء مهذّب: «أنا سايوكو تامورا. إنّني أتطلّع إلى العمل معك،» ثم فتحت الباب الخلفي. كان هناك عدد من النساء جالسات أومأن بشكل مبهم باتجاهها.

«صباح الخير. أنا سايوكو تامورا من بلاتينوم».

صاحت السائقة بنزق «ادخلي، ادخلي»، فصعدت سايوكو على عجل إلى متن الشاحنة.

استقرّت في المقعد خلف السائقة المجاور لامرأة شابة ذات شعر أشقر يميل إلى البياض. وفجأة شعرت بمن يربّت على كتفها فاستدارت لتجد آوي جالسة في وسط المقعد التالي إلى الخلف.

هتفت: «آنسة ناراهاشي! ماذا تفعلين هنا؟».

قالت بصوت منخفض: «أنا أيضاً يجب أن أتعلّم الصنعة»، ورسمت لسايوكو إشارة السلام.

إلى يمين آوي جلست امرأة أكبر سناً ذات شعر غزاه الشيب جمعته عند خلفية رأسها؛ وإلى يسارها جلست امرأة ذات وجه طفولي لا تضع أي مساحيق لكن الظاهر أنّها بدأت تتقدّم نحو سن الأربعين. لم تنطق أي منهما بأيّة كلمة، وآوي أيضاً لم تنطق بأيّة كلمة. كان جلياً أنّ تلك لم تكن اللحظة المناسبة لتبادل التحية التي كانت سايوكو قد تدرّبت عليها في الليلة السابقة في مغطس الحمّام. ولم يكسر جدار الصمت غير صوت ماسحة حاجب الرياح فوامب—فوامب في السيارة. وسرعان ما تغيّر الضوء الأحمر المشوّش من خلال الماء الجاري على الزجاج إلى اللون الأخضر وتقدّمت سيارة النقل. تراجعت محطة ناكانو داخل

المدى خلف ستار من قطرات المطر.

«*سمسار أشغال ينتقي عاملات يومية مشرّدات*». تذكّرت سايوكو الصورة التي عبرت ذهنها في أثناء انتظارها وصول سيارة النقل، وهزّت رأسها بينها وبين نفسها لأنّها تذكّرتها جيداً. السائقة كانت هي السمسار، وسايوكو والأخريات كنّ ربات بيوت بلا عمل يكسبن لقمة عيشهن وجدن أنفسهن يهمن على وجوههن. وسرعان ما أبعدت سايوكو تلك الأفكار المهينة للذات بأن راحت تردد مقنعة نفسها أنّها ستواصل طريقها مهما كانت النتائج.

بعد مرور نحو عشرين دقيقة، نادت السائقة ثلاثة أسماء، فخرجت صاحبة الشعر الأشقر، وصاحبة الشعر الشايب، وصاحبة الوجه الطفولي، ولحقن بها إلى مبنى الوحدات السكنية. بعد ذهابهن، التفتت سايوكو إلى آوي، لكنّها وجدتها غافية فاغرة الفم. فجلست بهدوء وانتظرت.

سرعان ما رجعت السائقة وعادت بسيارتها إلى حركة المرور من دون أن تنبس بكلمة. وبعد مرور عشرين دقيقة أخرى، توقّفت أمام مبنى ذي واجهة بيضاء من الآجر وأعلنت «فليخرج الجميع».

خرجت سايوكو وآوي ناعسة العينين من سيارة النقل. كان هطل المطر لايزال على حاله، لا أخفّ ولا أقوى. أفرغت السائقة بعض معدّات التنظيف من الخلف ومن ثم أوصدت الصندوق.

قالت بفظاظة: «اتبعاني»، وسارت باتّجاه المبنى حاملة دلواً في كل يد. أدخلت الرمز السرّي لباب الأمن وسمحت لهما بالدخول، ومن ثم قادتهما إلى المصعد وضغطت الرقم 5. تبعتها كل من سايوكو وآوي جنباً إلى جنب، وسارتا في صمت. كانت آوي تفتح عينيها على اتساعهما وترسم بقسمات وجهها حركات مضحكة كلما تقابلت عيونهما.

تقدّمن في رتل واحد على طول رواق الطابق الخامس الشديد النظافة إلى

باب يحمل الرقم 506. توقّعت سايوكو، من مظهر البناء الخارجي الأنيق، أن تجد جناحاً من غرف مرفهة، ولكن ما شاهدته عندما فتحت المرأة الباب ودفعته جعلها ترغب في التراجع.

قالت المرأة، وهي تلج المكان: «ادخلا».

خطت سايوكو بتوتُّر إلى ما اتَّضح أنَّه شقة صغيرة خالية لا تحوي إلا غرفة رئيسة مساحتها حوالي أربعة أمتار في خمسة. بدا أنَّ أنفاس الساكن السابق لاتزال عالقة قليلاً في الجو، وكأنَّ المكان أخلي قبل بضع لحظات فقط. ومقارنة بما مررن به في أثناء صعودهن، بدا داخل الشقَّة قديماً وعتيق الطراز، واقشعرَّ بدن سايوكو جراء القذارة المذهلة التي رأتها في كل مكان. فهناك الكثير من البقع التي تمحو لون السجادة المكسوَّة بالشعر الساقط. وكانت الغرفة بأكملها مغطَّاة بحبيبات صغيرة، بيضاء، تشبه الحصى يبدو أنَّها أتت من صندوق مهاد القطة. وحوَّلت طبقة رقيقة من النيكوتين لون ورق الجدران إلى لون الشمس الغاربة، وعلقت مادة مجهولة بالجدران على شكل بقع أيضاً.

لم تكن حال المطبخ المصغَّر ذي مساحة المترين مربَّعين أقلَّ سوءاً. ففتحة التهوية المتهالكة مغطَّاة بكثافة بشحم أسود، وشكَّت سايوكو في أن تستجيب شفراتها لمفتاح التشغيل. وكان كامل سطح موقد الغاز أيضاً مكسواً بطبقة صلبة من الشحم والغبار وفتات الطعام المطبوخ عليه. وتساءلت سايوكو، وعيناها تتجولان في أرجاء الغرفة، ترى كم ستستغرق من عمل؟ ترى، كم من الوقت يستغرق جعل الأمور تسوء في هذا المكان إلى هذه الدرجة؟

شهقت آوي عندما دخلت خلف سايوكو: «أعوذ بالله!».

جمدت سايوكو في مكانها، متوقعة أن تتلقَّى آوي تعنيفاً بسبب انفجارها هكذا. ولكن بدلاً من ذلك التفتت المرأة إليها وعلى وجهها ابتسامة ظريفة:

«لماذا صعقت إلى هذه الدرجة؟ إنَّ غرفتك لا تختلف عنها في شيء».

فرحت سايوكو في سرّها لعلمها أنَّ المرأة تعرف كيف تبتسم.

قالت آوي: «على رسلك. أنا لم أتركها تصل إلى مثل هذه الحال أبداً».

قالت المرأة: «حسن، آمل أن تكونا أنتما الاثنتان مستعدتين لبذل جهد جاد. لا تتوقعا أية رحمة مني». ثمّ التفتت لتنظر إلى سايوكو. أعلنت: «مهمتك الأولى هي أن تعيدي هذا المكان إلى سابق عهده من النظافة والترتيب». هاك. «خذي هذا». وناولتها أحد الدلوين المملوءين بمعدات التنظيف وقالت: «سوف تبدئين بالمطبخ. آوي، أنت استلمي الحمّام والمرحاض. وبعد ذلك يأتي دور الغرفة الرئيسة. والآن تذكّرا أنَّ هذا يختلف عن تنظيف منزليكما. فلستما مضطرتين بالضرورة إلى تنظيف غرفة الحمّام والمطبخ والرواق وكل شيء وحدكما. يمكن لإحداكما أن تبدأ بتنظيف المطابخ فقط، في حين تستطيع الثانية أن تقوم بتنظيف الحمامات. بعبارة أخرى، إنَّ الهدف هو أن تصبحا خبيرتين في المطابخ والحمّامات. طبعاً، في فترة تدرُّبكما، سوف أمرُّ بالمطابخ والحمّامات والشرفات وكل شيء آخر معكما، لكن هدفكما النهائي هو أن تطوّرا اختصاصكما حتى يمكن القول إنّه لا أحد غيركما يستطيع القيام بعمل أفضل من هذا. أفهمتما؟» ثمّ، وكمدرّسة تخاطب طالباتها أضافت: «ماذا تقولان؟».

قالت آوي: «حاضر، سيدتي»، وبدت أشبه بإحدى تلك التلميذات الصغيرات، وفعلت سايوكو بسرعة الشيء نفسه.

التفتت المرأة نحو سايوكو، وقالت: «أنا لم أعرفك بنفسي بعد. اسمي نوريكو ناكازاتو وأنا مالكة شركة «خدمة المنازل»، وهي شركة تعنى بالمنازل. وسوف أعمل معكما مدة الشهرين القادمين. أهلاً بكما في شركتنا»، ورسمت ابتسامتها الدافئة والمشرقة.

توجهت سايوكو إلى المطبخ، كما طلب إليها أن تفعل، لكنّها لم تكن متيقّنة

من أين تبدأ. تردّدت قليلاً، وملأت الدلو بالماء وبدأت تنثر بعض مسحوق التنظيف في الحوض.

«توقفي عندك. أليس هناك شيء آخر عليك أن تفعليه أولاً؟ إنَّ لديك رأساً تحملينه بين كتفيك، لذا أقترح أن تستعمليه».

التفتت سايوكو فوجدت نوريكو واقفة خلفها، وذراعاها على خصرها:

«ولا تنسي أنَّ لديك ماء حاراً أيضاً. أترين هذا، وهذا، وهذا؟ يتعيَّن عليك أن تغرقي كل ما يمكن إزالته بالماء الحار والصابون على الفور، لكي تزيلي السخام. ثم تنتقلين إلى تنظيف شيء آخر ريثما تنقع تلك الأشياء. أفهمت؟ ماذا تقولين؟».

قالت سايوكو بوهن: «حاضر سيدتي». سدَّت المغسلة وفتحت حنفية الماء الحار. وبينما المغسلة تمتلئ التفتت بحثاً عن قفاز مطاطي في وعاء معدّات التنظيف التي أخرجتها من دلوها قبل ثوان. فتشت في فوضى بين الممسحات، والمنظفات، والأدوات المرتَّبة لكنها لم تجد بغيتها.

مرة أخرى ضجَّ صوت نوريكو من خلفها: «أعتقد أنَّك تبحثين عن قفاز. آسفة، ليس لدينا أياً منها. في عملية التنظيف يداك المجرَّدتان هما صديقتاك الأكثر جدارة بالثقة. بيديك المجرَّدتين تستطيعين أن تشعري بالخشونة على الفور، إذا ما تبقَّت أية قذارة. أما إذا لبست قفازاً فلن تشعري أبداً بأيِّ شيء. لا تقلقي، كلُّ منظفاتنا من مواد طبيعية، لذلك لن تؤذي يديك. أما تلك التي تؤذي يديك فقد تكون قاسية على القذارة، ولكن إذا كانت قاسية جداً على بشرتك، فستعرفين أنَّها سامَّة. كل ما في الأمر أنَّ الناس هذه الأيام يحاولون أن يحفروا الزوايا باختيار أقوى ما يمكنهم العثور عليه من مواد كيميائية».

عندما باشرت نوريكو هذه الخطبة العصماء، توقفت سايوكو عن العمل والتفتت لكي تصغي، ولكن سرعان ما تلقَّت الأمر: «كلا، كلا، تابعي العمل

في أثناء كلامي»، ومنذ تلك اللحظة راحت تومئ برأسها أو تلفظ بين حين وآخر «أهاه» أو «فهمت» وهي تفصل المقضب عن سطح الفرن والمراوح عن منفذ التهوية. كان كل ما تلمس لزجاً بالشحم. ونقعت الأجزاء المنفصلة بالماء الحار في المغسلة.

طوال الأسابيع الماضية كلها، كانت مقتنعة بأنَّ العودة إلى العمل ستحل مشاكلها كلّها. أما الآن، وهي تغمس المروحة المكدَّسة بطبقة من الشحم في الماء، لم تعد متيقّنة من ذلك. في اليوم الذي قامت فيه بوصف عملها لشوجي، أجاب بما يمكن فقط اعتباره محبطا:

«أوه، إذن فنحن في الأساس نتحدث عن عاملة نظافة».

لقد آذاها هذا الجواب، ولكن في الحقيقة، ها هي ذي، عاملة تنظيف. إنّها تنظّف مغسلة وموقد مطبخ شخص مجهول وهي تصرُّ على أسنانها جرّاء تعليقات حماتها الساخرة وينتابها القلق من أنّه حتى في هذه اللحظة لعلَّ ابنتها تنتحب. فكيف يمكن لهذا أن يحل أي مشكلة؟

حالما انهالت سايوكو على سطح الموقد بالكاشطة، قاطعت حبل أفكارها ملاحظة أخرى من نوريكو. حثّتها قائلة: «توقفي، على مهلك! حاولي أن تكوني أكثر رقّة، وبحركات دائرية».

خفّفت سايوكو من ضغطها وبدأت تحرّك قطعة القماش بحركات دائرية. وفعلاً، بدأت مقاومة القذارة تحت وطأة ضرباتها تذوب.

حالما شعرت نوريكو بالرضا عن أداء سايوكو، انتقلت إلى غرفة الاستحمام وبدأت تطلق تعليماتها إلى آوي. مدَّت سايوكو رأسها نحو الخارج لترى ما تفعله آوي، لكنَّ الباب الموارب سد مجرى الرؤية عليها. لم تتمكّن إلا من سماع صوتيهما.

«شيء مقزّز! إنّه أشبه بمساحات من الأعشاب البحرية».

«لا داعي للتعليق. فقط اكشطيه بإحدى تلك العصي. وبعد أن تزيليه، رشّي بعضاً من هذا في أرجاء المكان، ودعيه ريثما تقومي بتنظيف المغطس. أفهمت؟ ما قولك؟».

«حااااضر سيدتي. أوووف. هذا كريه جداً!».

«أنا قلت إنّه يمكن إعفاؤك من التعليق».

بدا الأمر أشبه بفصل هزلي مكرّر، واضطرت سايوكو إلى إخماد ضحكة وهي تعود إلى عملها. ومع طول أداء عملها ببطء على سطح الموقد، أصبحت قادرة على أن تتكّهن بما يشبه الدقة المرحة متى ستزول بقعة قذرة. وتلاشت مقاومة الشحم القاسي ببطء، شيئاً فشيئاً، ثم انفصل، واستطاعت أن تشعر باللحظة الدقيقة التي يزول فيها آخر أثر للحك ويتلاشى - وكأنَّ قطعة التنظيف ولجت فجأة فراغاً دائرياً صغيراً. وضعت قطعة التنظيف جانباً وراحت تداعب سطح الفولاذ العاري الخالي من البقع بيدها الأخرى. كان السطح الصقيل ينزلق بنعومة من تحت أصابعها، تماماً كما قالت نوريكو.

ما أن تعلّمت سايوكو عملية زوال القذارة، حتى تحوّل كشط الأرضية المبقّعة بالشحم وهي تركع على يديها وركبتيها وتغوص عميقاً داخل الخزانات لتنظّف أحد الأرفف إلى متعة غير متوقّعة. كانت قطعة الإسفنج المملوءة بالصابون ترسم دوائر لا حصر لها على الأرضية، تدور وتدور وتدور، وهي تشعر بطبقات الشحم تنفصل تدريجياً من تحتها، وشعرت أيضاً بذهنها المزدحم بالأفكار يفرغ منها باطّراد. وسكت صوت حماتها الساخر، وتلاشت لوائح انتظار مدرسة الحضانة، واختفت الشكوك حول ما إذا كان العمل هو الحل في الهواء، وحلَّ محلّها فضاء ممتد واسع وشاسع. كان فضاء وجدت أنه مريح جداً ويبثُّ السكينة في النفس حتى إنّها ودَّت لو تستمر فيه إلى الأبد.

لايزال هناك قدر كبير من العمل يجب إنجازه، لكنّهن توقفن اليوم قبيل

الساعة الخامسة. وفي سيارة النقل، تبعت نوريكو طريق العودة الذي جاءت منه في صباح ذلك اليوم، وتابعت طريقها نحو محطة ناكانو بعد أن توقفت لتقلّ النسوة اللائي نزلن على الطريق. كان التعب بادياً على وجوه الجميع.

جلست سايوكو خلف مقعد السائقة، وراحت ترمق باستمرار ساعة يدها. أرادت منها آوي أن تتوقف عند المكتب لكي تباشر عملاً مكتبياً لكنَّها كانت قد وعدت الجدَّة تامورا بأنَّها ستأخذ أكاري عند الساعة السادسة. ووفق معدَّل السرعة الذي كنَّ يسرن به، ستكون الساعة قد بلغت السادسة عندما يعدن إلى المكتب، مما يعني أن ستاً وثلاثين دقيقة على الأقل ستمر قبل أن تتمكَّن من الانتهاء من كتابة تقريرها اليومي وتتوجه إلى المنزل.

سألت سايوكو بخوف وسط هدوء سيارة النقل: «هل يسمح لي بإجراء اتصال هاتفي؟».

التفتت آوي لتنظر إليها من مقعد الراكب الأمامي: «بمن؟».

«لقد تركت ابنتي مع جدَّتها، وأنا في حاجة إلى إعلامها بأنَّني قد أتأخَّر. وإلا فلن أتخلَّص منها».

كان من المزعج التفكير في التعليقات الساخنة التي تخبئها لها الجدَّة تامورا، لذا حاولت أن ترفع من معنوياتها بقول ذلك بنبرة صوت خفيفة قدر استطاعتها:

«في الواقع، في هذه الحالة، لم لا تخططي لإنجاز عملك المكتبي في المنزل؟ يمكنك أن تتوجهي فوراً إلى منزلك من ناكانو».

«هل يجوز هذا؟».

«طبعاً، يمكنك أن تكتبي تقريرك في أي مكان. أنت تتحدثين عن والدة زوجك، أليس كذلك؟ أهي إحدى أولائي الحموات القادمات من الجحيم؟».

سألت آوي هذا السؤال، ولاتزال تلتفت خلفها وهي على كرسيها، كطفلة لا تطيق صبراً لمعرفة ماذا سيحدث بعد ذلك في الحكاية.

«لا أدري إن كان في وسعي قول هذا، لكنَّها تحبُّ أن تلقي تعليقات ساخرة، وأحياناً تفرط في المبالغة».

مالت سايوكو نحو الأمام لتقترب من آوي، لشعورها بالخجل أمام النساء الأخريات، وخفضت صوتها لتقول هذا. أما آوي فلم تبد مثل هذا التحفظ.

قالت، وهي تهز قبضة يدها: «أوه، عظيم! إذن هي تعلق تعليقات ساخرة. إنَّ أمثالها يحتاجون إلى لكمة على الأنف!»

تبادلت المسافرات الأخريات، الصامتات، اللواتي كنَّ يحدقن كل من أقرب نافذة إليها بين حين وآخر، النظر فيما بينهن بقلق برهة ومن ثمَّ انفجرن بالضحك. وسرعان ما انضمت نوريكو إليهن، وهي تميل على المقود. وفجأة تلاشى التعب الذي كان يثقل الجو، وهبَّت نسمة منعشة من المرح لتحلَّ محله.

قالت الشقراء بين القهقهات: «إنَّها على حق. يجب أن تسددي إليها لكمة قوية».

قالت ذات الوجه الطفولي: «آه، ليتنا نستطيع أن نفعل ذلك».

قالت ذات الشعر الشائب: «كلا، حقاً، أنتن شابات اليوم أقوى بكثير، فلم لا تفعلن ذلك»، ثم أضافت وقد باشرت قصة شخصية مأساوية: «في سالف أيامي، كل ما استطعنا أن نفعل كان رسم ابتسامة عريضة وتحمُّل، مهما أسيئت معاملتنا».

بدا أنَّ نوريكو، الجالسة وراء المقود، غير قادرة على الكف عن الضحك. كان كتفاها يهتزان وهي تقود.

ترجَّلت سايوكو من السيارة مع الأخريات عند محطة ناكانو، وانحنت لهنَّ مودِّعة، واتجهت نحو بوابة قطع التذاكر. عندما سمعت آوي تناديها، توقفت

والتفتت.

صرخت: «قمت بعمل جيد اليوم! لا تدعي الجدَّة تضايقك»، وهي تهزُّ قبضة يدها في أثناء ذلك من جديد. وكانت النسوة الثلاث اللواتي لم تتذكَّر أسماءهن يتسمن ابتسامات دافئة ويلوِّحن لها بأيديهن. ومرة أخرى انحنت سايوكو انحناء عميقاً واستدارت لكي تمرَّ من البوابة.

اندفعت ترتقي الدرج إلى الرصيف، ثم قفزت تستقل القطار المتوجه غرباً ومسحت العرق الذي يندّي جبينها. كان صوت آوي وهي تحثُّها على ألا تدع الجدَّة تهزمها لايزال يرن صداه في أذنها، وابتسمت. وكما افترضت سايوكو بتبسيط ساذج أنَّ امرأة تدير شركتها بنفسها يجب أن ترتدي ملابس أنيقة وتضع مجوهرات نفيسة، لا شك في أنَّ آوي أيضاً تذكَّرت الجفاء النمطي السائد بين الحماة والكنَّة الذي تصوِّره المسلسلات التلفزيونية وأفلام الكرتون - التي تلعب على صيغ قديمة ومبتذلة لاستجلاب الضحك السهل.

تأمَّلت انعكاس صورتها الأشعث على زجاج النافذة وغمغمت بهدوء لنفسها: ***«لا تدعي الجدَّة تضايقك»***.

في صباح اليوم التالي، عندما وصلت سايوكو كانت امرأة ظنَّت أنَّها تعرفها تنتظر أمام المصرف. وسرعان ما تعرَّفت إليها؛ كانت إحدى اللواتي قابلتهن في مكاتب شركة بلاتينوم بلانت يوم ذهبت لكي تتسلَّم العمل، لكنها لم تتمكَّن من تذكُّر اسمها على الفور. ودهشت من مدى إحساسها بالخيبة عندما عرفت أنَّ آوي لن تأتي.

قالت سايوكو، وهيَ تؤدي الانحناء الرسمي لزميلتها، المتقدمة عنها، التي خمَّنت أنَّها أصغر منها في السن بحوالي عشر سنوات «صباح الخير. إنَّني أتطلَّع إلى العمل معكن».

أخذت المرأة الأصغر سنا تسير بخطوة سريعة وحذرة. قالت، وكأنما تعرف

كل منهما الأخرى منذ سنين: «أخبريني، أخبريني، أنت ذهبت بالأمس، أيضاً، صحيح؟ كيف كان الأمر؟ هل كان العمل شاقا؟».

من جديد، عند الساعة التاسعة وخمس دقائق، توقفت سيارة النقل عند المنعطف، تحت سماء مكفهرّة، وصعدت سايوكو إلى الجزء الخلفي مع زميلتها الشابة. كان يجلس هناك طاقم مختلف كلياً عما كان بالأمس. جلست المرأة الشابة إلى جوار سايوكو وراحت تثرثر من دون توقف في أذنها. وتذكرت سايوكو، وهي تصغي، أنَّ اسمها كان جنكو أيوابوتشي، وأنَّها كانت تشغل منصباً مؤقتاً في شركة للنشر قبل أن تلتحق ببلاتينوم بلانت.

أوصلتهن نوريكو إلى موقع العمل نفسه كما في الأمس. وهناك، أصدرت تعليمات لسايوكو بأن تواصل العمل في المطبخ في حين قادت جنكو إلى الغرفة الرئيسة. وسرعان ما تلقَّت الفتاة الشابة المعاملة نفسها التي كانت سايوكو قد تلقَّتها في اليوم السابق.

«لا يمكنك أن تزيلي الغبار عن السقف بنفضه بالمنفضة. استخدمي عقلك. لديك عقل، أليس كذلك؟».

«لا يكفي أن تكنّسي السجادة، بل يجب ضربها! أفهمت هذا؟ ماذا تقولين؟».

أصغت سايوكو من المطبخ في أثناء تنظيفها بعض بقع الشحم العنيدة على منفذ التهوية بمكشطة.

في مطعم الأطعمة السريعة حيث ذهبتا لتناول وجبة الغداء، بدأت جنكو تشكو بصوت عال:

«يا إلهي، لقد هلكت! هذه قذارة كاملة. لم أسمع بمثلها من قبل. إنّني حقاً لا أصدق هذا، أأنت جادة؟ انظري إلي»، قالت هذا، وهي تقحم وجنتها نحو الأمام لكي تتفحّصها سايوكو وتستمر في شكواها المرّة: «إنَّ مساحيقي

تذوب، أليس كذلك؟ هيه، انتظري لحظة! إنَّك حتى لا تضعين شيئاً على وجهك. يا إلهي، كان يجب أن تخبريني. كيف كان لي أن أعرف أنَّ ما ينتظرني عمل شاقّ؟»

كان مسحوق وجهها قد بدأ فعلاً يتهاوى، لكنَّ سايوكو اكتفت بالإيماء برأسها بحركة غامضة وهي تزيل الورقة التي تغطي شطيرتها بأصابع متجعدة.

«أنا جادَّة، يجب أن أتحدَّث مع الرئيسة حول هذا. عليها أن ترسل ماو أو شخصاً آخر عوضاً عني. أعني، إنَّ ظهري لا يستطيع التحمُّل أكثر من ذلك. وهذا ليس مجرد كلام. أعاني من ألم في عمودي الفقري يلازمني منذ الولادة. والمشكلة مع الآنسة ناراهاشي هي أنَّها لا تتحمَّل التفاصيل. لم تمدَّني بوصف واف للعمل».

عندما قابلت سايوكو جنكو إيوابوتشي للمرَّة الأولى في المكتب، لم يبد عليها أنَّها من النوع الثرثار هكذا. أما الآن، المرة الوحيدة التي سكتت فيها كانت عندما أخذت قضمة جديدة من الشطيرة، وفيما عدا ذلك نجحت في مواصلة سيل الثرثرة حتى وهي تمضغ وتبتلع. ظلَّت الكلمات تخرج من فمها مطراً لا ينقطع، واكتفت سايوكو بالإيماء برأسها أو بالغمغمة بين حين وآخر لكي تبيِّن لها أنَّها تصغي.

«لعل هذا يعني فقط أنَّها لا تثق فيَّ كثيراً. ولكن عندما أنظر إليها، لا أرى شخصاً ماهراً في وضع خطط للمستقبل. وكأنَّها لاتزال حبيسة عقلية طالبة أو ما شابه، أتفهمين؟ ولولا إشراف يوكي ياماغوتشي على الشؤون المالية، لما استطعنا الاستمرار شهراً واحداً. يسألها أحدهم: «ما رأيك في هذا، يا رئيسة؟» فتقفز إلى المنصة حتى من دون تفكير. ربما لا يجدر بي أن أتكلَّم عن رؤسائي هكذا، لكنَّها تتصرف بلا أي تخطيط. وأعتقد أنَّ الأمر سينتهي إلى فقدان

عملها كلّه. أنا أعرف لأنّني أمضيت خمس سنين أعمل لصالح ناشر كبير. وأرى أشياء طوال الوقت من الواضح أنّه ليست لديها أدنى فكرة عنها».

لاحظت سايوكو انعكاس وجهيهما على المرآة المثبّتة على الجدار. كانت رفيقتها ظئيلة ولكن متينة البنية جالسة قبالتها وتحت ذراعيها بقع سوداء ومساحيق وجهها ملطّخة بالعرق. سايوكو نفسها كان لديها خصلات رفيعة من الشعر ملتصقة بجلدة رأسها كبقعة من أعشاب البحر، ووجهها المجرّد من المساحيق يبدو شاحباً وسقيماً.

عندما وجدت أنّ انتباه سايوكو يتشتّت، مالت جنكو عبر الطاولة وخفضت صوتها حتى مستوى الهمس:

«أنت لا تعلمين هذا، ولكن في الواقع هناك حول الآنسة ناراهاشي أكثر مما تراه العين».

«أكثر مما تراه العين؟ أتقصدين أنّها مديرة ماكرة أو ما شابه؟».

«كلا، لا شيء من هذا. أنا أتحدّث عن تاريخ حياتها. يقولون إنّ أخبارها كانت تملأ الصحف».

«أكانت طفلة عبقرية أو ما شابه؟». ضايقت سايوكو نبرة صوت رفيقتها، لكنّ الفضول نال منها:

«أوه، مستحيل. أتبدو هذه لك عبقرية؟ فلنقل فقط إنّها عاشت حياة حافلة»، قالت هذا بأناقة. ثم سكتت لكي تلعق عصير البندورة عن إصبعها: «وعندما يقولون إنّ أخبار أحدهم ملأت الصحف، فلابد أنّهم يتحدثون عن حادث جلل أو فضيحة من نوع ما».

كادت سايوكو تطلب المزيد من الدقّة، ولكن قبل أن تتمكّن من فتح فمها لاحظت وجود ساعة على الجدار.

«يبدو أنّه حان وقت العودة».

نهضت واقفة وباشرت بسرعة في جمع الأكواب وأوراق لفّ الشطائر داخل صينيتهما. وأطلقت جنكو تنهيدة طويلة عميقة.

عادت سايوكو إلى كشط الشحم وبقع النيكوتين عن جدران المطبخ، وراحت تفكر في أنَّ نساء كجنكو إيوابوتشي هنَّ السبب المباشر لاقتناعها أحياناً بأنَّ لا شيء سيسير على ما يرام، وأصيبت بكآبة شديدة منعتها من الخروج. لقد قابلت أشخاصاً مثلها من قبل، في الجامعة وفي فترات سابقة، تعود إلى طفولتها - وطبعاً، في شركة توزيع الأفلام حيث عملت قبل أن تتزوّج، أيضاً. إنَّ أمثالها يأتين إليك كما لو أنّهنَّ من أفضل صديقاتك وتتقاسمين معهنَّ أسرارك كلَّها، ثمَّ يوجهن لك الانتقادات هنا وهناك، متوقعات منك أن توافقي على كلِّ ما يقلن. ولكن تريهنَّ بعد ذلك يألفن شخصاً آخر ويجعلن منك هدفاً لتشويه السمعة. وبينما سايوكو تفكّر في هذا، عادت الشكوك التي كانت قد بدأت تخمد إلى الظهور من جديد: «هل العمل أمر مهم إلى هذه الدرجة بالنسبة إليها حتى وهي تضع ابنتها على لائحة الانتظار للانتساب إلى مدرسة حضانة؟». وبينما تعالى تردُّد صدى هذا السؤال في رأسها، حاولت أن تخنقه بتركيز تفكيرها فقط على الحركات الدائرية لقطعة الإسفنج. قاوم الشحم الإسفنج، وتشبَّث بعناد بالجدار، وكلما أنتجت المادة المنظّفة رغوة أكثر، أصبحت قطعة الإسفنج أثقل حركة.

كانت بين حين وآخر تسمع نوريكو تصحّح بنزق أعمال جنكو في الغرفة الرئيسة:

«ماذا قلت لك؟ لن تتمكني من إدخال أصابعك السمينة هناك. استخدمي العصي. أفهمت؟ ماذا تقولين؟».

أنزلتهما نوريكو عند محطة ناكانو فاستقلتا القطار العائد إلى المكتب في أوكوبو. صعدت جنكو الدرج شاردة خلف سايوكو، وهي تئنُّ باستمرار

وتتذمّر من حال ظهرها البائسة وتريد أن تعرف لماذا لا يحتوي بناؤهم مصعداً.

ألقت سايوكو نظرة سريعة على ساعة يدها. كانت الساعة الرابعة والنصف. لعلّها تتمكن من كتابة تقريرها وتغادر بحلول الساعة الخامسة، وهكذا سوف تأخذ أكاري عند الساعة الخامسة والنصف. كانت لاتزال مشغولة بتلك الأفكار عندما ارتطمت بشخص آت من الجهة المقابلة عند منبسط درج الطابق الثالث.

قالت، وهي ترفع عينيها: «أنا آسفة». بدا لها الشاب مألوفاً.

نادت جنكو من الخلف: «أوه، مرحباً، تاكيشي!» تذكّرت سايوكو أنّه شخص آخر كانت قد قابلته يوم جاءت لتتسلّم العمل. وكانت آوي قد قدّمت تاكيشي كيهارا ليس عضواً في هيئة الموظفين بل شخصاً يمدُّ يد المساعدة عند الضرورة.

قالت مع ابتسامة ودية، وقد توقّفت عن التقدُّم: «مرحباً! أرى أنّكم جميعاً تعودون إلى الظهور باطّراد؟ لابد أنّك مرهق تماماً».

صرخت جنكو: «هذا وصف متواضع إن اعتبر وصفاً أصلاً. إلا أنّه أسوأ بكثير! كيف استطاعت أن تفعل هذا بنا؟»

التفت تاكيشي نحو سايوكو: «أيُّ نوع من الأعمال هو بالضبط – العمل الذي تؤدون؟» واستقر على درابزين الإسمنت.

قبل أن تتمكّن سايوكو من فتح فمها، كانت جنكو تجيب نيابة عنها: «أتصدق أنّه تنظيف المنازل؟ ودعني أخبرك شيئاً، إنّه عمل شاق. أعني، في مجمله»، وجلست على الدرج.

«إذن من المفترض أنَّ السيدة تامورا تترأس فريق عمل جديداً لتنظيف المنازل، هل أحسنت الفهم؟».

«بالأمس الرئيسة نفسها ذهبت إلى هناك، إذن هي تعرف بالضبط ما الذي أقوم به، لكنّها لم تنطق بكلمة. وكان حظي عاثراً!».

نقَّلت سايوكو نظرها بين الاثنين وساعة يدها بما أنَّ حديثهما المتبادل استمر بلا توقف. وبدا أنّهما استقرا على أن يمدّا فترة الحديث.

أخيراً قالت بصوت منخفض: «أنا آسفة، يجب أن أذهب»، وهي تصعد الدرج. ناداها تاكيشي، فتوقفت لكي تلتفت.

قال مع ابتسامة وتلويح باليد: «يجب أن تخبريني تفاصيل أكثر عن عمل تنظيف المنازل هذا في وقت لاحق».

لسبب ما أثَّر هذا العرض من الود في سايوكو بطريقة خاطئة. أومأت برأسها بحركة فاترة وأسرعت خطاها.

سمعت جنكو تعلن في الأسفل: «أستطيع أن أخبرك بكل–ل–ل شيء عنه».

عندما دخلت سايوكو كانت آوي وحدها في المكتب، منهمكة على مائدة الطعام. رفعت نظرها عما كانت تفعل.

قالت، وكأنَّ طالبة تخاطب زميلتها: «هيه، مرحباً! كيف الحال؟».

سألت سايوكو، وهي واقفة في قاعة الطعام طبعاً: «أومم، هل هناك طاولة معيّنة يجب أن أستخدمها؟»

أشارت آوي إلى الكرسي الفارغ قبالتها. كانت هناك أكوام من الأسطوانات المضغوطة، وأشرطة الفيديو، والمجلات، والبطاقات البريدية وما شابهها مبعثرة على مساحة الطاولة كلها. جلست سايوكو، وأزاحت بعض الأغراض جانباً لكي تفسح بعض الحيِّز، ثم مدَّت يدها إلى حقيبتها وأخرجت الدفتر الذي قرَّرت في اليوم السابق أن تجعله مفكرتها فيما يخص العمل. فتحته أمامها وباشرت الكتابة، خيَّم الصمت على الغرفة، وضعت آوي سيجارة بين شفتيها

وتناولت ولاعتها وهي تراقب سايوكو تكتب:

«إذن، هل لعبت نوريكو دور رئيسة العمل المخيفة نفسه اليوم؟».

قالت سايوكو وهي تضحك: «هذه هي الكلمة الدقيقة التي تصفها حقاً. مخيفة».

«صدِّقي أو لا تصدِّقي، تلك السيدة المخيفة كانت ذات يوم ربَّة منزل متواضعة خنوعاً. وقد قابلتها في الأصل في أثناء رحلة كنت أقوم بها وراء البحار، وكانت قد انفصلت لسبب ما عن فوجها السياحي، وتصادف أن كنت مارة – كنت مسافرة وحدي – فطلبت مني أن أساعدها. كانت في حال من الرعب التام».

سكتت آوي لكي تشعل سيجارتها، ومن ثمَّ استأنفت:

«لقد أمضت سنين عديدة ولم تنجب طفلاً وكان وضعها غاية في البؤس، ولكنها أخيراً تخلَّت عن فكرة إنجاب الأطفال وقرَّرت أن تباشر العمل في مجال التدبير المنزلي مع إحدى صديقاتها. وفجأة بوووم، إذا بها تنتظر مولوداً. وعندما قابلتها في المرة الأولى كانت نموذج ربَّة البيت التي تلغي نفسها، ولكن حالما باشرت عملها، أو ربما بعد أن أصبحت أمَّاً، في وقت ما من تلك الفترة، تحوَّلت إلى كتلة حقيقية من نار».

رفعت سايوكو بصرها عن دفترها: «للسيدة ناكازاتو طفل؟».

«اثنان، في الواقع. أحدهما في الصف الأول والآخر في رياض الأطفال. فبعد الأول، أنجبت الثاني مباشرة».

قالت سايوكو مندهشة: «أهما صغيران هكذا؟».

«أهاه. لأنَّها أنجبتهما متأخرة. تقول لي، إن لم ترغبي في إنجاب الأطفال، فلا بأس، ولكن إن رغبت في ذلك، فأنجبيهم وأنت صغيرة السن، فكلما أسرعت كان أفضل. تقول، إنَّك لا تحتفظين بالطاقة نفسها وأنت في ثلاثينيات عمرك

كالتي كنت تتمتعين بها وأنت في العشرينيات، والوضع يزداد سوءاً وأنت في الأربعينيات. لقد أنجبت طفليها وهي في نحو الأربعين من العمر، وقد حصل ذلك بعد أن باشرت عملها الجديد مباشرة، لذلك مرَّت بوقت عصيب جداً لفترة من الوقت».

قالت سايوكو: «أستطيع أن أتصوَّر هذا». كانت قد كفَّت عن الإصغاء، لكنَّها ألقت نظرة على ساعة يدها واستأنفت الكتابة بسرعة.

«في الواقع، كنت أنوي أن أطلب منك شيئاً. إنَّ هيئة موظفينا تجتمع مرة في الشهر مع أناس من بلدان أخرى، لكي تتضافر جهودنا ونحن نحتسي الشراب. فهل في إمكانك المجيء؟ سوف نجعل منها حفل ترحيب بك، أيضاً. أنا في حاجة إلى أن أعرف الوقت المناسب لك من أجل ذلك».

رفعت سايوكو بصرها. قالت: «أنا مضطرة إلى أن أسأل زوجي». وقد فوجئت باكتشافها أنَّها حتى بعد ثلاث سنوات من مولد أكاري، لاتزال مضطرة إلى ترك ابنتها في رعاية شوجي أثناء ذهابها إلى أي مكان ما عدا محل البقّال. فهل تستطيع أن تفعل ذلك؟

«صحيح. طبعاً. فقط أعلميني إذا كان في استطاعتك المجيء. ويوم السبت ممكن أيضاً، إذا كان هذا يناسبك».

بدأت آوي بجمع الأسطوانات المضغوطة وأشرطة الفيديو المكوَّمة على الطاولة قبل أن تضعها في صندوق متغضِّن.

ربما إذا حدث ذلك في يوم السبت، فلن يعترض شوجي. خصوصاً إذا طلبت منهن أن ينظِّمن الأمر على أن يبدأ في وقت مبكِّر وألا تتأخر كثيراً. وبينما قلمها جرى سريعاً عبر صفحة الورق، أدركت سايوكو مندهشة أنَّها منذ الآن تفكِّر كيف ستجعل الأمر يتم. لقد مرَّ عليها وقت في السابق كانت كلما تلقَّت دعوة لتناول مشروب مع أناس لا تعرفهم تسرع بالفرار إلى الجهة

المعاكسة، أما الآن فشعرت بنبض قلبها يسرع بفعل الشوق. لقد كانت آوي ناراهاشي في مثل سنّها وها هي تدير أعمالها بنفسها، ونوريكو ناكازاتو أعادت اكتشاف نفسها أمّاً عاملة مثل كرة من نار، وكانت سايوكو تتوق إلى مقابلة أناس آخرين يشبهون الاثنتين معاً. أرادت أن تتاح لها فرص للتحدث مع نساء من الأطياف كلها. أرادت شخصاً يطمئنها مرة وإلى الأبد أنّها اتّخذت القرار الصائب بالعودة إلى العمل.

قالت آوي: «أوه، إنها تمطر».

التفتت سايوكو لتنظر من خلال باب «مكتب الرئيسة». كان طاولة مكتب آوي التاتامي ممتلئة كالمعتاد بأكوام عالية من الأوراق والكتب تتمايل وعلى وشك الانهيار. رشّشت حبات المطر النافذة الكبيرة فوق طاولة المكتب وجرت على طول لوح الزجاج.

-4-

قالت ناناكو: «مشروب الشوكولاتة الحار مع القرفة، وفطائر الكريب المحشوة بمثلجات الفانيلا».

ردّت آوي: «بيتزا شاكي المصنوعة من أعشاب البحر».

فردّت ناناكو على الفور: «حقائب يد سازابي».

«في هذه الحال، الأثواب من فلاندر».

اعترضت ناناكو: «كلا، كلا، كلا! قلت دعينا نسمّي أشياءنا *المفضّلة*، وليس مجرد الأشياء التي نريد»، وانتزعت قبضة من الأعشاب السطحية ورمتها على آوي المستلقية على الأرض.

صرخت آوي بود، وهي تتدحرج مبتعدة: «أخ! كفى!».

قالت ناناكو: «حسن، جاء دوري. بيض نيء على أرز مطبوخ على البخار». كانت تحضن ركبتيها، وسروالها الداخلي بادياً للعيان.

قالت آوي من حيث كانت تستلقي: «اممم، دعيني أفكّر. ***الأمير الصغير***[1]»

نخرت ناناكو: «يا لك من طفلة»، وهي تمزّق أوراق العشب وترميها إلى الناحية الأخرى: «أنا أقول ديفيد بوي[2]»

(1) «الأمير الصغير»: رواية الكاتب الفرنسي أنطوان دو سان أوكزوبري (1900- 1944) الشهيرة. - المترجم

(2) ديفيد بوي (ولد عام 1946): مغني بوب إنجليزي. اشتهر خاصة في حقبة السبعينيات والثمانينيات. لكنه لايزال يغني حتى يومنا هذا. - المترجم

«موتوهارو سانو[1]».

«أوووف! ولا حتى هذا! أنت ميئوس منك، يا أوكينز. إنَّ فتى نياغارا ذاك يهزم موتوهارو في أي وقت». مدَّت ناناكو ساقيها على طولهما وتمدَّدت على ظهرها فوق العشب.

«ولكنَّ ثمة أمراً واحداً يجب أن تتفقي معي عليه، إنَّ فرقة سذرن أول ستارز تقدِّم روك أند رول تماماً».

«آه، حتما. أنا أحبُّ فرقة سذرن أول ستارز».

«أتمنى لو تأتي إلى تسوماغوي. فهي قريبة من هنا، أليست كذلك؟».

قالت ناناكو ساخرة: «لا، أبداً. أنت لا تعرفين أي شيء، أليس كذلك؟ فتسوماغوي بعيدة جداً من هنا. هذه هي مشكلتكم يا سكان المدينة الكبيرة. تعتقدون أنَّ أيَّ شيء يقع في المقاطعة نفسها يجب أن يكون قريباً. تضعون كوساتسو[2]، وميناكامي[3] وكيتا كارويزاوا[4] معاً».

انتزعت قبضة أخرى من العشب السطحي ورمتها على آوي. ضحكت آوي عندما انهالت الأوراق الرقيقة على وجهها.

عندما ران الصمت عليهما معاً، ارتفع هدير النهر في أذنيها. لم يسبق لها أبداً أن تصوَّرت حقاً حيَّها السابق في إيسوغو مدينة كبيرة، لكنَّها استمتعت بالطريقة التي قالت ناناكو فيها: «مشكلتكم يا سكان المدينة الكبيرة..». شعرت كأنَّها شخصية بارزة، شخصية على قدر كبير من الأهمية.

كانت، وهي تتمدَّد على ظهرها، لا ترى أيَّ شيء غير السماء. كان ركام

---

(1) موتوهارو سانو: مغني بوب وموسيقي وعازف غيتار ياباني. ولد عام 1956، وهو متأثر بموسيقى الروك أند رول. – المترجم

(2) كوساتسو: في اليابان، تقع في مقاطعة شيغا. – المترجم

(3) ميناكامي: مدينة في اليابان تقع في مقاطعة تون. – المترجم

(4) كيتا–كارويزاوا: منتجع جبلي في اليابان. – المترجم

من السحب يمتد ببطء فوق حقل رؤاها، متقدماً بتأن دقيق.

أطلقت ناناكو تنهيدة عميقة. قالت: «هذا ليس عدلاً».

أدارت آوي رأسها نحوها. دغدغت أوراق العشب الواخزة أذنها.

«ماذا؟».

«تسوماغوي بعيدة جداً، وكيتا–كارويزاوا بعيدة جداً، وميياشي وتاكاساكي بعيدتين جداً، وطوكيو أبعد منها كلها». خرجت منها كأنّها جوقة أغنية ما.

خالفتها آوي قائلة: «ليس تماماً. فحالما تصلين إلى تاكاساكي، تصبحين على مرمى حجر من طوكيو».

التفتت ناناكو لتنظر إليها، وتبادلتا النظرات على مدى لحظات عدّة عبر العشب النامي.

أخيراً قالت ناناكو، وهي تشيح ببصرها وتبدأ بالنهوض واقفة: «أنا جائعة. أتريدين أن أحضر لك شيئاً تأكلينه؟ كرات لحم الإخطبوط؟ أو ربما رامن[1] من محل ياسومارو؟».

نفضت برشاقة تنورتها المرفوعة. تناثر الغبار وقطع من العشب اليابس في الهواء، وخفقت في ضياء الشمس.

قالت آوي عند نهوضها واقفة على قدميها: «أنا مولعة بالحلويات. ما رأيك في تناول كعكة وشاي في محل هاسيغاوا؟».

تلوى النهر أمامهما برفق في وسط المجرى العريض. وانعكست صفحة السماء على المياه الجارية.

«أخشى ألا تمتلك هذه الفتاة الصغيرة قدراً كافياً من المال. لا أمتلك أكثر

(1) ياسومارو: طبق ياباني يتألف من حساء الشعيرية مع بعض قطع اللحم الصغيرة والخضار. – المترجم

من ثلاثة ونصف».

«يا لطيف، أنت حقاً معوزة».

«هل ستدفعين؟».

«لا شيء. دعينا إذن نتناول كرات لحم الاخطبوط. على الأقل سأدفع ثمن صودا الليمون».

«مرحى!».

راحت ناناكو تثب على الطريق على طول الحاجز، وحقيبة كتفها الصفراء تتدلى على صدرها. لحقت بها آوي عن كثب، مصغية إلى الاندفاع المتواصل للمياه. كانت الأراضي الزراعية تمتدُّ إلى ما بعد النهر، وعلى البعد ارتفعت مجموعة من الأبنية أمام الأفق. لم تكن أبنية شاهقة – لم تزد عن أربعة طوابق أو خمسة في الغالب.

بعد انتهاء دوام المدرسة، استقلتا حافلة تذهب في الاتجاه المعاكس لمنزل آوي مدة عشر دقائق قبل أن تترجّلا عند إحدى نقاط التوقُّف على طول الطريق العامة. سارتا في الاتجاه نفسه، وسرعان ما وصلتا إلى نهر واتاراسه. وهناك كان حاجز رصيف ومساحة جافة من حوض النهر، وخلفها جرى النهر، إزاء صخور ضخمة برزت من المياه هنا وهناك.

بالنسبة إلى آوي، بدا كأي نهر آخر، ولكن هذه النقطة هي ما سمّتها ناناكو مخبأها السرّي. ولم تكن أيٌّ من التلميذات تأتي إلى هنا، هذا ما أخبرت به آوي عندما جاءت بها إلى المكان، بل ولا أي شخص آخر. وإن أمطرت، فقد كان هناك جسر لا يبعد أكثر من مقدار ثلاث دقائق من الركض. ثم انفجرت قائلة، والأهم من ذلك كله، أنَّه يمكنك من هنا أن تري أوسع مساحة من السماء. غير أنَّ أشدَّ ما أثار إعجاب آوي في المكان – بل أكثر من الجسر أو من السماء الشاسعة – كان بعض مسارات سكة الحديد العتيقة المنبوذة الممتدة على طول

الطرف النائي من النهر، المختنق بالأعشاب البرية. ووصفت ناناكو سكك الحديد بأنّها تبعث على الكآبة، إلا أنَّ المشي على المسارات التي نما عليها العشب جعل آوي تشعر وكأنَّ في وسعها أن تذهب أينما تريد.

تبعت آوي ناناكو على طول حاجز الرصيف، وعيناها مثبّتتان على ظهرها. طنَّت نملة ذات أجنحة للحظة وجيزة بالقرب من أذنها، ثم طارت مبتعدة قبل أن تتمكّن حتى من إبعادها بيدها، واقترب رجل خارج في نزهة مع كلبه ذي اللون الكستنائي من الاتجاه المعاكس وتجاوزها. واستطاعت أن تسمع صوت ناناكو واهنا يهمهم لحن أغنية.

عندما بدأ الفصل الدراسي الثاني بعد العطلة الصيفية، أصبحت المجموعات التي كانت قد بدأت بالتشكّل في شهر نيسان راسخة القدم. حتى الجماعة الصغيرة التي لا تصنيف لها التي انتمت آوي إليها، وتشكّلت بحادثة تزويد المقاعد، كانت تبدي إشارات التحام مفاجئة. كان للأعضاء أذواق مختلفة في الموسيقى والكتب، ولم يكنَّ يرتدين ملابسهن أو يصففن شعورهن بصورة متشابهة، ولم يكن يجمع بينهن أيّة اهتمامات مشتركة يتحدّثن بشأنها، ومع ذلك ولسبب ما تشبّثن بأداء الأعمال معاً وكأنَّ حياتهن تعتمد عليها. وآوي ذاتها كابدت مشقة كبرى في تجنُّب طردها من المجموعة. أصغت بانتباه إلى ثرثرة كايكو نوزاوا غير المفهومة حول أفلام الصور المتحركة، وتظاهرت باهتمامها بكتاب كانا هيراباياشي المفضَّل في مجال الرسوم المتحرّكة على الرغم من أنّها لم تكن تحب تلك النجمة، واستعارت وقرأت مجلات الرسوم الهزلية التي جلبتها ناتسو شيمُوديرا، وأومأت برأسها تعاطفاً مع المشاكل الصحية الكئيبة التي كانت ماميكو تاكانو تشكو منها دائماً.

كانت آوي وناناكو تتقابلان كل يوم تقريباً في مكان ما بعد انتهاء دوام المدرسة، وكانتا غالباً ما تتبادلان الرسائل أو تتصل إحداهما بالأخرى هاتفياً،

لكنهما لم تتقابلا أبداً في أثناء النهار. بقيت ناناكو، كما فعلت في فصل الربيع، لا تنتسب إلى أي مجموعة، وتتحدَّث بحرية مع أي شخص وكل شخص، تنخرط وتضحك مع أي مجموعة وكما تقتضي الظروف. وآوي، من ناحيتها، كانت تودُّ لو تتمشّى مع ناناكو في المدرسة أيضاً، لكنها كانت مقتنعة بأنَّ ذلك سوف يشكِّل خطراً مغرياً. ورأت أنَّ انقلاب زميلاتها في الصف ضد ناناكو ونعتها بأنَّها متملقة ومحتالة وغريبة الأطوار هي مسألة وقت. وبما أنَّ آوي مرتبطة بها فإنَّ ذلك يضعها على خط النار أيضاً، وهي حتماً لا ترغب في حدوث ذلك.

شعرت بالانكماش بسبب حساباتها البلهاء، وكرهت نفسها. بل كانت أحياناً تتمنّى لو تنفجر ناناكو في وجهها – أن تخرج وتنعتها بالماكرة، وهي كذلك فعلاً، أو تقول لها إنَّها هي المحتالة وترفض أن تربطها بها أي صلة. لكنَّ ناناكو لم تكن تقترب من آوي وهي تؤدي أعمالاً مع مجموعتها في المدرسة، ولم يحدث أبداً أن اتَّهمتها بالنفاق لأنَّها لا تجتمع بها إلا في موقع آخر بعد انتهاء دوام المدرسة.

قالت ناناكو، وهي تلتفت إلى الخلف نحو آوي مع ابتسامة: «أتعلمين، سوف نتحول قريباً إلى ارتداء الزي الشتوي، أليس كذلك؟ حسن، كنت أفكِّر في رفع تنورتي قريباً. باحتشام، أعني – في أحد المحال التجارية».

«وعندئذ ينبغي أن تقصّري سترتك قليلاً أيضاً. مع أنَّني لا أعلم كم يكلِّف هذا الأمر».

«أحقاً؟ لطالما اعتقدت أنَّ السترة تبدو أفضل وهي أطول. في الواقع لقد طلبت من والديَّ أن يحضرا لي قياساً أكبر، لكنهما لم يصغيا إليَّ. لقد أصرّا على أنَّ هذه لاتزال في أحسن حال».

اعتقدت آوي أنَّها سمعت أحدهم يهتف باسمها، فتوقفت برهة لكي تلقي

نظرة خلفها. تابعت ناناكو طريقها من دون أن تلاحظ. كانت هناك سيارة أجرة تسير ببطء على بعد ثلاثين أو أربعين متراً. وعرفت آوي على الفور أنّه والدها. كان قد أنزل زجاج نافذته ولوّح لها بيده وهتف باسمها. قالت في سرّها، أوه، يا إلهي، وتظاهرت بأنّها لم تتعرّف إليه. لم ترغب في أن ترى ناناكو والدها وهو يقود سيارة أجرة. وظلَّ يقترب أكثر فأكثر.

عندئذ بالضبط لمحت الحافلة تظهر في آخر الطريق العامة، أمام المكان الذي تمشي فيه ناناكو بمسافة بعيدة.

صرخت: «الحافلة قادمة! اركضي!»

كان فصل الصيف قد انتهى رسمياً، لكنَّ الحافلة كانت ترتجف برفق بفعل الحر وهي تقترب. من جديد سمعت والدها ينادي من خلفها: «آوي!»، لكنّها تجاهلته واندفعت خلف ناناكو، وهي تقبض يدها في أثناء ركضها وكادت تجرُّها معها بكل معنى الكلمة في المسافة المتبقية حتى موقف الحافلة. ويبدو أنّه عندما لاحظ والد آوي تجاهل ابنته له عمداً، كفَّ عن مناداتها.

تراخت الفتاتان على مقعديهما في آخر الحافلة، وكتفاهما تجيشان. تابعت آوي سيارة والدها تنساب مبتعدة من نافذتها.

قالت ناناكو، وهي تتنفس بصعوبة إلى جوارها: «واو، لقد نجحنا في الوصول. لقد ركضت بسرعة كبيرة يا آوي».

التفتت آوي إلى الوراء لتتابع ابتعاد السيارة من النافذة الخلفية، وتساءلت ما الذي كانت تحاول أن تخفيه، ما الذي بالضبط كان يقلقها؟ ماذا توقعت من ناناكو أن تقول لو أنّها قابلت والدها؟ كانت تعلم جيداً أنَّ ناناكو لم تكن لتقول أيَّ شيء - لا عن الرجل الذي يقود سيارة الأجرة المزخرفة بشكل مفرط ومثير للسخرية كخدعة يحاول بها جذب انتباه الزبائن، ولا عن قلة عقل آوي. وأدركت أنَّ الأمر قد انتهى وهي تلتفت من جديد نحو الجهة الأمامية،

وأخذت نفساً عميقاً، وأخيراً أخذت تتنفس بسهولة أكثر. والحقيقة كانت أنَّ ناناكو لم تقل يوماً أيَّ كلام سيئ عن أيِّ شيء. طبعاً كانت تسخر من الأساتذة الذين لا يعجبونها، وكان في استطاعتها أحياناً أن تثرثر حقاً حول مدى رداءة هذا المكان. لكنها كانت تقول: «أحب» بدلاً من «أكره»، وتعلن: «أتمنى لو» بدلاً من «لا أستطيع»، وإذا سمعتها مرة تقول: «إنَّ هذا يثير اشمئزازي» فإنَّها دائماً تقوله بطريقة مضحكة. ومع ذلك لم تكن أبداً تشعر أنَّها تحاول أن تكون الآنسة الأنيقة المتزمِّتة. ولأنَّها اعتقدت أنَّها تفعل ذلك كلَّه حتى من دون وعي، تخيَّلت آوي أنَّها نشأت وهي لا ترى إلا الأشياء المفرحة. ولابد أنَّ أحداً قد قطع مسافات شاسعة لكي يزيل أيَّ شيء مؤذٍ على طول الدرب التي قادتها حياتها إلى السير عليها.

إنَّ ما ساعد آوي في إدراك أنَّ ناناكو لا تنظر إلى الأشياء بصورة سلبية كان في الحقيقة التحوُّل الذي طرأ على أمِّها منذ انتقالهم إلى هذه البلدة. كان قد مضى على وجودهم هنا ستة أشهر، وقد عثرت السيدة ناراهاشي على عمل يشغلها من الساعة التاسعة وحتى الرابعة في كل يوم من أيام الأسبوع. ولكن بالنسبة إلى آوي بدت كأنَّها تحوَّلت إلى شخص مختلف تماماً عن ذاك الذي عرفته في يوكوهاما.

كانت السيدة ناراهاشي تعدُّ وجبة العشاء في المطبخ غير المضاء عندما وصلت آوي إلى المنزل من المدرسة.

قالت: «أليس هذا وقتاً متأخراً تصلين فيه إلى المنزل؟»، ولكنَّها تابعت على الفور كما لو أنَّها لا تتوقع حقاً جواباً: «اغسلي يديك بعد أن تبدِّلي ملابسك. أريد منك أن تساعديني».

قالت آوي بأفضل صوت مرح: «أوكيه»، وهرعت ترتقي الدرج. أغلقت على نفسها باب غرفتها خلفها، وراحت تستعيد صورة أمِّها واقفة في المطبخ

وضوء الشمس الغاربة يلوّن كل شيء باللون البرتقالي، أطلقت تنهيدة عميقة. خلعت زي المدرسة الرسمي وعلّقته، ثم لبست قميصاً رياضياً وبنطلون جينز وهرعت عائدة تهبط الدرج.

قالت وهي تتوجه لتغسل يديها عند المغسلة: «يا سلام! هذه ليلة الغايوزا[1]! شكراً لك، ماما. يبدو أننا كنا نتناول الكثير من طعام العجائز المملات مؤخّراً».

لم تكن أمُّها قد أضاءت الأنوار بعد في المطبخ، وكانت الغرفة قد اصطبغت بلون برتقالي أكثر قتامة.

«آسفة، يا عزيزتي، لكنّك رأيت اللحم والسمك الذي يبيعونه في الجمعية التعاونية. كلها بنيّة اللون ومثيرة للاشمئزاز. إنّني مذهولة لفكرة أنَّ أحداً يمكن أن يشتري مثل هذه البضاعة. قد تشتكين من طعامنا، لكنَّ الأمر يغدو صعباً عندما يصبح كل شيء آخر شبه فاسد وكل ما تبقى لأتعامل معه هو الخضراوات. وأحياناً حتى الخضراوات تكون فاسدة، كالثوم المعمّر اليوم. إنّه ذابل تماماً. صالح فقط للاستهلاك الحيواني في رأيي. هل يوجد هنا أحد يبدي اهتماماً؟ هل تفترضين ربما أنَّ هذا كل ما رأوه، بحيث لا يعرفون أكثر من ذلك؟»

كانت أمُّها تتفوّه بكلام غير مترابط وهي تحمل الوعاء بيد وتعجن مزيج اللحم بالأخرى. والآن سكنت حركاتها ونظرت إلى آوي الواقفة في منتصف المطبخ من دون أن تفعل أي شيء.

«إذا أحضرت الصينية من الخزانة، فسوف تستطيعين البدء بحشو شرائح العجين».

جلست آوي إلى الطاولة مع الصينية، ووضعت أمُّها وعاء الحشو أمامها. وأخذت آوي تملأ شرائح العجين بملء ملاعق من اللحم وتطويها.

---

(1) غايوزا: طعام ياباني قوامه اللحم والملفوف والبصل والكرنب. – المترجم

«ماما، هل تعرفين أيَّ محل خياطة قريب من هنا يقوم بالتعديلات، كتقصير التنانير؟ هل يقوم محل إيواهاشي للتنظيف بمثل هذا؟»

أدركت متأخِّرة أنَّ هذا قد لا يكون الموضوع الأفضل للمناقشة، لكنَّ أمَّها كانت قد بدأت الكلام بلا توقف:

«قصة التعديلات هي نفسها، ولا يمكنك العثور على خياطة راقية أيضاً، دعك من محل إيواهاشي، إنَّ لديهم ذلك الرجل المسِّن غريب الأطوار الذي يدير في الأساس المكان وحده، وأسعار التنظيف الجاف عندهم مرتفعة جداً، أيضاً. ماذا يظنوننا؟ في يوكوهاما كنا دائماً نعتمد مؤسسة هاكويوشا، أتذكرين؟ ألم يكونوا الأفضل؟ حرفيَّة عظيمة، ودائماً على قدر عال من التهذيب. طبعاً إنَّهم علامة تجارية، و...».

مهما كانت أسبابها لاستحضار تعبير «علامة تجارية» حينئذ، فلم تكن من الأشياء التي توليها والدة آوي الكثير من الانتباه قبل أن ينتقلوا. وهي لم تكن تلجأ إلى مؤسسة هاكويوشا إلا لأنَّه تصادف أن كان محلهم قريباً من المنزل، وكانت تتبجَّح بشأن الصفقات التي حصلت عليها بالاندفاع إلى السوبر ماركت قبيل وقت الإغلاق وتستولي على عبوات لحم البقر في آخر لحظة من موسم التخفيضات.

نهضت آوي عن الطاولة لكي تدير مفتاح النور فوق رأسها. وتلاشى الوهج البرتقالي الذي كان يملأ الغرفة في ثانية: «***لقد رأيت والدي قبل قليل. هل سيأتي لتناول طعام العشاء اليوم؟***» هذا ما أوشكت أن تسأل لكنَّها لزمت الصمت. لم يكن ذلك هو الموضوع الذي أرادت أن تثير.

«هل تفضِّلين سلطة المعكرونة أم سلطة البطاطا، يا عزيزتي؟».

فكَّرت برهة: «المعكرونة، أعتقد. مع الخيار».

أجابت أمُّها: «حسن»، ولكنَّها توجَّهت إلى البرّاد وبدأت تخرج منه بعض

حبات البندورة. لم تقل آوي أيَّ شيء وتابعت حشو شرائح العجين.

لقد سبق لها أن بدت أكثر كآبة وسوء حال ولكن من دون أن تخلو بشكل تام من المرح المسعور (هكذا كان يمكن لآوي أن تلخِّص التغيُّر الذي طرأ على أمِّها). ولكن أشدَّ ما أثار قلقها كان توليفات ذاكرتها الصارخة. فعند الإصغاء إليها، تعتقد أنها كانت تعيش حياة زوجة رئيس جمهورية تشترك معه في إدارة حكمه وهي في يوكوهاما، فلا تبتاع إلا الأزياء التي تحمل علامات تجارية معروفة من أرقى المحال التجارية، ولا تطبخ إلا باستخدام أفضل المكوِّنات من السوبر ماركات التي يمتلكها أجانب، ولا تنتقل إلا بسيارات الأجرة في جولات التسوق التي تقوم بها، ولا تتناول الطعام إلا في المطاعم الشهيرة مع أفراد عائلاتها في عطلة نهاية كلِّ أسبوع، وتغذِّي عقلها في المركز الثقافي وتتناول طعام الغداء مع صديقاتها من ربات البيوت في أيام الأسبوع كلها. وكانت أمُّها تتحدَّث عن هذه الأشياء كثيراً حتى أنَّ آوي تساءلت بجديَّة تامة ما إذا كان بها طرف من جنون. ولكن كلَّما أثارت إحدى تلك الذكريات الوردية، كانت دائماً تتلوها مقارنتها بالحاضر، وهكذا توصلت آوي إلى إدراك أنَّها تشكِّل جزءاً من آليَّة ساعدت أمَّها، وإن بصورة مهزوزة، على الاحتفاظ بسلامة عقلها. لم تكن ترفض أيَّ خيال أو وهم إذا كان يساعدها في تدمير البلدة التي يعيشون فيها الآن.

أصبح العشاء جاهزاً ولم يعد والدها بعد، لذا جلست الاثنتان لتأكلا من دونه. بدت الغرفة هادئة بصورة غريبة على الرغم من أنَّ جهاز التلفاز كان يهدر إلى درجة كادت تكون مؤلمة.

قالت آوي، غير قادرة على تحمُّل الصمت: «كيف حال العمل في الفندق؟ هل اندمجت فيه؟».

كان مركز عمل السيدة ناراهاشي الأول بعد انتقالهم في ناد ريفيّ، ولكنَّ

شيئاً ما في العمل لم يكن يريحها فتركته بعد ثلاثة أشهر. وقبل شهر من الزمن عثرت على آخر جديد في فندق لرجال الأعمال.

«ماذا يسعني أن أقول؟» وهزَّت كتفيها استخفافاً وعيناها مثبّتتان إلى شاشة التلفاز: «إنَّه ليس النوع الذي يناسبني حقاً من الأعمال، ولكن ليس في وسعي أن أفعل شيئاً حيال هذا، أليس كذلك؟ في بلدة كهذه، لا يمكنك حقاً أن تصري على إيجاد عمل مكتبي، أو في الحسابات. والسيدات اللواتي أعمل معهن ريفيات، ولا يتوقفن عن الثرثرة... فلانة الفلانية فعلت هذا، وعلانة فعلت ذاك، وآخر الشائعات الدائرة. سوقيات جداً».

وضعت آوي عوديّ الأكل وتنهَّدت، وحرصت على ألا تسمعها أمُّها. كان الظلام قد زحف وتبين من نافذة غرفة الطعام. وظهر إعلان تجاري على شاشة التلفاز.

قالت أمُّها، وهي تلقي نظرة إلى طبق أرز آوي، الذي لايزال يحتوي نصفه: «يا إلهي، هل انتهيت من تناول الطعام بهذه السرعة؟ آمل أنك لا تتبعين حمية. سوف ينتهي بك الأمر إلى إيقاف نموك». ومدَّت يدها، من دون أن تزعج نفسها بترك عوديها لتغيِّر القناة.

قالت آوي: «هل نستطيع أن نذهب للتزلج على الجليد أثناء عطلة الشتاء؟ لقد سمعت أنَّ الموقع قريب إذا ذهبنا بالسيارة. أنت تحسنين التزلج، يا أمي، أليس كذلك؟»».

كوَّمت أطباقها وحملتها إلى المغسلة:

«إنَّنا لانزال في شهر أيلول ودماغك يفكر منذ الآن بعطلة الشتاء؟ أهذه هي طريقتك في إخباري بأنَّك لا تتحمَّلين المدرسة، يا آوي؟»

حمل وجهها نظرة خاوية، وهي تحدِّق إلى التلفاز وعوداها معلَّقتان في الهواء. وبدأت مقدمة مسلسل مشوِّق.

قالت آوي في سماعة الهاتف: «ماذا تفعلين؟». في غرفتها في الطابق العلوي كانت تتكئ على الباب وشريط الهاتف في الرواق ممتد حتى أقصاه.

أجابت ناناكو: «الآن؟ أقرأ».

لم تسمع آوي أي صوت في الخلف وهي تتحدَّث مع صديقها عبر الهاتف. لم تكن قد ذهبت قط إلى منزل ناناكو، لكنها تخيَّلت منزلاً فسيحاً، كبيراً، دائماً يسوده الهدوء، وأبوين سافرا كثيراً. لم تتصوَّر أنَّ ناناكو اضطرت إلى التكلُّم وشريط هاتفها ممدود حتى يكاد ينقطع لكي تدخله إلى غرفتها، ولا أنَّها اضطرت إلى الجلوس ملتصقة بالباب المغلق لأنَّ شريط الهاتف لا يصل إلى سريرها. لكنَّ آوي اعتبرت نفسها محظوظة لأنَّ لديها جهاز هاتف موضوعاً في الطابق العلوي.

«ماذا تقرئين؟».

«الكتاب الذي استعرته منك مرحباً، *ليتل ريد رايدنغ هود*[1]. توقعت أن أجده محاكاة هزلية لقصة خيالية، إلا أنَّه يدور حول شاب يلتحق بجامعة طوكيو».

«لكنَّه جيد، ألا تعتقدين؟».

«يعني، أعتقد أنَّني لست معجبة بالكتب التي لا تحتوي إلا كلاماً. أنا في حاجة إلى صور»، قالت ناناكو هذا مع ابتسامة صغيرة وصادقة.

كانتا قد تبادلتا تحية الوداع قبل قليل، غير أنَّ آوي سرعان ما اشتاقت إلى رؤية صديقتها من جديد. اشتاقت إلى الهروب من هذا المنزل الكئيب، حيث لم تكن تكفُّ عن الشعور بتنهيدات أمِّها الحزينة تنهش معنوياتها، وإلى الذهاب إلى مكان برّاق ومرح وخال من السلبية حيث يمكنها أن تتكلَّم وتضحك مع ناناكو من كلِّ قلبها.

---

(1) إحدى الحكايات الشائعة جداً في الأدب الإنجليزي على الرغم من أنَّها من تأليف الفرنسي شارل بير (1628 – 1703)، وترجمها إلى الإنجليزية روبرت سامبر، وهي ضمن مجموعة من الحكايات تحت عنوان «قصص وحكايات من الماضي». – المترجم

«على أيّة حال، يا أوكينز، أين سنتقابل يوم السبت؟ أفي محل هانازاوا لبيع الكتب؟».

«نعم، إنّه مكان جيد كغيره. فأنا غير قادرة على نفقات شراء أيِّ شيء، ولكن نستطيع أن نستعرض البضاعة قدر ما نشاء».

«من يأبه بالشراء. من الممتع الاكتفاء بالفرجة».

لزمت كلتاهما الصمت. لم يكن ذلك مستغرباً، فقد كانتا تتصل إحداهما بالأخرى من دون أي سبب معيّن، ومن ثم تجلسان فترات طويلة من دون أن تتبادلا كلمة واحدة. لم يكن هناك أي ضغط يجبرهما على ملء الهواء الساكن. واكتفت بالجلوس والإصغاء إلى صوت تنفّس ناناكو الهادئ يأتيها عبر خط الهاتف، وهي ترسم صوراً في خيالها لغرفة ناناكو، لأشياء لابد تحيط بناناكو.

قالت ناناكو، كاسرة الصمت: «أريد أن أسألك شيئاً، يا أوكينز. هل سبق لك أن شاهدت رواية *آن ذات القباب الخضراء* في التلفزيون عندما كنت صغيرة؟ نسخة أفلام الكرتون؟».

«كلا، لم أشاهدها أبداً. لكنّني قرأت الكتاب».

«إذن على الأقل تعرفين ديانا، أليس كذلك - أفضل صديقات آن، الجميلة؟ ومنزلاهما متباعدان، لكنَّ غرفتيهما تقابل إحداهما الأخرى، وبما أنّه لم يكن لديها أجهزة هاتف في تلك الأيام، هناك مشهد تقف فيه آن وديانا عند نافذة كل منهما ليلاً تحمل كل منهما مصباح غاز، وكتاباً أمام المصباح لكي ترسل كل منهما إشارة للأخرى - كما تعلمين، لكي يبدو كأنّه يشعل وينطفئ».

كان صوت ناناكو ناعماً وثابتا.

«لا أتذكّر هذا».

«حسن، أنا لا أعرف الكتاب، لكنَّ هذا في الفيلم التلفزيوني. وقفت آن وديانا عند نافذة كل منهما وكل واحدة تراقب مصباح الأخرى يومض

ثم ينطفئ عن بعد».

نخرت آوي «أوممم» ومن ثمَّ سكتت من جديد. وناناكو كانت صامتة أيضاً. على مدى لحظات عدَّة لم ينتقل بينهما جيئة وذهاباً غير الصمت. رفعت آوي بصرها إلى نافذة غرفتها غير المضاءة. وبعد النافذة لم تكن ترى غير السماء المظلمة. ولمعت نجوم عديدة وسط الظلام.

أخيراً قالت آوي: «أتمنَّى لو كان في استطاعتنا أن نفعل ذلك بين منزلينا. كأن نستعمل أضواء كشَّافة أو ما شابه».

قالت ناناكو، ضاحكة: «الآن لدينا هواتف، يا حمقاء».

فجأة أخذت السيدة ناراهاشي تنادي من أسفل الدرج: «أتمنى ألا تستأثري بالهاتف، يا آوي».

أسرعت آوي بتغطية فم الهاتف، ولكن ليس قبل أن تتمكَّن صديقتها من السماع.

قالت ناناكو بخفَّة: «إذن سأراك في الغد. بعد دوام المدرسة، في المكان المعتاد. باي– باي»، وأسرعت بإغلاق الخط.

أصغت آوي إلى صوت صفير الخط بضع ثوان، ثم فتحت باب غرفتها وأعادت السماعة إلى مستقرِّها. سمعت صوت رجل وامرأة يتجادلان بحنق حول أمر ما بشأن المسلسل المثير الذي كانت أمُّها تشاهده في الطابق السفلي.

في شهر تشرين أول بدأت الطالبات كلُّهن بارتداء الزي الرسمي ذي اللون الأزرق، وفي الوقت نفسه شعرت آوي بتغيُّر مرهف في الجو الذي خيَّم على صفِّها في المدرسة منذ شهر نيسان. ولم تعرف كم من رفيقاتها في الصف لاحظن ذلك أيضاً، لكنَّ أجهزتها الحساسة الحادة التقطت اهتزازات مزعجة. وأثارت لديها هاجساً مسبقاً مشؤوماً.

ومن ثمّ تحقّق.

ذات يوم في فترة الغداء، ذهبت كانا هيراباياشي إلى مخزن المدرسة لتحضر شيئاً تأكله، وفي أثناء غيابها تقاربت هيروكا شيندو من مجموعة آوي.

قالت: «ألا تعتقدين أنّ كانا غريبة الأطوار قليلاً؟ عندما علمت أنّني حصلت على أسطوانة أزواكي[1] الجديدة، طلبت إستعارتها، ذلك كان قبل وقت، لكنّها لم تستسلم. أعني، إذا كانت معجبة كثيراً هكذا، فلماذا لم تشتر نسخة لنفسها؟».

لم تكن هاروكا تنتمي إلى جماعة آوي غامضة المعالم بل إلى مجموعة تتألّف من خمس فتيات أو ست أكثر وداً بكثير. كنّ يتجاهلن الحظر المفروض على استخدام مساحيق طلاء الشفاه الملوّنة، ويستخدمن أشرطة الجرح لكي يخفين مواقع ثقب الجلد، ويصبغن شعورهن ولكن ليس إلى درجة جذب الانتباه؛ وحديثاً أصبحن يقصّرن تنانيرهن بالجملة، واكتسبن عادة ارتداء جوارب زرقاء اللون تصل حتى الركبة حالما يغادرن ملاك المدرسة في كل يوم. وبمجرّد اقتراب إحداهن من إحدى عضوات هذه المجموعة يثير سلسلة من النظرات العصبية بين كايكو نوزاوا، وماميكو تاكانو و ناتسو شيموديرا في مجموعة آوي.

قالت كايكو: «إنّ والديها بخيلان»، فنظرت إليها آوي غير مصدّقة. كان وجهها يحمرّ، لكنّ ذلك لم يمنعها من الاستمرار بحماس غير مسبوق: «إنّهما يرفضان حتى أن يحضرا لها حذاء رياضياً جديداً». وضحكت ضحكاً مكبوتاً هازئاً.

«إذن هذا هو سبب ارتدائها ذلك الحذاء المتهرّئ. رائحته جديرة بنسف أنفك على الفور. وتجويف حذائي أوسع من حذائها، أعلم هذا جيداً». ألقت هاروكا نظرة إلى الباب، وهي تعبق بخصلة من شعرها: «أوه، ها هي قادمة.

(1) أوزاكي (1965– 1992): موسيقي ومطرب ياباني. – المترجم

فقط قولي لها شيئاً، أوكية؟ أخبريها أنّني أريد استعادتها، بما أنكنّ صديقات».

عادت إلى مجموعتها في خلفية الغرفة، وبعد برهة تصاعد بينهن ضحك عال. ومرة أخرى تبادلت كايكو وماميكو وناتسو نظرات مضطربة. وانتاب آوي للحظة وهم أنّ ما يقع ضمن مجال بصرها كلُّه يتراجع داخل المدى.

قالت كانا: «اللعنة»، وهي تتقدّم حاملة كيساً من رقائق البطاطا بيدها: «لقد بيع الكعك المحشو كلُّه، والشيء الوحيد الذي تبقّى هو رقائق البطاطا. بوو هوو»، وضحكت.

توقعت آوي أن أحدهم سيصرّح على الفور بأنّ هاروكا جاءت لتستعيد أسطوانتها، لكنّ أحداً لم ينبس بكلمة. بدا أنّ كانا تشعر بوجود ارتباك في الجو.

قالت بمرح: «أثمة خطب؟ آسفة لأنّني جعلتكن تنتظرن. هيا نأكل»، وجلست.

غمغمت كايتو من زاوية: «أتعتقدين أنّها حقاً بيعت، أم أنّها لا تملك المال اللازم؟» كادت آوي لا تصدق أذنيها: «هيا يا بنات، سوف نتناول الطعام في الفناء هذا اليوم». بدا كأنّه أمر، وتوجهت كايتو على الفور ناحية الباب، متجاهلة كانا. وتبعتها ماميكو وناتسو وكأنّ هذا مخطَّط له طوال الوقت. نهضت آوي واقفة وفغرت فاها برهة، لكنّها بعد ذلك نفضت عنها دهشتها وهرعت في إثر الأخريات. وفي أثناء اجتيازها الباب ألقت نظرة إلى الخلف فرأت كانا جالسة وحدها إلى طاولة الكتابة ويبدو عليها الذهول.

قالت آوي في نفسها، هذا بالضبط ما كانت تخشاه، وهي تحدِّق بنظرة جوفاء إلى اللوح الأسود في خلال الحصّة الخامسة. ومع ذلك، شكّلت سرعة تحوُّل كايكو صدمة. هذه هي الفتاة التي لم تفعل أيَّ شيء خلال الأشهر الأخيرة غير التحدُّث بمنتهى السعادة عن أفلام الكرتون. مما دفع آوي إلى التساؤل إن لم

تكن قد تعرّضت لألم النبذ الاجتماعي من قبل. إذ يكفي أن تختبره مرة واحدة حتى تفعل أيّ شيء لتجنُّب تكراره. مثلما تحرص آوي نفسها على ألا تتحدّث مع ناناكو في المدرسة.

أشاحت آوي ببصرها بعيداً عن اللوح الأسود نحو ناناكو، الجالسة خلفها بمسافة قصيرة بجوار النافذة. كانت ناناكو تحدّق إلى خارج النافذة وذقنها تستند إلى يدها، تتفرّس باهتمام في شيء لم تتمكن آوي من رؤيته. تفحّصت آوي صورة وجهها الجانبية وكأنّها تنظر إلى لوحة مرسومة أو إلى صورة فوتوغرافية، مستحسنة نقاء خطّها. جاءها صوت معلمتهن الذي يتلو مقطعاً من رواية من مكان بعيد جداً. ثم التفتت ناناكو، لعلّها أحسّت بتحديق آوي، ونظرت إليها. وتقابلت عيونهما. حولت ناناكو عينيها بحركة عابثة وأخرجت لسانها.

قالت آوي: «كانت الأحوال متوترة في الصف مؤخّراً، ألا تعتقدين؟».

مدّتا فراش شاطئ على العشب بجوار ضفّة النهر، وكانت ناناكو تضع لفائف الياكيتوري[1]، وكرات لحم الإخطبوط، والكعك المحلّي، وألواح الشوكولاته، وأشياء أخرى لذيذة جمعتاها قبل مجيئهما.

لقد تحقّق هاجس آوي المتشائم. فخلال الأيام التي تلت حادث الغداء، لم يعد أحد يتحدّث مع كانا. أخذت مجموعة هاروكا تسخر منها في وجهها، في حين ضحكت تلميذات أخريات ضحكاً مكبوتاً من مكان بعيد. ولم تعد صديقاتها السابقات يشملنها ضمن أي نشاط يقمن به وأخذن يتصرّفن وكأنّهن لم يعرفنها أبداً.

لكنّ هذه المعاملة لم تدم أكثر من عشرة أيام بالنسبة إلى كايكو، وبعد ذلك صنّفت كايكو على أنّها شديدة التذمُّر وأضحت المستهدفة الجديدة. ومجموعة

(1) ياكيتوري: دجاج مشوي. — المترجم

صفّهن السيئات السمعة، اللواتي ميّزن أعضاءهن بارتداء تنانير مفرطة الطول، بدأن يتحرّشن بها بوحشية، فيمزقن تنورتها بمقص ويلصقن شعرها بشرائط لاصقة.

ارتجفت آوي خوفاً. أولاً كانا، والآن كايكو - كلاهما من مجموعة صديقاتها. فهل تكون التالية؟ لكنّها ارتاحت كثيراً لأنَّ التركيز انتقل بعد بضعة أيام إلى ماساكو إيهارا من مجموعة مدمنات القراءة. وكادت آوي تشعر بالخزي من مدى شعورها بالارتياح.

قالت ناناكو: «لماذا؟ ماذا تقصدين؟» وهي تمدُّ يدها نحو الكيس الورقي البني الذي حملته من المخزن العمومي الصغير بجوار موقف الحافلة حيث ترجّلتا، وتخرج منه علبتين من البيرة. كان كل ما يحتويه المخزن تقريباً مكسواً بطبقة رقيقة من الغبار. نظرت إلى آوي: «إذا كنت تتكلمين عن الأشياء الوقحة كلّها التي كانت هيتومي تقولها عن زميلاتها، فانسي الأمر. فقط تحب أن تسمع نفسها تتكلّم. إنَّ مرحلة الصف العاشر هي وقت مبكّر جداً للقلق حول امتحانات القبول». وابتسمت لآوي ابتسامة بريئة ومشرقة وناولتها إحدى علبتيّ البيرة. كانت العلبة رطبة بسبب ظاهرة التكثيف.

قالت آوي، من دون أن تبذل أي جهد لإخفاء الغضب الظاهر في صوتها: «قولي لي، أتفعلين هذا عن عمد؟»

في الواقع، كانت منزعجة من ناناكو. ما كان يمكن لأيِّ شخص أن يبقى غافلاً عن جو الحقد الذي طغى على غرفة الدرس منذ قضية كانا هيراباياشي. لكنَّ ناناكو ظلّت تتنقّل من مجموعة إلى أخرى وكأنَّ شيئاً لم يتغيّر، من دون أن تلتزم بأيِّ حلقة واحدة، ولا تدير ظهرها لها جميعاً وتبقى وحدها.

«أفعل ماذا عن عمد. أوه، فلنشرب نخباً. عيد ميلاد سعيد! أووبس، أعتقد أنّه ليس أنا من يجب أن يقول هذا» غمغمت بهذا، ودفعت علبتها باتجاه علبة

آوي.

ردّدت آوي، وهي تفتح أعلى الغطاء: «عيد ميلاد سعيد». أطلقت البيرة التي بدأت تصبح دافئة زبداً من الفتحة، التي أسرعت آوي بتغطيتها بفمها لكي تأخذ رشفة: «مذاقها رديء»، ولوت قسمات وجهها، وكان جلياً من نظرة ناناكو أنّها تقاسمها الإحساس.

قالت بحمق: «مثلجات سعيدة».

صفعت كل واحدة منهما الأخرى على الكتف وانفجرتا في نوبات من الضحك.

«لا أحد قال لي إنَّ البيرة مذاقها رديء إلى هذه الدرجة».

«كنت موقنة من أنّها لذيذة. أعتقد أنّه كان ينبغي أن نحضر علباً من الكوكتيل بدلاً منها. فمن المفترض أنّها حلوة المذاق».

«لابد أنّنا تأخّرنا في النضج – وتذوّقنا أوّل رشفة لنا من البيرة قبل الأوان. وتسللنا إلى النهر لنفعل ذلك».

ومن جديد ضحكتا.

قالت ناناكو: «هيا نأكل، هيا نأكل». مزقت لفائف الياكوتوري وأزالت الغطاء عن صينية كرات لحم الإخطبوط، وباشرت بقذف القطع التي بحجم لقمة إلى فمها، واحدة بعد أخرى. كانت تصرخ بعنف «لذيذة، لذيذة»، وترتمي نحو الخلف على الفراش وتحرك ساقيها. سطع فخذاها الأبيضان من تحت تنورتها فأسرعت آوي بالنظر بعيداً.

قالت آوي بين لقم الياكوتوري من أسياخ لزجة من الصلصة: «تبدو الفتيات في الصيف كأنّهن يمارسن لعبة دور من الآن. ولا تقولي لي إنّك لم تلاحظي. بدأ الأمر مع كانا، والآن جاء دور ماساكو. الجميع يعاملنهما ببرود وخسّة، وأحياناً يتجاوزن الحد حقاً. كما حدث عندما مزّقن تنورة كايكو. أصبحت

الفتيات يصبن بالرعب، وهن يتساءلن إن كان دورهن هو التالي، وكل منهنّ تتهامس بكلام في غياب الأخرى وكأنهنّ من الشرطة السرية أو ما شابه».

جرى النهر بلا توقُّف أمامهما، عاكساً صورة السماء الزرقاء الطويلة. والعشب الذي نما بقوة وكثافة في خلال فصل الصيف أخذ الآن يذوي، ويتحرَّك جافاً في وجه الريح العابرة.

هتفت آوي بسخط: «إنّنا في المرحلة الثانوية، وليس في الروضة! إنَّ الحديث عن أمور طفولية، شيء سخيف. أعتقد أنّني كنت على حق. إنّها حقاً مدرسة حمقاء. ما كان هذا ليحدث في مدرسة إعدادية محترمة، هذا مؤكّد». وبطريقة غريبة، كانت كلماتها تمدُّها بالشجاعة، وتابعت: «فقط انظري إلى كازويو أوبه وإلى عصابتها. يرتدين تلك التنانير الطويلة في مثل هذا العصر وهذه السن – أشبه بالفلاحات. يا لجرأتهن، وهن يعتقدن أنّهنَّ يسخرن من الأخريات. عندما كنت في مدرسة الأحداث العليا التي، كانت مثيلاتهن أول من يتعرَّضن للنبذ».

قاطعتها ناناكو: «إنّها مدرسة حمقاء من دون أدنى شك! أنا موجودة فيها، أليس كذلك؟» وأطلقت ضحكا عالياً.

قالت آوي ببرود شديد، وقد تصاعد غضبها من جديد: «أحاول أن أكون جادة».

قالت ناناكو، وقد أضحت جادة فجأة: «حسن، إذا كانت لا تعجبك، فلا تكوني جزءاً منها. الأمر بهذه السهولة. إنَّ كازويو ومايساكو فتاتان لطيفتان تماماً، إن كنت لا تعلمينَ». طعنت، وهي لاتزال مستلقية على ظهرها، كرة لحم الإخطبوط بنكّاشة الأسنان وأسقطتها داخل فمها الفاغر.

تنهّدت آوي بعمق وسقطت على ظهرها على الفراش وسيخ من الياكيتوري في يدها. عكّر امتداد الزرقة فوق رأسيهما بضع خصلات من السحب المتفرّقة.

«أنت محظوظة، يا ناناكو. أنت لا تخافين أبداً. أراهن على أنَّك عشت طفولة سعيدة جداً، أليس كذلك. ولعلَّك لم تعرفي شخصاً لم يحببك، ولطالما كنت على علاقة طيبة مع أختك، وكانت أمُّك ملاكاً بكل معنى الكلمة، وكل شيء سار على هواك».

لم تؤكِّد ناناكو هذا الكلام أو تنفيه. بل جعَّدت أنفها وأطلقت ضحكة قصيرة وهي تعتدل في جلستها وتتناول رشفة أخرى أو اثنتين من البيرة التي كانت قد لفظتها قبل ذلك. رفعت ركبتيها، وطوَّقتهما بذراعيها وضمتهما إلى صدرها.

بدأت آوي بالقول: «منذ أن كنت في مرحلة الروضة...»، لكنَّها سكتت فجأة بضع دقائق محاولة أن تقرِّر ما إذا كانت تريد حقاً أن تتابع الكلام. فإذا فعلت، فقد تثير ناناكو ضدها. ولكن إذا لم تفعل، فإنَّ الشقَّة بينهما قد تتسع أكثر فأكثر: «منذ مرحلة الروضة، وأنا أتعرَّض للمضايقة دائماً، ولم تكن لي أيُّ صديقة. أبداً». شعرت كأنَّها تكاد تختنق، لكنَّها كبحت بيأس الدموع المهدِّدة لكي تتابع كلامها: «في مرحلة الأحداث العليا، لم يعد في مقدوري أن أواجه المدرسة أكثر من ذلك. لقد كان الأمر مرعباً فوق طاقتي على التحمُّل. وأعتقد أنَّك لا يمكن أن تتصوري ذلك. واقع الأمر هو أنَّني كنت أعلم أنَّ ثمة خطباً فيَّ. كنت أعلم هذا، ولكن لا أحد رغب في التحدُّث إليَّ، لذلك لم أعرف أبداً ماذا أفعل لإصلاح أمري، وهذا هو في الحقيقة السبب في انتقالنا إلى هنا، لكي لا أضطر إلى الالتحاق بالمدرسة العليا في يوكوهاما، وأمي لم ترغب أبداً في المجيء، لكنَّني أصررت. كان من المستحيل أن أذهب إلى أي مكان ألتقي فيه مع زميلاتي من المدرسة القديمة».

سكتت آوي وتركت ما قالته تواً عن مدرستها الجديدة وزميلاتها في المدرسة يعبر عقلها. حدَّقت إلى ظهر ناناكو، مدركة أنَّها إذا كانت ستفعل مثل

أمّها وتنظر باستياء إلى بلدتهم الجديدة لكي تشعر بتحسُّن، فإنّها تستحق كل ما تلقَّت من سوء معاملة وضغينة من الناس.

قالت ناناكو من دون أن تلتفت: «أتعرفين، لعلَّ اللواتي ضايقنك كلُّهن فعلن ذلك لأنَّهنَّ يغرن منك. لأنَّك تتصفين بشيء لا يمتلكنه هنَّ. لأنَّك تمتلكين الكثير من المزايا».

«هذا كلام جميل، لست مضطرة إلى قوله. أنا أعلم جيداً أنَّ ثمة خطأ فيّ».

رفعت آوي كعكة محلاة عالياً وراحت تنظر من خلال ثقوبها. كانت سحابة رقيقة تزحف ببطء عبر صفحة السماء، وفجأة حلَّت محل بقعة السحابة عين ناناكو من ثقب الكعكة.

هتفت آوي: «أخ، أفزعتني!»، وتدحرجت ناناكو عائدة إلى الفراش وهي في نوبة من الضحك.

رفعت ناناكو كعكة أمام عينها كما فعلت آوي. قالت: «حسن، على أيّة حال، لا تستطيعين الحكم على أشياء كهذه وحدك. ولكن في النهاية، أنا سعيدة لأنَّهن ضايقنك. وإلا لما تقابلنا».

سكتت برهة ثم عاودت الكلام بصوت منخفض ومحسوب، وكأنَّها تقرأ من مخطوط معدٍّ مسبقاً:

«أريد منك أن تعلمي يا أوكينز أنَّه ليس في المدرسة ما يخشى منه. حتى وإن كنت على صواب، حتى وإن كنَّ ينقلن المعاملة الباردة من شخص إلى آخر كما تقولين ووصل الأمر إليك، سأبقى دائماً صديقتك، وسأبذل كل ما في وسعي لكي أدعمك، حتى وإن انقلب الجميع ضدَّك، وإذا لم يبق لك إلا شخص واحد على الأقلّ تتحدثين معه، فلن يكن هناك ما تخشينه، صحيح؟»

تابعت آوي الرنوَّ إلى السماء من خلال الكعكة المحلاَّة ولم تقل شيئاً.

«ولا أقصد أن يكون هذا نوعاً من الصفقة أو عملية تبادل. لن أطلب منك أن تفعلي أيَّ شيء لأجلي لو كنت أنا المنبوذة. في الحقيقة، كنت سأفضِّل أن تتخلي عني كما يفعل كل شخص آخر. هكذا أكثر أماناً. لأنَّ لا شيء من هذا يخيفني. أنا جادَّة، دعيهن يزدردنني ويمزقن تنورتي ويقلن أشياء قذرة عني ويخفين حذائي الرياضي كما يشأن. لا يمكن لأيِّ شيء من هذا أن يؤذيني. لا شيء من هذا له أية قيمة عندي».

أنزلت آوي الكعكة إلى فمها وقضمت قضمة منها. ثم عادت ورفعتها فوق عينها لكي تحدِّق من خلال شكل حرف C الذي تبقّى. بدا لها كأنَّ الزرقة داخل شكل C تذوب وتصب داخل السماء الشاسعة.

قالت ناناكو، وقد غيَّرت الموضوع على عجل: «أوه، كنت أنوي أن أسألك. هل سمعت ما يقال عن خواتم الفضة؟».

«ماذا؟ لا أعتقد ذلك».

«إذا أعطاك أحدهم خاتماً من الفضَّة في عيد مولدك التاسع عشر، فسوف تتبعك السعادة حتى آخر حياتك».

«أحقاً؟ حتى آخر حياتك؟ تعنين شخصاً كحبيب، أليس كذلك؟».

«إذا لم يكن لدينا حبيب حين نبلغ التاسعة عشرة، ما رأيك أن تعطي كل منا خاتماً فضياً للأخرى؟ وبهذه الطريقة نصبح سعيدتين حتى آخر حياتنا».

قالت آوي فجأة: «حسن، أنا موقنة من أنَّك لن تحصلي على أيِّ حبيب، لذا سأعطيك الخاتم، لكنَّني أنوي أن أتّخذ حبيباً يعطيني خاتمي»، وأطلقت قهقهة.

«وهذا ما تقول الفتاة التي أحضرت لي كمية تافهة من الياكوتوري هذا العام». شمَّت ناناكو الهواء. ورشفت رشفة من البيرة: «ألا ترين أنَّني كنت أعطيك إشارة لطيفة إلى وجوب البدء بالتوفير الآن لكي تتمكَّني من إعطائي

هدية مناسبة حين أبلغ التاسعة عشرة؟ يجب أن تكوني أشدَّ إحساساً بالشكر!».
راحت تحرّك قدميها كأنّها تدير دوّاسة وهي تضحك.

تردَّد صدى ضحكهما على طول ضفة النهر، ممتزجاً بخرير المياه الجارية. وعندما رفعت آوي رأسها لكي تنظر إلى النهر، بدا لها من جديد أنَّ السماء تذوب وتصبُّ داخل سطحه.

-5-

في نهاية شهر حزيران وجدت أكاري لها مكاناً في اختيار سايوكو الثاني بين المدارس، لكنَّ القبول جاء مبكِّراً أكثر مما توقَّعت. فقد أُدرج مجمَّع قريب تابع لشركة إسكان في قائمة الهدم، ونزح عدد من العائلات الشابة بتتابع سريع، مما أوجد سلسلة نادرة من الأماكن الخالية.

في خلال الأيام التي سبقت التحاق أكاري بالمدرسة والأسبوع الأوّل من التحاقها، اعتقدت سايوكو أنَّها ستفقد عقلها من كثرة الأشياء التي وجب عليها أن تقوم بها. ولم يكن تسجيل ابنتها بصورة لائقة إلا البداية. فقد كانت في حاجة إلى أن تصنع حقيبة أكاري المدرسية، وأن تعدَّ عدداً من المناشف وتخيط اسمها عليها، وتقوم بالتسوُّق لتشتري حذاء رياضة للاستعمال داخل المدرسة بالإضافة إلى إجراء تغييرات إضافية على الملابس لكي تكون جاهزة. كانت تركب دراجتها من المنزل إلى مدرسة الحضانة ومن هناك إلى المحطة ثم العودة، وتستكشف دروباً بديلة، واكتشفت دروباً مختصرة عديدة بالإضافة إلى مكان مناسب تتسوَّق منه في طريق عودتها إلى المنزل.

في تلك الأثناء، لم يكن العمل قد أصبح ببساطة مجرد الوصول ومباشرة النشاط في صباح كل يوم. كان لدى نوريكو ناكازاتو المزيد من أشياء تعلّمها إياها مع كل موقع عمل ينتقلون إليه.

«تتكوَّن صفائح الجير عندما تتفاعل أملاح الكالسيوم والمغنيزيوم مع الهواء

وترسَّب لتكوّن طبقة رقيقة على أسطح ملامسة للماء. ووسائل إزالة الصفائح تحتوي مواد كاشطة، ومانعات التوتر السطحي، وأحماضاً، وقلويات، ومذيبات».

كثيراً ما كانت نوريكو تعطي مجموعة من المعلومات المشوِّشة، فتدوِّنها سايوكو بإتقان في دفترها كما تفعل الطالبة، وتضيف إلى مجموعتها المتزايدة من الملاحظات مهام تنظيف متنوعة ومواد التنظيف الأفضل لمهام معيَّنة.

كان من المفترض أنَّها أودعت أكاري مدرسة الحضانة من أجل عملها، ولكن كانت تمرُّ عليها أيام في خلال فترة الاستعداد المسعورة هذه تجعلها بعض متطلبات المدرسة تسهر معظم الليل وكانت تذهب إلى العمل وهي نصف نائمة. وأحياناً كانت تجد نفسها شاردة وتائهة عما تعمل، لكنَّها على الأقل لم تعد تعاني بشأن تقرير ما إذا كانت العودة إلى العمل هو القرار الصائب. ببساطة لم يعد لديها الوقت لتفعل ذلك. كل ما كان في استطاعتها أن تفعل هو أن تؤدي العمل الذي بين يديها بإتقان، أن تقوم بكل عمل على حدة.

كانت سايوكو لا تكفُّ عن تذكير نفسها «*يجب أن أعتبر نفسي محظوظة*» وهي تكشط الآجر في حمّام وحدة ملكيّة مشتركة خالية. وقد أكَّدت لها أمهات شابات قابلتهن في مدرسة الحضانة أنّه من المستحيل على أيٍّ شخص أن يجد له مكاناً في أقلِّ من شهر. والآن، على مدى الأسبوعين الأخيرين، سمحت لها آوي ونوريكو بكل كرم أن تعمل خمسة أيام قصيرة بدلاً من ثلاثة أيام بدوام كامل. وحتى بعد انتهاء أسبوع الدخول، أصبح يتوجَّب عليها أن تستلم أكاري في الساعة الرابعة مدة معيَّنة.

ظلَّ كلُّ يوم بالنسبة لسايوكو يبدو وكأنَّه اليوم الأول. كانت تستقل سيارة نقل الخدمات المنزلية إلى موقع العمل لكي تنظِّف شقَّة خالية. فإما ترافقها آوي، أو إحدى مستخدمتين من شركة بلاتينوم بلانت – ميساو سكين، التي

تصبغ شعرها باللون البني وترتدي ملابس أنيقة وتتبع الموضة في محاولة لتبدو أصغر سناً مما هي عليه؛ أو ماو هيزيغاوا، وهي امرأة أصغر سناً ذات شعر قصير جداً ومصبوغ باللون الأحمر، ومصنَّفة رسمياً على أنَّها مستخدمة موقَّتة. ويبدو أنَّ جنكو غيوابوشي واصلت مناقشة مشكلة ظهرها المزعومة مع آوي، ذلك لأنَّها من جديد لم تلتحق بالعمل.

كانت سايوكو تتعجَّب من قدرة نوريكو الدائمة على اكتشاف شقَّة خالية تتطلَّب قدراً هائلاً من العمل الشاق واحدة بعد أخرى. من فتحة تهوية المطبخ إلى مدفأة إلى مرحاض إلى حمّام، كانت الأشياء المثبَّتة من أصناف لا يمكن تصوُّرها، لكنَّ الطبقات السميكة من السخام المكدَّسة عليها كانت دائماً هي نفسها.

من الواضح أنّ المتنقلين من وحدة الاستوديو هذا اليوم كانوا يعالجون المكان قبل أيام عدة بقنبلة مضادة للبق. لقد كان المكان عندما دخلنا مفروشاً بالصراصير الميتة، وأصبحت مهمة سايوكو الأولى التخلُّص من الجثث. بعد ذلك أرسلت إلى الحمّام، حيث ركعت على أربع وراحت تكشط بصمت العفن الأسود والقرمزي الذي احتلَّ الآجر ومنطقة الغسيل المجاورة لمغطس الاستحمام.

من جديد قالت سايوكو لنفسها: «*حقاً يجب أن أعتبر نفسي محظوظة*»، من دون أن تزعج نفسها بمسح حبّات العرق التي تدحرجت من صدغيها إلى ذقنها. كانت قد مرت عشرة أيام على التحاق أكاري بالمدرسة، لكنَّها كانت لاتزال ترفس وتصرخ رافضة الذهاب، حتى وهي على دراجتها على الطريق، كانت تجلس ورأسها الصغير يميل إلى الخلف، وتنتحب متطلِّعة إلى السماء. وعلى الرغم من أنَّ سايوكو لم تعد تتردَّد بشأن قرارها حول العمل، كان يعتصر قلبها أن ترى ابنتها في مثل تلك الحالة من الحزن: «*يا للصغيرة المسكينة. شيء*

مؤسف..». كانت لازمة حماتها المكرَّرة هذه تهدِّد بأن تخرج من فمها هي.

ولكن وجب أن تكونِ حماتها على خطأ، هذا ما قالت سايوكو لنفسها بعناد وهي تكشط الرواسب بفرشاة أسنان، متوقعة اللحظة التي سيخلو فيها ذهنها من كل شيء. وفي ذلك اليوم بالذات، سوف تتمكَّن أكاري من عقد صداقات جديدة ومن قضاء الوقت الممتع الذي لم تتمكَّن سايوكو من توفيره لها في الحديقة العامة. فما المؤسف في هذا؟

جاءت نوريكو لتقلَّها بسيارة النقل عند الساعة الثانية بالضبط. قفزت سايوكو إلى مقعد الراكب الأمامي وانطلقتا إلى أقرب محطة.

«إنَّني شاكرة لك حقاً لأنَّك جعلتني أعمل أياما قصيرة هكذا».

«لا داعي للشكر. إنَّك تعوِّضين عن ذلك بالحضور خمسة أيام على أيَّة حال».

كانت المرأة غالباً ما تمزح وتضحك مع آوي، لكنَّ صلتها بسايوكو اقتصرت حصراً على مجال العمل.

راحت سايوكو تنظر إلى السماء في أثناء انطلاقهما. كانت هناك سحب رمادية مظلمة منخفضة فوقها، لكنَّ المطر لم يهطل حتى الآن. وبدأ الصمت في سيارة النقل يصبح مربكاً.

قالت: «سمعت أنَّ لديك أطفالاً أيضاً، سيدة ناكازاتو».

قالت لها نوريكو وهي تحني رأسها إلى الأسفل بشدَّة: «هذا صحيح».

«هل أودعتهم مدرسة حضانة عندما كانوا صغاراً؟».

هذه المرة لم يكن هناك جواب.

تابعت سايوكو الكلام، وهي تتساءل إن كانت قد أساءت القول: «لم أكن أتخيَّل أنَّ الالتحاق بمدرسة صعب إلى هذه الدرجة. ولكنَّني أظنُّ أنَّ الوضع موقَّت، في البداية فقط. لقد اضطررت إلى خياطة حقيبة لحمل أغراضها،

وحقيبة أخرى خاصة بأحذيتها الرياضية، ومن ثمَّ يطلبون منك أن تكتبي مذكرات حول أنشطتها كلها. ومنذ أيام عندما كنت أكتب تقريراً حول عملي، بدأت أدوّن الوقت الذي استيقظت فيه أكاري في صباح ذلك اليوم وما تناولت من طعام على مائدة الإفطار.

أصدرت نوريكو صوتاً يدل على أنّها تستمتع، فأطلقت سايوكو زفرة ارتياح.

قالت نوريكو خارج الموضوع: «إنَّ مصَّ الإصبع يثير جنوني»، ولم تفهم سايوكو إلا بعد لأي أنّها تتكلّم عن أطفالها هي: «في حالتي، كانت أمي هي التي تزعجني، وليس حماتي. كانت مقتنعة بأنَّ ما يدفع ولدي إلى مصِّ إصبعه هو الضغط الذي يسبّبه له عملي طوال الوقت. هذا بالإضافة إلى الحزن الشديد الذي كانت تسبّبه لي ممرضة الصحة العامة وهي تلقي عليَّ محاضرات كلما رأتني حول مساوئ مصِّ الأصابع وكأنّها تتوقّع مني أن أقفز عندما تطلب مني ذلك. وصدِّقي أو لا تصدِّقي أنا في الحقيقة إنسان شديد الحساسية. وحسبت أنّني سأصاب بانهيار عصبيّ».

حدقت سايوكو في نوريكو الجالسة على مقعد القيادة. وفجأة طغى على وجه المرأة الصارم، التي لم تكن تضع أيّة مساحيق تجميل وكانت المهيمنة في عملها، تعبير أموميّ.

قالت: «وذات يوم قالت لي آوي: «هوِّني عليك، يا نوري، هل رأيت مرة رجلاً بالغاً يمصُّ إصبعه؟» وطبعاً، علمت على الفور أنّها على حق. وكان يجب أن أضحك».

كانتا تقتربان من المحطة ولا تبتعدان عنها أكثر من مائة متر. أرادت سايوكو أن تسمع المزيد وتمنّت من دون أمل أن يتحوّل لون إشارة المرور التي تفصل بينهما والمحطة إلى اللون الأحمر.

«في هذه الأيام يردِّد كلمات بذيئة طوال الوقت «براز، براز، بول، بول».
يردِّدها في أي مكان يشاء – في المطعم، في مركز التسوُّق. يجعلني أرغب في توجيه ضربة إلى رأسه أحياناً. ولكن أتعلمين، وحسب قول آوي، إنَّك لا تسمعين أبداً رجلاً بالغا يصرخ قائلاً: «أريد أن أتغوَّط!» أو «أريد أن أتبوَّل!»»، وضحكت.

لم يتحوَّل الضوء إلى اللون الأحمر، وانطلقت سيارة النقل عند المنعطف أمام المحطة.

«ها قد وصلنا».

«شكراً جزيلاً لك على التوصيلة. أراك في الغد».

انحنت سايوكو انحناءة سريعة وقفزت من السيارة وهرعت إلى المحطة.

جاءت أكاري تثب مثل الجرو حالما رأت أمَّها عند البوابة. لم يكن قد مضى أكثر من بضع ساعات، لكنَّ سايوكو شعرت كأنَّها غابت عن ابنتها أسبوعاً، فضمَّتها بين ذراعيها وشدَّت بقوَّة.

في تلك اللحظة اقتربت منهما امرأة تدفع معها دراجة وهي تبتسم: «مرحباً! هذه آكاري، أليس كذلك؟ هل رأيت ابنتي تشاكي في الفناء؟».

كفَّت أكاري عن الابتسام ونظرت إلى والدة زميلتها في الصف بحذر وهي تتحرَّك خلف سايوكو.

قالت سايوكو: «أنا آسفة، لست موقنة من أنَّها تعرَّفت بعد إلى أسماء الجميع».

«أوه، هذا صحيح، إنَّها لاتزال حديثة العهد، أليست كذلك؟ لقد قرأت مقالتك القصيرة في صحيفة **سايبريس فلاير**».

«هل ينتظر منا أن نكتب شيئاً كل شهر؟ إنَّني لم أكتب شيئاً منذ مدة طويلة، كنت أمرُّ بفترة عصيبة من نضب معين الكاتب».

«أفهم ما تعنين. تتوترين وتنسين كيف تكتبين قواعد خط الكانجي[1] الأساسية. ولكن لا أظنُّ أنّك في حاجة إلى أن تقلقي. مرة كل ثلاثة أشهر أو أربعة كثير جداً».

وقفت سايوكو وتحدَّثت مع والدة تشايمي بضع دقائق أخرى حول النشرة التي تصدرها المدرسة، والتي تعلن أعياد مولد الصبيان والبنات كلَّ شهر وتنشر مقالات وجيزة أخرى تكتبها الأمهات. لم تكد تصدِّق نفسها. ها هي ذي، واقفة أمام المدرسة في يوم غائم، وتنخرط في حديث عادي جداً مع امرأة لا تعرف حتى اسمها، من دون أن تخونها أي كلمة. ومع ذلك كان صعباً عليها الآن أن تصدِّق أنّها قبل فقط شهرين أو ثلاثة قصيرة كانت عاجزة تماماً عن الاشتراك في أحاديث مع نساء تقابلهن في الحديقة العامة.

«حسن، أراك في الغد»، لوَّحت والدة تشايمي بيدها وتوجَّهت إلى فناء المدرسة لتبحث عن طفلتها.

ردَّت عليها سايوكو بتلويح من يدها: «باي»، ثم أسرعت برفع أكاري إلى المقعد المثبَّت إلى مقود الدراجة.

قادت الدراجة إلى السوبر ماركت وهي تفكِّر فيما ستعد على العشاء وراحت تضع لائحة ذهنية بما ستحتاج إلى ابتياعه.

سألت أكاري: «مع من لعبت اليوم، يا حبيبتي؟» كانت تسأل ابنتها السؤال نفسه في كلِّ يوم، وتصلّي كي يأتي اليوم الذي تتجاوب فيه أكاري أخيراً مع اسم صديقة جديدة تعرَّفت إليها.

تجاهلت أكاري السؤال وباشرت بدلاً من ذلك بهمهمة أغنية. لم تتعرَّف سايوكو إلى اللحن. كان أحد الألحان المفضَّلة لدى ابنتها مأخوذ من سلسلة

---

(1) الخط الكانجي (Kanji): الرسم اللفظي للخط الصيني الذي يستعمل في نظام الكتابة اليابانية الحديثة. - المترجم

أفلام كرتون تشاهده على التلفاز، لذا ظنَّت للوهلة الأولى أنَّه هو، لكنَّها سرعان ما أدركت أنَّه لحن آخر.

سألت: «أهذه أغنية جديدة تعلمتها اليوم؟».

من دون أن تلتفت من مقعدها، أومأت أكاري برأسها إيماء قصيراً.

«هذا ما ظننت. أتعلمين، يا حبيبتي، أريدك أن تعرفي أنَّه حتى وإن كانت الماما مضطرة إلى الذهاب إلى العمل، فسوف تبقى الماما إلى جوارك في قلبها، وترعاك. وأينما أكون سأتساءل، ترى ماذا تفعل أكاري الآن، فأنظر وأرى، أوه، إنَّها تتناول طعام الغداء، أوه، إنها تتعلَّم أغنية جديدة. وفي كل يوم، حتى عندما لا تستطيعين رؤيتي، فإنَّ الماما ستكون معك دائماً، أتسمعين؟».

أومأت أكاري من جديد إيماء قصيراً، وهي تحدِّق مباشرة أمامها.

«هلا رفعت صوتك وأنت تغنين، لكي تستطيع الماما أن تسمع؟».

أخذت سايوكو تشدُّ على الدوّاسة بقوة أكبر. هبَّ نسيم رطب وحرَّك أوراق الأشجار على طول الشارع. كانت ترجئ سؤال شوجي عن الحفل، لكنَّها حتماً ستسأله هذه الليلة.

ناشدت سايوكو متكلِّمة في هاتفها المحمول المضغوط على جانب وجهها: «هل يمكنني أن أتأخَّر قليلاً؟» كانت قد خرجت من الحانة الصاخبة إلى بهو المصعد الهادئ قبل الآخرين لكي تتصل بزوجها.

«هه؟» جاءها صوت شوجي من خلف تشويش غامض. لم تكن سايوكو متيقِّنة ما إذا كان في صوته نبرة غضب أم أنَّ السبب هو الاتصال الرديء. ألقت نظرة إلى ساعة يدها. الساعة لم تتجاوز بضع دقائق بعد الثامنة».

«أعني، إنَّه حفل ترحيب أقيم من أجلي، كما تعلم، وقد أقاموه في يوم السبت إكراماً لي. سأشعر بالحرج إذا قلت فجأة إنَّني مضطرة إلى المغادرة في وقت مبكِّر».

«أرى أنّني أكره على قبول هذا في كلّ أسبوع».

«تكره؟».

لعلّه قصد أنّها نكتة: ميَّزت ذلك في صوته. لكنّ الجواب خرج من فمها قبل أن تتمكّن من لجم لسانها.

قال شوجي: «لقد غفت أكاري قبل قليل، بعد أن جعلتني أعيد قراءة القصة نفسها خمس مرات متتالية». بدا أنّه أدرك التوتر في نبرة صوت سايوكو وغيَّر الموضوع تجنُّبا لوقوع مواجهة.

انفتح باب الحانة ذو الحركة الآليّة وتدفّق بقية جماعة سايوكو إلى الخارج بعد أن دفعوا الحساب. وهرعت آوي نحو سايوكو.

قالت سايوكو على عجل في الهاتف المحمول: «آسفة، يجب أن أذهب. وشكراً لك. أعدك بألا أتأخّر كثيراً». وأغلقت الهاتف.

«إذن؟ ماذا قال؟» سألتها آوي وهي تبتسم ابتسامة مفعمة بالأمل، ورائحة الكحول تفوح من أنفاسها.

ردَّت سايوكو بابتسامة رافعة السبابة والوسطى إلى أعلى علامة على النصر: «قال لا بأس».

احتشد أعضاء هيئة شركة بلاتينيوم بلانت - ميساو سيكين، وجنكو إيوابوتشي، وماو هيويغاوا، المسؤولة عن المحاسبة - بالإضافة إلى آخرين عديدين من الحفل، على الجانب المقابل من الشارع وهم يصرخون باقتراحات حول انتقالهم إلى الحانة التالية. تراجع تاكيشي كيهارا، ووقف بجوار سايوكو. تساءلت مع قدر من الرعب، هل سيأتي هو أيضاً إلى منزل آوي. كانت تأمل في أن تحظى بفرصة للتحدُّث مع آوي وحدهما، وإلى جانب ذلك، لم يكن انطباعها عن تاكيشي جيداً جداً. ليس لأنَّ سلوكه كريه، لكنّه كان بصورة ما يسبب لها الإزعاج.

عندما نزل تاكيشي إلى الشارع ليستوقف سيارة أجرة، همست سايوكو بسرعة في أذن آوي: «هل سيأتي معنا، أيضاً؟».

قالت: «لا أبداً، إنَّه يقيم في مكان يقع على طريقنا، لذا سوف نأخذه معنا».

أطلقت سايوكو تنهيدة ارتياح هادئة. التفت تاكيشي لكي يهتف قائلاً: «إنَّ هناك سيارة أجرة تتوقَّف».

قالت آوي لسايوكو وهي تنزلق إلى المقعد الخلفي: «عديني بألا تصابي بصدمة عندما ترين منزلي».

سأل تاكيشي من المقعد الأمامي: «هل نجعله يوصلنا إلى شيموكيتازاوا أولا؟

«لا تمنّي نفسك بمرافقتنا. يستحسن أن نتوقف عند سانغوباشي أولاً».

قال: «أوه، حاضر. وكأنَّني أرغب في ذلك. على رسلك»، ثمَّ التفت إلى السائق: «أولاً إلى سانغوباشي، ومن ثمَّ إلى شيموكيتازاوا».

انطلقت سيارة الأجرة. استرقت سايوكو نظرة على تاكيشي من المرآة. لم تر إلا إحدى عينيه.

كان حفل الترحيب بالعاملين الذي أقيم في شينجوكو قد بدأ في الساعة الخامسة بحضور حوالي عشرين شخصاً. كان حشداً مختلطاً في السنِّ والمهنة – منتج محل لبيع التجزئة، ومنسّق مناسبات، ومستشار إداري، وممثل طموح، وما إلى ذلك – لكنَّ سايوكو فوجئت بأنَّهم جميعاً يشبهون آوي في الروح: منفتحون بلا تحفُّظ وبلا حذر، وضحكهم قريب، والحديث معهم سلس. وبدأوا على الفور بمعاملتها معاملة صديقة حميمة. تكلَّمت قليلاً عن تربية الأطفال مع امرأة نشرت أطروحة حرة. وقامت هي ويوكي ياماغوتشي معاً بتقديم نصيحة من القلب للممثل الشاب. وقامت بمقارنة الملاحظات مع ميساو

سيكين حول الشقّة التي نظّفتاها، وكل منهما تحكي حكاية تحاول أن تتفوّق فيها على حكاية الأخرى حول أسوأ قذارة واجهتها.

باستثناء زملائها في العمل، بقيت سايوكو غير قادرة على مطابقة الأسماء على الوجوه حتى ثلاث ساعات لاحقة، لكنها شعرت كأنّها لم تستمتع كثيراً بالضحك والتحدث مع صديقاتها في حانة منذ مائة عام. وعلى مدى الأمسية حاولت مرات عدّة أن تبحث عن آوي في أرجاء غرفة المأدبة المصممة على طراز التاتامي لكي تتحدّث معها، لكنّها في كلّ مرة كانت تجد تاكيشي ملازما لها. ولم تتمكّنا من تبادل بعض الكلمات إلا عندما بدأ عقد الجمع ينفرط ووجدتا نفسيهما تنتعلان حذاءيهما جنباً إلى جنب، وعندئذ دعت آوي سايوكو لزيارتها في بيتها لتناول المزيد من المشروبات.

كسرت آوي الصمت بنبرة صوت جادّة: «اسمع يا تاكيشي، بالنسبة إلى ما كنت تقول، حول ما يشبه الدليل الشخصي الذي ليس بمترجم ولا برفيق؟ لا يسعني إلا أن أرى أنّ الأمر سوف يشبه تسليم الناس إلى مضيف محليّ. إنّك في الحقيقة إنّما تنظر فقط إلى المحصّلة النهائية».

«هذا ما حسبت أنّك ستقولين. لكنّك لا تستطيعين أن تنكري أنّ هناك حاجة حقيقية. إنّه مشهد لعين أفضل من ترك الناس يقعون تحت رحمة متطفّل على النساء معسول اللسان يستهدف السياح اليابانيين».

خمّنت سايوكو أنّهما يناقشان فكرة عمل جديدة. وشعرت كأنّها طفلة مستثناة من الاشتراك في حديث البالغين، فراحت تراقب الأبنية تنجرف مارة خارج النافذة. وسرعان ما خلّفت سيارة الأجرة أضواء نيون شنجوكو خلفهم. الساعة الثامنة وثماني عشرة دقيقة. في يوم السبت العادي، كانت تقوم بعمل التنظيف بعد العشاء، وتتوقّف بين حين وآخر لكي تطل على السماء الزرقاء بلون الحبر الممتدة خارج الأبواب الزجاجية المؤدية إلى الشرفة. وهذه الليلة

علمت أنَّ السماء فوق شينجوكو في مثل هذه الساعة تتوهَّج بلون قرمزي مشرق.

«إنَّني لا أفهم ماذا ينجز هذا. إنَّك لاتزال تمحو أيَّ إمكانية لحدوث لقاء مصادفة بينهم في حالات أخرى».

«هذا الكلام جدير بأن يصدر عنك. ولكن إذا لم يكن لديك مانع، أعتقد أنَّه أهم بكثير من شيء بعيد تماماً مثل التدبير المنزلي».

«أهمّ؟ أنت لست في موقع يؤهِّلك لتخبرني ما هو أشدَّ أهمية. إنَّها شركتي، ثمَّ إنَّ السفر وتدبير المنازل ليسا أمرين منفصلين على الإطلاق».

«يعني، ربما لا، ولكن..».

استدار تاكيشي في مقعده لكي ينظر إلى سايوكو الجالسة خلفه مباشرة وابتسم لها ابتسامة مبهمة. تلوَّت بخجل، متسائلة ماذا يعني بهذه الإيماءة. تمتمت لنفسها: «أتمنَّى لو تسرع وتغادر، أيها البغيض!» ولاتزال تشعر كأنَّها تلك الطفلة المستثناة.

بعد نزول تاكيشي، تابعوا الطريق بعض الوقت ثم توقَّفت السيارة أمام مبنى للشقق من الإسمنت المسلَّح. أما باقي الجانب السكني الهادئ من الشارع فكان مصفوفاً بمزيج من المنازل الخاصة وأبنية الشقق ذات الأطر الخشبية. خرجت سايوكو أولاً من السيارة، وحاولت أن تعطي آوي حصتها من الأجرة فخرجت خلفها، لكنَّها رفضت أن تأخذها.

قالت آوي وسط الصمت الذي هبط عليهما بعد ابتعاد سيارة الأجرة: «هذا هو المكان». رفعت ذراعها في إيماء شامل نحو المبنى. وقادت الطريق إلى الداخل، ثمَّ توقَّفت عند صندوق بريد صدئ لكي تدخل مفتاحاً وتخرج بريدها. لم يكن للمبنى باب للأمان عند المدخل، وكان المصعد عتيقاً جداً حتى أنَّ الهواجس المقلقة كانت تطارد سايوكو في أثناء صعودهما. ترجَّلتا في الطابق

الخامس وتابعتا السير على طول ممشى مكشوف يؤدي إلى باب منزل آوي.

قالت آوي: «ادخلي من فضلك» وهي تهرع لتدير مفتاح النور الذي يضيء عدداً من الأضواء الموزَّعة في أرجاء الغرفة. أضاء الجدران والسقف وهج أصفر ناعم للشقَّة المؤلَّفة من غرفة نوم واحدة. كانت هناك أغراض مكوَّمة في كل مكان.

مساحة منطقة المعيشة الرئيسة نحو أربعة أمتار في خمسة، وغرفة النوم هي غرفة تاتامي من ست حشيات. بوغتت سايوكو لاكتشافها أنَّ آوي تقيم في شقَّة أصغر بكثير من غرفتها – على الرغم من أنَّها تعتقد أنَّ مساحتها رحبة بالنسبة إلى شخص واحد يعيش وحيداً.

قالت آوي مطلقة ضحكة قصيرة: «كنت أعلم هذا». كانت قد باشرت بإعداد شيء في المطبخ: «إنَّ كلَّ الذين يحضرون إلى هنا يصدرون ردَّ الفعل نفسه. يفغرون أفواههم، أولاً المبنى عتيق جداً، ومن ثمَّ شقتي في حالة مزرية. إحدى اللواتي جئن إلى هنا لتناول مشروب كانت جسورة جداً حتى أنَّها قالت إنَّ رعشة الخوف تنتابها كلما فكَّرت في مستقبل الشركة بعد أن رأت حالة شقتي. حسن، يجب أن تعلمي، أنَّنا قد نكون في حالة من الركود في الوقت الحالي، ولكنَّنا لسنا في وضع سيئ إلى درجة ألا نتمكَّن عندها من دفع الرواتب. أوه، اجلسي هناك من فضلك. لا عليك من هذه المسألة».

أزاحت سايوكو ركاماً من الملابس بعناية جانباً وجلست على الأريكة. كانت الستائر مفتوحة وكان في استطاعتها أن ترى أضواء منبعثة من ناطحات السحاب في حي الأعمال من شينجوكو تسطع وسط الظلام في المدى البعيد.

هتفت: «شيء رائع! لديك منظر رائع!».

قالت آوي بسرور ظاهر: «نعم، هذا ما جذبني إلى هذا المكان».

نظرت سايوكو حولها في أنحاء الغرفة. جهاز تلفاز 25 بوصة. أريكة من الجلد الاصطناعي، نبات أصص كبير ذو أوراق يكسوها الغبار، لوحة تجريدية مثقلة بأطياف اللون الأزرق معلّقة على الجدار، تشكيلة من المجلات مبعثرة على الأرضية، مكيّف هواء قديم الطراز بدا عتيقاً إلى درجة أنَّ المرء يتساءل إن كان يعمل حقاً، بعض المفروشات ذات اللون العاجي وتشكيلة من الأغراض الأخرى من أقاصي آسيا، ومن ناحية أخرى، هناك تماثيل صغيرة ومنسوجات غريبة جلبت من رحلات خارجية تطغى على جو الغرفة، مع اللوحة التجريدية، ومن ناحية أخرى، كانت هناك أكداس من علب الكرتون في الركن ومطبوعات فاكس مكوّمة مع أرقام صغيرة تغطي الأرضية.

بينما سايوكو تستوعب هذا كلّه، وجدت نفسها تتساءل ماذا لو؟ ماذا لو أنّها استمرت في العمل في شركة توزيع الأفلام بدلاً من أن تتزوّج؟ لعلّها كانت اليوم تعيش في شقّة لا تختلف كثيراً عن هذه. وحدها مع وحدتها، أو أحياناً مع صديقة، وتعود ثملة إلى غرفة كهذه، وتصب لنفسها مشروباً قبل أن تنام، وتحدّق إلى أضواء المدينة عن بعد.

جلبت آوي كأسين من النبيذ وطبقاً من الجبن إلى طاولة القهوة وجلست القرفصاء على الأرض.

سألت: «ما هي أوصاف بيتك؟».

أجابت سايوكو: «يتألّف من ثلاث غرف نوم. على مسافة اثنتي عشرة دقيقة سيراً من المحطة. وأن يكون لديك طفلة تعلّمت المشي جديداً يعني أنَّ المكان دائماً في حالة فوضى.

«يا سلام، كنت أتمنّى أن يكون لديَّ مثل ذلك النوع من الأماكن. أهو ملكيّة مشتركة؟».

صبّت آوي النبيذ.

«أهاه. يكتمل مع صك رهن مدته خمسة وثلاثون عاماً».

في الأيام الأخيرة، كانت سايوكو قد رضخت لإلحاح آوي بالتخلّي عن صيغ التخاطب الرسمية المتعارف عليها التي كانت قد استخدمتها في أول الأمر مع رئيستها – على الرغم من أنّها ظلّت لا تشعر بالارتياح لمخاطبتها رئيستها باسمها الأول. في الأيام التي كانت تغادر فيها عملها باكراً، كانت دائماً تتوجه مباشرة إلى المنزل وتقدّم تقريرها إلى آوي عبر الهاتف بكلّ بساطة. وحالما كانت سايوكو تنتهي من وصف نشاطات يومها، تسألها آوي عن سير الأمور في مدرسة الحضانة، أو عن أحوال سايوكو فيما يخص «العجوز» وتعليقاتها الساخرة، وتفتن سايوكو بسلوك آوي وتقول أكثر مما ينبغي أن تفعل، ومع مرور الأيام أدركت أنّها هي أيضاً كفّت عن استخدام صيغ الحديث الرسمية.

رشفت سايوكو رشفة من نبيذها: «أتعلمين، أشعر بارتياح هنا. قد آتي إلى هنا مع أكاري إذا ساءت الأمور في المنزل». كانت تعني المزاح، ولكن بعد أن خرجت الكلمات من فمها كادت تسمع شوجي يهمس في أذنها مكرها..

«طبعاً، في أيّ وقت. تعالي فوراً. يمكننا أن نفرش غرفة التاتامي وننام كلنا جنباً إلى جنب. ولكن بعد إعادة التفكير، فلننس أمر التكوّم في هذا المكان القذر. فإذا أردنا أن نهرب من المنزل، فلنتوجه إلى ينابيع حارة في مكان ما، ونغوص في مغاطس استحمام في الهواء الطلق، ونولم من وجبات فاخرة. ونغب من الحياة!».

أشعلت آوي سيجارة وضحكت:

«أوووه، ينابيع حارة. هذا مغر. لم أذهب إلى أحدها منذ أعوام».

«إذن فلنقم بذلك. جدياً!».

«إنّني أنكمش لدى التفكير فيما يمكن لزوجي أن يقول. إنّه يثير اشمئزازي.

أتعلمين ماذا قال قبل قليل - وبكل وقاحة؟ قال لي إنّني: «فرضت» عليه أكاري، أتصدقين؟ وكأنّه يرى قضاء بعض الوقت مع ابنته أمراً مملّاً وبغيضاً، كغسيل الملابس أو غسل الأطباق».

تركت سايوكو الكلمات تتدفّق منها، بعد أن حلّ الكحول عقدة لسانها، من دون تحفُّظ. ولم تكن قد اكتشفت إلا حديثاً كم هو مريح أن يبوح المرء بأسراره. وسواء أكان الأمر يتعلّق بالألم الذي تسببه لها حماتها أو الكلمة المتهورة التي نطقها زوجها، فإنّ مشاركة ذلك مع شخص آخر له جانبه المسلّي، وأصبح في استطاعتها أن تضحك وتنسى. ومن ناحية أخرى، حتى أضأل الأشياء يمكن أن يتّخذ ثقلاً مبالغاً فيه ويصبح أشبه بمأساة كبرى إذا ما تركته حبيساً داخلها. لقد وجدت أنّها مع آوي تستطيع أن تتكلّم حول كلّ شيء من دون أدنى تردُّد.

«أوه، يا إلهي. أعتقد أنّك قلّصت أي رغبة باقية لديَّ في الزواج بنسبة سبعين في المائة على الأقل. لهذا السبب تزداد أعداد النساء اللواتي يقلن هذه الأيام دعك من الزواج، دعك من الأطفال. السبب الحقيقي للهبوط الحاد في نسبة المواليد ليس النساء العاملات، بل شكاوى ربات البيوت السعيدات في زواجهن».

«الأمر مختلف بالنسبة إليك، لأنّك تستطيعين أن تعتني بنفسك جيداً من دون وجود رجل. أما الاستمرار وحدي فكان أمراً مخيفاً بما لا يقاس بالنسبة إليّ. إنّني لم أؤمن يوماً بأنّ في استطاعتي أن أنجح في مجال العمل».

«أحقاً؟ هذا عكس ما حدث معي بالضبط. فأنا لم أؤمن قط بأنّ في استطاعتي أن أنجح زوجة وأمّاً. إنّ مجال العمل سهل: فقط قومي بالعمل الذي بين يديك. قومي بكل عمل على حدة، وسرعان ما ينقضي النهار. وكرّري الأمر في الغد».

سكتت آوي، وخيّم الصمت على الغرفة. ارتفع الدخان الذي نفثته ببطء

نحو السقف. وبعيداً خارج النافذة، كانت أضواء صغيرة تومض وتخبو في أعالي ناطحات سحاب شينجوكو.

«هل في حوزتك صور فوتوغرافية لابنتك؟».

أخرجت سايوكو هاتفها المحمول وفتحته لكي تري آوي صورة أكاري التي استعملتها صورة ثابتة على الشاشة.

قالت آوي: «واو، ما أحلاها! أعتقد أنَّ لها عينيك»، ثمَّ سألت من دون أن تزيح نظرها عن شاشة التلفاز: «هل انتابك الخوف عندما أنجبتها؟».

«الخوف؟».

«بالنسبة إليَّ إنَّه أمر مرعب بكل معنى الكلمة. الخوف بعبع حقيقي، أليس كذلك؟ ها أنا ذي، امرأة بالغة، أعيل نفسي في عملي، أجري مكالمات عمل هاتفية للإعلان عن شركتي وأنا سعيدة، واثقة من قدرتي على مواجهة رجال يمتلكون ضعف خبرتي وأخرج منتصرة، لكنَّ التفكير في حمل طفل يبثُّ فيَّ الرَّعشة. شيء مثير للشفقة، أليس كذلك؟ ولكن لا حيلة لي فيه. إنَّني أتخيَّل الطفلة التي أحملها داخلي تنمو وتتأذّى أو يتحطَّم قلبها من أجل أمر لا أعرف عنه أي شيء، فينتابني الخوف الشديد. أعتقد أنَّ ذلك يعود سببه إلى أنَّني لم أكن أخبر والديَّ بأيِّ شيء وأنا صغيرة. ماذا لو أنَّ طفلتي أصبحت تشبهني؟ أكره هذه الفكرة»، قالت هذا مع قهقهة وهي تعيد الهاتف المحمول إلى مكانه.

قالت سايوكو، وهي تنظر إلى ابنتها التي تبتسم لها من موقعها على الهاتف: «في الواقع، هذا ما أفكر فيه أحياناً - في أن تصبح أكاري أقرب شبهاً بيّ. أنا أيضاً أكره هذا. أريد لابنتي أن تكون أكثر ذكاء، وإنطلاقاً، واجتماعيَّة، كما تعلمين، ولكن عندما تتخيَّلين مدى ما تسببه من رعب في المنزل، يكون من المحزن كم تصبح خائفة خارج المنزل. هي أسد في المنزل ولكنَّها فأر في

خارجه، كما يقال. تتردَّد إلى المدرسة الآن منذ شهر تقريباً ومع ذلك لم تعقد أيَّ صداقة حتى الآن حسب علمي. تذكِّرني قليلاً بما كنت عليه، وعندما أستعيد ذاكرتي، أعلم أنَّني كنت هكذا بالضبط. هذا ليس أمراً مرعباً بقدر ما هو يحطِّم القلب».

تذكَّرت سايوكو أكاري وهي تنفجر بالبكاء عندما كانتا ذاهبتين إلى المدرسة، وتصرخ قائلة إنَّها لا تريد أن تذهب، وعلا بكاؤها عندما سلَّمتها لهيئة التدريس. لم يكن أيٌّ من الأطفال يبكي عندما كانت هناك، وقبل يومين فقط سمعت عضواً أقدم عهداً في هيئة التدريس تقول إنَّهم لا يستقبلون عادة مثل هذه الباكية العنيدة. غير أنَّ ما ذكَّرها به أسى أكاري في الغالب ليس نفسها وهي طفلة؛ بل نفسها عندما أصبحت أمًّا، تتنقَّل بهياج من حديقة عامة إلى أخرى.

كانت آوي تعبث بأظافر قدمها وتصغي. قالت: «نعم»، واقفة على قدميها ومتوجهة إلى المطبخ: «أنا أعلم بالضبط كيف تشعرين – على الرَّغم من أنَّه ليس لي أطفال. وعندما يصل الأمر إلى هذا الحد، أعتقد أنَّ جيلنا برمَّته يعاني الخوف من الوحدة».

رفعت صوتها لكي تجعل نفسها مسموعة من المطبخ. نظرت سايوكو من خلال فتحة خزانة أدوات المائدة عندما رفعت آوي نفسها على أصابع قدميها لكي تتناول شيئاً من الرفِّ الأعلى.

قالت سايوكو، بنبرة سؤال: «خوف مرضيّ من الوحدة؟».

«أهاه. الأمر أشبه بألا يكون لك أصدقاء، إنَّه نهاية العالم، أنت تفهمين ما أعني؟ ففي وقت من الأوقات، يخطر في بالنا أنَّ الأطفال الذين لهم عدد كبير من الأصدقاء هم أذكياء وسعداء، والأطفال الذين ليس لهم أصدقاء مكفهرون ومكتئبون، والاكفهرار والاكتئاب سيئان. هكذا كنت على أيَّة حال. هذا ما أفكر

فيه دائماً. على الرغم من أنّ هذا قد لا يكون حال جيلنا فقط. لعلّه وضع عالمي».

كانت تعدُّ وعاء من الإفطار في أثناء تكلُّمها. وفيما يتعلّق بالجزء الأخير منه كانت تتكلّم في الغالب عن نفسها.

من جديد نظرت سايوكو إلى آوي بدهشة. هل قالت شيئاً لآوي عن الحدائق العامة؟ هل أخبرتها عن تلك الأشهر كلّها التي أمضتها متنقلة من حديقة إلى أخرى، غاضبة من أكاري بسبب عجزها عن الاختلاط مع الأطفال الذين في مثل سنّها حتى وهي تلوم نفسها لعجزها عن عقد صداقات مع أمهات أولئك الأطفال؟

ظهرت آوي من المطبخ حاملة وعاء كبيراً في كلّ يد - يد تحمل رقائق البطاطا، والأخرى تحمل مزيج المكسرات. وضعتهما على طاولة القهوة.

قالت: «آسفة، أنا لا أطبخ، لذلك هذا كلُّ ما أستطيع تقديمه».

نظرت سايوكو إلى الوعائين من دون أن تراهما فعلاً. باشرت بالقول جواباً على ملاحظة آوي السابقة: «لعلك على حق، ولكن...»، ثم سكتت، لا تعرف كيف تواصل. مدت يدها إلى رقائق البطاطا ووضعتها في فمها.

قالت آوي: «أذكر وأنا طفلة أنّه كان أمراً سيئاً ألاّ يكون للمرء أصدقاء. في الواقع كان شيئاً مؤلماً جداً - هذا الاعتقاد. ولو أنَّ لديَّ طفلاً، لانتابني القلق من أن يكون ذلك متأصّلاً فيَّ، من أن أنقله إلى طفلي. وهذا هو الأمر المرعب. ربما يجب أن أكفَّ عن الثرثرة حول هذا إلى أن يصبح لديَّ طفل فعلا». وانفجرت تضحك.

قالت سايوكو: «ولكن من الأفضل حقاً أن يكون للمرء أصدقاء كثر، ألا تعتقدين؟» كادت تحمرُّ خجلاً من مدى نبرة اليأس التي صاحبت صوتها. ولكن ببساطة كان يجب أن تعرف. أن تعرف أيَّ نوع من الأشخاص ستصبح آكاري؟ أن تعرف ما إذا كان اختيارها صائباً أم خاطئاً؟ أن تعرف إلى ما ستؤدي

ملاحظات آوي في نهاية المطاف؟ لم يكن واضحاً لسايوكو بالضبط ما الذي تريد أن تعرف، لكنّها شعرت برغبة عارمة في الفهم.

«أنا لست قريبة من الأطفال، لذا ليست لديَّ فكرة كافية عن الأشياء التي يمكن أن تؤثّر على نموّهم. ولكن بالنسبة إليَّ، إيجاد شيء يزيل الخوف من الوحدة، أهمّ بكثير من الحصول على عدد كبير من الأصدقاء بحيث ينتهي بك الأمر إلى الإحساس بالرعب من العزلة. على الأقل هذا هو اعتقادي الآن».

حدَّقت سايوكو إلى آوي الجالسة على الأرض في الطرف المقابل من طاولة القهوة. شعرت كأنّها مدَّت يدها وتلقَّت عليها ضربة. نعم. لعلَّ ما احتاجت إلى أن تعلّمه لأكاري هو ما قالته آوي بالضبط حالاً. ربما من الخطأ الغضب بشأن افتقار ابنتها إلى الأصدقاء عندما تسلّمها وهي تبكي إلى هيئة تدريس مدرسة الحضانة في صباح كلّ يوم، أو شعورها بخيبة الأمل لأنّها لم تكن قد سمّت أيّة رفيقة لعب جديدة عندما استلمتها في آخر النهار. بقيت عينا سايوكو مثبّتة على آوي في حين كان هذا كله يدور في ذهنها.

باشرت بالقول: «أتساءل...»، لكنّها وجدت من جديد أنَّ أفكارها كانت شديدة الاختلاط حتى أنّها لم تتمكّن من الاستمرار فلزمت الصمت.

«ولكن أعتقد أنَّ الشعور بأنّك على ما يرام حتى من دون أن تحصلي على رجل يدفع بالأمور إلى أبعد مما ينبغي». رمت آوي جوزة إلى فمها، ثم رمت برأسها إلى الخلف وضحكت.

رنَّ جرس هاتف سايوكو المحمول. لم تكن في حاجة إلى النظر إلى الشاشة لتعرف أنَّ المتّصل هو شوجي. وعرفت من إلقاء نظرة سريعة إلى ساعة يدها أنّها قاربت العاشرة. رفعت الهاتف ونهضت واقفة على قدميها بعد أن رنَّ للمرة الثانية:

«يستحسن أن أذهب. شكراً لك على النبيذ والوجبة الخفيفة. ربما تزورينا

أنت أيضاً في وقت ما. سوف أعد لك وليمة».

«فيما يتعلّق بي، يمكنك أن تقضي الليل عندي...ولكن أعتقد أنَّ هذا لا يناسبك. خذي»، قالت آوي، وهي تفتح محفظتها على عجل وتخرج منها ورقة نقدية بقيمة 10000 ين ووضعتها بين يديّ سايوكو: «خذي هذه من أجل سيارة الأجرة. فقط اطلبي الوصل واجلبيه إليّ في المكتب. أخبري السائق أن يسير في طريق المكوس. سيكون أسرع».

بدأت سايوكو بدفع الورقة النقدية بعيداً، لكنَّها أدركت بعد ذلك أنَّها لم تكن واثقة من استطاعتها بلوغ أقرب محطة من دون أن تضيّع الطريق. قبلت النقود مع انحناءة شكر. وعرضت آوي عليها مرافقتها حتى الطريق العامة، لكنَّها أصرَّت على أنّه لا ضرورة لذلك وودَّعتها عند الباب مع تلويح عابر باليد.

بعد أن أغلقت الباب خلفها استقلّت المصعد وهرعت إلى الخارج، وراحت تركض على طول الشارع. ثم انحدرت عند أحد المنعطفات وإذا بالطريق الرئيسة بدفقها المتواصل من أضواء السيارات الأمامية في كلا الاتّجاهين يظهر أمام عينيها على بعد خمسين أو ستين متراً. ركضت باقي المسافة وهي تلهث، وفتشت بين السيل اللامتناهي من السيارات عن سيارة أجرة تضيء إشارة الفراغ.

في سيارة أجرة تفوح برائحة فينيل أغطية مقاعدها أغمضت سايوكو عينيها وتخيّلت الشقَّة التي غادرتها قبل ثوان. تراءت لها آوي في غرفة الجلوس، لا تزعج نفسها بإزالة الكأسين والصحون عن طاولة القهوة، وترتمي على الأريكة وتدير مفتاح جهاز التلفاز، وترشف ما تبقّى من نبيذ وهي تضحك على برنامج هزلي تقليدي وحدها. ***«لتعثري على شيء يزيل عنك الخوف من الوحدة، بدلاً من أن يكون لك العديد من الأصدقاء وينتهي بك الأمر إلى الإحساس بالرعب من العزلة»***.

ظنّت أنّه ربما ينتابها الشعور نفسه الذي انتاب نوريكو عندما ضحكت آوي بخفّة لتنفض عنها قلقها حول مصّ الأصابع.

وسط ظلمة المقعد الخلفي، التفتت سايوكو لتبحث عن المبنى الذي يعلو فوق أبنية الحي المجاور، محاولة أن تميّز النور الصادر من نافذة آوي يشع بسطوع في قلب الليل.

—6—

كانتا قد اتّفقتا على أن تتقابلا بعد ثلاث محطات على الطريق. قالت آوي إنّ ذلك ليس ضرورياً، لكنّ ناناكو أصرّت على أنّ تلك الطريقة أفضل.

بيّنت قائلة: «أنت التي ستندمين إذا شاهدك شخص نعرفه برفقتي».

لم تفز آوي بسماح والدتها لقضاء العطلة الصيفية بالعمل في نزل في إيزو مع ناناكو إلا مع التئام اجتماع عائلي في وقت متأخر من الليلة الفائتة، ولم تفهم آوي سبب رفض أمّها. فهي لم تطلب أن تذهب وحدها، ولا لكي تتمدّد فقط على الشاطئ؛ فهي ذاهبة مع زميلة لها في المدرسة لكي تقوم بعمل شريف.

في خلال النقاش، لم تكد آوي تقوى على احتواء غضبها. لقد خاب أملها في أمّها أكثر من أي وقت سابق.

كانت أمّها قد أعلنت: «يزداد قلقي عندما تذهبين مع فتاة منحدرة من ذلك المكان».

ارتجفت يدا آوي تحت الطاولة من فرط الغيظ. ماذا تعرف عن ناناكو أصلاً؟ لا يحقُّ لها أن تهين صديقة آوي التي لا تعرف عنها أيَّ شيء فقط لأنّها لا تجد شيئاً جيداً بالقدر الكافي بالنسبة إليها في هذه البلدة. والطريقة التي قالت بها «ذلك المكان» كأنَّ المجمّع السكني الذي عاشت فيه ناناكو بيئة قذرة – فهل اعتقدت أنَّ منزلهم المتهدّم هو قصر منيف؟

لكنّ آوي كانت تعلم أنّ الردَّ عليها سوف يلغي أي أمل لديها في الذهاب

إلى إيزو. لذا كظمت غيظها بحزم. وبينما هي تفعل ذلك، بدأت الدموع تجري على وجنتيها. كانت دموع الغضب، لكنَّ والدها ظنَّ أنَّ سببها هو خيبة أملها في تحطُّم خططها لقضاء فصل الصيف، وهذا دفعه إلى التكلُّم لصالحها.

قال: «إنَّها في السنة ما قبل الأخيرة في المدرسة الثانوية الآن. إنَّها تقريباً بنت راشدة، وحان الوقت لكي تبدأ في اكتساب بعض الخبرة، والعمل في نزل هي فرصة كبيرة لذلك». تورَّدت وجنتاه من تأثير المشروب، لكنَّه نجح في إعادة والدة آوي إلى صوابها. ووافقت على ذهاب آوي شرط أن تتَّصل بها هاتفياً في كل ليلة.

لكنَّ حصول آوي على الإذن بالذهاب لم يهدِّئ من غضبها، وكان من المفترض أن يجافيها النوم في تلك الليلة من فرط الحماس، إلا أنَّها بدلاً من ذلك استلقت في سريرها وعيناها تذرفان الدمع. ماذا اقترفت ناناكو من ذنب حتى تستحق احتقار أمِّها؟ احتقار امرأة تشبَّثت هي نفسها بأوهام رخيصة بشأن ماضيها وكأنَّ حياتها كلَّها تعتمد على ذلك.

كانت السيدة ناراهاشي في مزاج نكد منذ انتقالهم، تعثر على وظائف جديدة ومن ثم تتركها واحدة بعد الأخرى، وفي خلال الأشهر الأخيرة باتت تنفِّس عن خيبة أملها في ابنتها. فعندما يحدث شيء مزعج في العمل، تتذكَّر أنَّ ابنتها هي السبب في انتقالهم منذ البداية، فترميها بتعليق حقود لدى عودتها إلى المنزل. وذات مرة عندما كانت آوي تتحدَّث عن خططها بعد الانتهاء من المرحلة الثانوية ذكرت أمر الانتساب إلى كليات طوكيو، فعلَّقت أمُّها بنبرة باردة إلى درجة أنَّها أشاعت القشعريرة في جسمها: هل حقاً تنوي الانتقال إلى المدينة الكبرى وحدها بعد أن دفعت العائلة بأكملها إلى الانتقال إكراماً لها؟ وفي مرة تالية وصل بها الأمر إلى درجة اتِّهام آوي أنَّها تستجلب إزعاج الآخرين إليها. ومع كل تعليق مؤذ، كانت خيبة آوي في أمِّها تزداد باطِّراد.

لكنَّ سخريتها من ناناكو هي التي لا تغتفر حقاً.

في صباح اليوم التالي، رسمت السيدة ناراهاشي لآوي ابتسامة تهدّئ الأعصاب وناولتها مغلّفا مملوءاً بالنقود. وقالت «احتفظي بها تحسُّباً للظروف. وإذا لم تحتاجي إليها، يمكنك أن تعيديها مضاعفة مما تكسبين»، واتّسعت ابتسامتها. كانت محاولة نادرة من ناحيتها لتكون فكهة.

كادت آوي أن ترفض حتى عربون السلام ذاك، لكنّها لجمت ذلك الإلحاح. وعلى الرغم من أنَّ مستخدمتها كانت ستوفر لها المكان والإقامة، كان معها بعض المال، ولا أحد يعلم متى يفيد مبلغ صغير من المال في الوقت المناسب.

قالت مبتسمة: «حسن، استعيدي مالك مضاعفاً».

رافقت الوالدة آوي حتى الباب وودّعتها بتلويح اليد العنيف نفسه التي تذكّرته في اليوم الأول من دخولها المدرسة الثانوية: «أتمنّى لك رحلة ممتعة، يا عزيزتي».

عندما ترجّلت آوي من القطار في المحطة الثالثة، كانت ناناكو تقف في انتظارها على بعد فقط بضعة أمتار على الرصيف ولمحتها على الفور، ودلفتا معاً إلى داخل القطار بالمعنى الحرفي وانهارتا على مقعدين متقابلين في عربة شبه خالية، متشابكتي الأيدي وتسقسقان من شدة الحماس.

«يا سلام! سوف نذهب!».

«كنت قلقة جداً من ألا يدعوك تأتين، يا أوكينز!».

«هل أحضرت معك ثوب السباحة؟».

«أتمزحين؟ أيُّ شيء آخر سنفعل في وقت فراغنا غير هذا؟ وأزلت عن جسمي الشعر الزائد، أيضاً».

«أنا أحضرت بعض طلاء الأظافر ومساحيق التجميل».

«حقاً؟ سيكون ذلك عظيماً! يمكننا أن نجرّب بعضاً منها على نفسينا كلَّ

ليلة بعد انتهاء العمل».

«فيما عدا أنَّ علينا أن نوفِّر بعض الوقت لأداء الواجب المدرسي، أيضاً. آمل أنَّك أحضرت دفاترك».

وطفقتا تثرثران في الشؤون كلِّها. كانت ناناكو ترتدي تنورة شديدة القصر من القماش المتين بطبقتين من سترة بلا كمَّين ذي طبقتين واحدة فوق الأخرى، وكما فعلت آوي، حزمت ناناكو أمتعتها في حقيبة ضخمة من النايلون. وخطر في بال آوي أنَّه يمكن أن يخطئ الناس فيعتقدون أنَّهما هاربتان.

خارج النافذة، امتدت حقول الأرز الخضراء الوافرة على امتداد النظر تحت سماء صافية. ولم يتغيَّر المشهد العام إلا قليلاً، حتى ليكاد المرء يعتقد أنَّ القطار كان واقفاً مكانه. «أخيراً تمكنّا من الفرار من هذا المكان اليوم»، هذا ما راحت آوي تردِّده لنفسها.

لم يكن هناك إلا بضعة مسافرين آخرين في العربة: سيدة عجوز تحمل سلة تسوُّق تغطي رأسها بوشاح خفيف ومربوط تحت ذقنها؛ وطفلة صغيرة مع أمِّها الشابة ذات الوزن الثقيل؛ وفتى من المرحلة الإعدادية تغطي وجهه البثور بدا كأنَّه ذاهب إلى دورة صيف دراسية في مكان ما. هؤلاء هم الأشخاص الذين ربما سيقضون حياتهم كلَّها في هذا المكان، ويعجزون عن الهرب. وأينما كانوا ذاهبين الآن، فسوف يعودون إلى البيت في آخر النهار. قد يعانون من الضجر، لكنَّهم سيبقون دائماً يشعرون بالخوف مما يقع خارج ذلك الضجر. وبينما آوي تتفحَّصهم، شعرت بما يشبه الإذعان الكئيب يتدفَّق من أجسادهم إلى الهواء المحيط بهم. قالت لنفسها: «***ولكنّنا لسنا مثلهم. نحن ذاهبتان إلى مكان أبعد كثيراً. ولسنا خائفتين مما يجري خارج هذا المكان الضيق***». والإثارة التي أمدَّها به هذا الكلام جعلها ترغب في الصراخ وإعلانه للعالم أجمع.

بعد نحو عشر دقائق من شق الطريق بالمناكب في الحافلة من محطة إيميهاما

وحتى إزوكيو لاين، وصلت الفتاتان إلى «محل ميكي وميني» وهو نزل يديره أفراد عائلة واحدة كانتا قد عثرتا عليه ضمن لائحة في مجلة إعلانات الوظائف. كان نزلاً صغيراً من ثلاثة طوابق يقع على بعد خمس دقائق مشياً أو ست دقائق من الشاطئ. ودخلتا من الخلف كما تقول التعليمات فرحّبت بهما امرأة ضخمة العظام بشرتها سمراء قاتمة قاطعت انحناءهما حتى قبل أن تتاح لهما الفرصة للتعريف بنفسيهما.

«مرحباً، يا بنات، فقط اتركا أمتعتكما هناك، وأنا في حاجة إلى إحداكما في المطبخ على الفور لكي تغسل الأطباق. وأومأت إلى ناناكو قائلة: «إذا كان في وسعك أنت أن تفعلي هذا»، ثم التفتت إلى آوي وقالت: «أودُّ منك أن تنشري الغسيل. سوف تجدين بعض الأشياء الخاصة بينها، أيضاً - آسفة على ذلك. آمل ألا يكون لديك مانع. أوه، هذا هو المطبخ هنا، وغرفة الغسيل في الداخل هناك. فقط أفرغي كل شيء في الغسّالات ثمّ انشريه».

ظلّت المرأة تصب سيلاً متدفقاً من الكلام وهي تري ناناكو المطبخ وتوجّه آوي نحو غرفة الغسيل.

تلك كانت المرة الأولى التي ترى فيها آوي غرفة غسيل شخص آخر أو أكواماً من الغسيل. نقلت الغسيل المجفّف بآلة التدوير إلى السلة التي عثرت عليها بجوار الغسّالات وتوجهت إلى الفناء الخلفي. وفي طريقها إلى الخارج، مرّت بالمطبخ من جديد ولمحت ناناكو واقفة عند المغسلة، وظهرها يواجه الباب، تغسل الأطباق المكوّمة إلى جوارها على النضد.

بدا واضحاً أنّ واجهة النزل حيث يدخل الضيوف ويخرجون كانت حديثة البناء، وذات مظهر رشيق وعصري، أما الفناء الخلفي فسمح للأعشاب البرية أن تغزوه. كانت الدمى مبعثرة على الأرض وبركة أطفال بلاستيكية تجمع مياه الأمطار. وقفت آوي على رؤوس أصابع قدميها تضيّق عينيها في وجه الشمس

الحارقة، وباشرت بنشر الغسيل. وبين أكوام المناشف من غرف الضيوف كانت هناك سراويل وقمصان داخلية للأطفال، وجوارب رجالية، وملابس داخلية للنساء، وما شابه. وبوضوح، لاحظت آوي، وهي تتابع إزالة التجاعيد عن المناشف والقمصان وتنشرها لتجفّ، أنّ المرأة الضخمة، السمراء، التي رحّبت بهما عند الباب لا تعرف الخجل.

لقد قطعت هي ونـاناكو مسافة لا تتجاوز خمس ساعات من السفر من المنزل على متن قطار، ومع ذلك شعرت أنَّ الشمس مختلفة تماماً. يبدو كأنّها قبل قليل كانت تواجه أمّها بتعبير وجه متجهّم، وتكاد لا تصدّق أنّها الآن في إيزو، تنشر الملابس الداخلية لامرأة غريبة. جرى العرق على وجهها. هل يبدو الشعور بحرارة الشمس أشدّ وطأة بسبب قربهم من البحر؟ وعندما بدأ رأسها يدور بسبب حرارة الشمس، قالت في نفسها إنّها قد تتمكّن أخيراً في مكان كهذا من أن تغفر لأمّها كلّ شيء.

التفتت آوي عندما جاء صوت المرأة الجاد من خلفها قائلاً: «أسرعي، يا عزيزتي. لديّ أعمال كثيرة يجب أن تؤدياها، لذا صمّمت على إبقائكما منهمكتين في العمل». كانت المرأة تراقب آوي من حافة الشرفة. مدّت يدها إلى جيب مئزرها وأخرجت سيجارة ثم أشعلتها، زفرت أول نفخة من الدخان مع هاااه مسموعة.

قالت: «أنا ريوكو مانو. يبدو كأنّه اسم ممثلة، أليس كذلك؟» وانفجرت تضحك من قلبها. «ولكن آسفة، أنا مجرد امرأة عجوز ملحاحة. ولكنّ هذا لا يعني أنّني طاعنة في السّن، ولكن أعتقد من نظرتك أنّه حتى عندما تكون المرأة في العشرينيات أو الثلاثينيات من عمرها فهي امرأة عجوز». وضحكت من جديد.

استنشقت آوي نفخة من الدخان في أثناء عبورها من أمامها.

تابعت ريوكو: «سأريكما المنطقة لاحقاً، ولكن في العموم، لقد بنينا النزل بوصفه إضافة إلى الجزء الأمامي من المنزل. نمنحك أنت وصديقتك غرفة ابننا لكي تستخدماها في أثناء مكوثكما هنا. آمل ألا تمانعا في اشتراككما بها. بمناسبة هذا الكلام، لا أظنّ أنّكما توأمان، أليس كذلك؟».

تحول تعبير وجه آوي إلى الدهشة: «أتظنين أنّنا متشابهتان؟» لم تدر لماذا، ولكنها فرحت بالإيحاء.

«لا أعلم. أعتقد أنّ البنات في مثل سنّكما متشابهات بالنسبة إليّ».

«أنا آوي ناراهاشي وهي ناناكو نوغوتشي. ونودُّ منك أن تعلمي أنّنا شاكرتان جداً لهذه الفرصة، وقد عزمنا على ألا نخذلك».

انحنت آوي انحناءة عميقة، ولاتزال تحمل شيئاً من سلّة الغسيل بيدها. وسط ارتباكها، أدركت أنّه بنطلون قصير رجالي فأسرعت في تعليقه.

«وأنا شاكرة لقدومكما. ستقابلان بقية أفراد عائلتي على العشاء. لا نتناول الطعام إلا بعد انتهاء الضيوف من تناوله، لذا سيقدَّم العشاء نحو الساعة الثامنة والنصف أو التاسعة، فقط من باب العلم بالشيء. حسن إذن، تعالي وقابليني بعد انتهائك من الغسيل. سأحتاج إليك في الحمامات بعد ذلك».

رمت سيجارتها على الأرض وهي تنهض لتقف على قدميها وتختفي داخل المنزل، وتضرب برفق قبضتيها على أسفل ظهرها.

لم تكد آوي تصدِّق المهام التي تعيَّن عليها وعلى ناناكو أن تنجزاها قبل الحصول على عشائهما، وعندما أصبح في إمكانهما أخيراً أن تجلسا مع عائلة مانو بعيد الساعة التاسعة، كانت مرهقة جداً حتى أنّها لم تكن موقنة من أنّ لديها من القوّة ما يعينها على تناول الطعام.

كان منزل آل مانو متّصلاً بخلفيّة النزل عبر المطبخ. ومقارنة بالمظهر الجديد لبناء النزل نفسه، برز عتق مسكن العائلة في الخلف، وكانت الفوضى تعمُّ المكان

كلّه. وفي غرفة الطعام كانت علب الكرتون، وسيارات الدمى، والحيوانات المحنّطة، وأكوام الصحف القديمة، وبرطمانات نبيذ الخوخ، وصناديق البيرة، وأشياء أخرى متفرقة مدسوسة في كلّ ركن وشق.

جلست آوي قبالة ناناكو إلى المائدة، إلى جانب ريوكو، وابنها البالغ خمس سنوات، شينوسوكه، وزوجها فوتوشي، ذي الجثّة الضخمة الشبيه بالمصارع المحترف، وأمه ميسا وهم ينهالون بضجيج على التهام طعامهم. وبعد أن تمّ التعريف بالجميع، حاول فوتوشي أن يفتح حديثاً مع آوي وناناكو، ولكنّهما في كلّ مرة كانتا تحاولان أن تجيبا عن أسئلته، كان شينوسوكه يقاطعهما بتعليق صاخب. وسرعان ما نهضت ريوكو واقفة لتأمره بأن يكون مهذّباً. وبعد لحظة، غرفت ميسا المزيد من حساء ميسو في طبقيّ الفتاتين من دون أن تنتظر منهما أن يطلبا المزيد. وعندما ضجر من حديث البالغين أخذ شينوسوكه يعبث بجهاز التحكّم بقنوات التلفاز قليلاً، ثم نهض واقفاً على كرسيه وأخذ يرقص، وبعد قليل عاد فوتوشي إلى صحيفته، وهو يرشف البيرة ويتناول لقماً صغيرة من وجبته في أثناء القراءة، في حين بدأت ميسا وريوكو تتجادلان حول الأصناف المختلفة من الأرز.

لم تعرف آوي وناناكو بالضبط ما تتوقعانه بعد ذلك، فانشغلتا بتناول سمك الإسقمري وسلطة البطاطا، وتبادل النظرات بين حين وآخر وسط ما يجري. تعوّدت آوي تناول الوجبات التي يخيّم عليها الهدوء وتتناولها فقط مع أمّها، ولم تتمكّن من تذكُّر أنّها جلست إلى المائدة وسط مثل هذه الفوضى كلّها. وتصوّرت أنّ الأمر هو نفسه بالنسبة إلى ناناكو.

بعد العشاء غسلتا أطباق الضيوف، ثم أطباق العائلة، وألقيتا نظرة سريعة على غرفة طعام الضيوف، وبعد انتهاء الضيوف من استعمال الحمامات مسحتا غرف تغيير الملابس ومناطق الاغتسال. وعندما جاء دورهما بالاستحمام

كانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة والنصف ولجأتا إلى غرفة شينوسوكه لقضاء الليلة.

وجدتا أرضية التاتامي لغرفة الصبي مغطاة بالدمى وبالكتب المصوَّرة ومكعَّبات الألعاب المركَّبة والملابس المنبوذة. أزالتا تلك الأغراض كلها من الطريق، ومدَّتا الفرشتين جنباً إلى جنب في وسط الغرفة، وتمددتا تحت ملاءات من قماش ذي وبر، وأطفأتا الأنوار. ظهر فوق رأسيهما نموذج لنجوم تتوهج في الظلام، ملصقاً على السقف. استلقت الفتاتان تحدِّقان بنظرة جوفاء إلى النجوم بعض الوقت مرهقتين حتى أنّهما لم تستطيعا الكلام. وأخيراً كسرت آوي الصمت.

تساءلت برفق: «أتعتقدين أنَّ السيد مانو هو الذي وضعها في الأعلى؟».

«أعتقد أنّه من النوع الذي يفرط في تدليل الأبناء».

«لا شكَّ في أنَّ السيدة مانو قاسية، لكنَّها تبدو لطيفة».

«لم أعمل في حياتي كلِّها بمثل هذا الكد».

«ولا أنا. قد أموت غداً».

«ولكننا تسلَّينا، أيضاً، ألا تعتقدين؟».

نعم كان شيئاً مسلياً، وافقتها آوي، ولكن لم يبق لديها من القوَّة ما يعينها على فتح فمها وقولها. *إنَّ النوم في منزل غريب أمر غريب، أليس كذلك؟ أتعلمين، يا ناناكو، ربما سيكون علينا غداً أن نعمل بجدٍّ من جديد، ولكن مادمت معك لا يهمني. دعينا نري السيدة مانو ماذا في وسعنا أن نفعل حقاً. دعينا نثير إعجابها حقاً.*

انسدل جفنا آوي قبل أن تتمكَّن الكلمات التي أرادت أن تقول من مغادرة شفتيها. غاصت على الفور تقريباً في نوم عميق، حتى من دون أن تتاح لها الفرصة للشعور بالانجراف.

مرت حوالي خمسة أيام قبل أن تتمكَّن الفتاتان من التعوُّد على إيقاع النزل.

تستيقظان عند الساعة السابعة، وتعدان المطبخ لتحضير الإفطار، وتنظّفان غرفة الطعام والبهو، وتكنّسان الرواق الأمامي، ثم تتناولان إفطارهما بعيداً عن الأعين قبل أن يبدأ الضيوف بالظهور في غرفة الطعام نحو الساعة الثامنة. في أثناء خدمة الضيوف، تساعدان في إعداد إفطار عائلة مانو وإزالته. وبعد أن يتناول الضيوف الطعام، نحو الساعة العاشرة عادة، تنظّفان غرف الضيوف مع السيدة مانو وحماتها. بعد ذلك يأتي دور المناطق العامة، بما فيها الحمّامات، والمراحيض، والأروقة، وغرفة الطعام. وقبل أن تتوقّفا لتناول وجبة الغداء، تشغّلان الغسّالتين لتنظيف الأغطية القذرة والمناشف من غرف الضيوف بالإضافة إلى أيّ غرض للعائلة أو لهما شخصياً يحتاج إلى غسيل. وتتناولان وجبة الغداء التي تعدُّها السيدة مانو وتساعدان في التنظيف بعد ذلك، ثمّ تنشران الغسيل في الخارج ليجف. وبعد إنجاز هذا، بحلول الساعة الثانية في المعتاد، يمكنهما الاستراحة حتى الساعة الرابعة؛ فإذا انتهتا في وقت مبكّر، فهذا يعني أنَّ استراحة بعد الظهيرة قصيرة جداً. عند الساعة الرابعة هناك كيُّ الملابس وترتيب الأسرّة، وبعد ذلك، الاستعدادات لتحضير وجبة العشاء. إذا احتاج الأمر إلى القيام بتسوُّق عاجل، يقوم به أيُّ شخص يتصادف أن يكون حرا في تلك اللحظة. ينتهي الضيوف من تناول طعام العشاء نحو الساعة الثامنة والنصف، وعندئذ تتناول الفتاتان والعائلة العشاء. وينتهي اليوم بتنظيف المطبخ وغرفتيّ الطعام. في الأيام القصيرة تنتهيان في الساعة التاسعة والنصف، لكنَّ القاعدة عادة هي الانتهاء في العاشرة.

كلما أسرعتا في إنهاء أداء مهامهما كلها، حظيتا بوقت أطول لنفسيهما، لذا كانت ناناكو وآوي تعملان بمثابرة، تتجنبان الثرثرة الفارغة وارتكاب الحماقات. وعندما تصبحان حرّتين، تعودان إلى غرفتهما لكي تجربا مساحيق التجميل وتسرّح كل منهما شعر الأخرى، أو تدرسان معاً على طاولة طعام

العائلة. وليلاً تذهبان إلى الشاطئ لتتمشيا على حافة المياه أو تشاهدان ضيوف النزل يطلقون الألعاب النارية.

كانت الشوارع ممتلئة بالشبان والشابات من المدينة جاؤوا لقضاء العطلة على شاطئ البحر. كان جو العطلة البهيج يهيمن في كل مكان. وكانت مقاهي البارات التي لا تفتح أبوابها إلا في الموسم تتنافس بصخب مع بعضها في كلّ ليلة. وعندما ذهبت آوي وناناكو للسباحة في فترة استراحة بعد الظهيرة، كان الشبان الذين لفحتهم سمرة الشمس يغازلونهما على الشاطئ. في البلدة، كانت رائحة عطرة تملأ أنفيهما أينما ذهبتا – حتى في أثناء مرورهما بالمحال التي تبيع السمك الجاف أو المخلل. كانتا تشاهدان شباناً وشابات لا يزيدون عنهما كثيراً في العمر يتعانقون ويمرحون على الشاطئ، يبرزون من نوافذ السيارات ويصخبون في أثناء مرورهم في الشارع الرئيس، أو يتسوّقون في السوبر ماركت ومياه البحر تقطر من ملابس السباحة. ولكن بالنسبة إلى آوي، أولئك الناس كلُّهم بدوا كأنّهم ينتمون إلى عالم آخر. عندما تجثم على أرضية الحمّام الآجر وتزيل بالماء الرمال التي غسلها أولئك الناس عن أجسادهم كان ينتابها إحساس أكبر بالواقع. كانت تستمتع بالعمل. أبقاء ذراعيها وساقيها في حالة حركة مستمرة منحها إحساساً رائعاً بالحرية.

قالت ناناكو ذات ليلة من دون مقدمات، وهما جالستان إلى مائدة الطعام وكتابا اللغة الإنجليزية مفتوحان أمامهما، «أتعلمين يا أوكينز، لطالما تمنَّيت لو أنّني ولدت في مكان كهذا». بدا الضوء الأبيض الباهر المنبعث من المصباح الفلوري المثبّت فوق رأسيهما وكأنّه يزيل اللون عن كل شيء في الغرفة. في الرواق سمعتا أصوات دراما الساموراي التي كانت السيدة مانو تشاهدها في التلفاز.

قالت آوي مبتسمة ابتسامة لطيفة: «كنت أفكّر في الشيء نفسه»، ورشفت

رشفة من الشاي المثلج الفاتر.

«أحقاً؟ أنت أيضاً؟ شيء لطيف أن نكون قريبتين من البحر، أليس كذلك؟».

«أهاه. تشعرين بالاسترخاء، وبأنَّك تستطيعين أن تفعلي كلَّ ما ترغبين فيه».

قالت ناناكو: «بالضبط. كأنَّني أشعر بالسبب الذي يدفع كثيراً من الناس إلى المجيء إلى هنا في فصل الصيف. الأمر لا يتعلَّق فقط بالسباحة. بل هناك أكثر من ذلك».

سكتت، ومالت على ظهرها ورفعت بصرها إلى الضوء المسلَّط على السقف. كانت هناك حشرات صغيرة تدور.

قالت آوي: «عندما أفكِّر في الأمر، أرى أنَّني لم أضطر أبداً إلى التعامل مع أيِّ شيء بهذه القسوة في حياتي. في الواقع، ربما قمت بمقارنته جيداً بما يقوم به معظم الناس. ربما لهذا أنا عاطفية. ولكنَّني أحياناً أضجر من كل شيء، وأرغب فقط في وضع اللوم كلِّه على شخص آخر وأكيل بالسباب على العالم برمَّته وأهرب إلى مكان ما، ولكن منذ أن أتيت إلى هنا وأنا أفكِّر، إذا عشت في مكان كهذا وحدث ذلك، يبدو لي أنَّ في استطاعتي ببساطة أن أذهب إلى الشاطئ وأنظر إلى المحيط، كما تعلمين، وهكذا تزول تلك المشاعر المختلطة كلُّها، وإلى جانب ذلك، أعتقد أنَّ انهماكي التام في العمل في مكان كهذا سوف يمنحني إحساساً عظيماً لا أضع معه اللوم حتى على أيِّ شخص من أجل أيِّ شيء أصلاً».

لم تكن آوي واثقة تماماً مما كانت تحاول أن تقول، ولكن عندما سمعت كلماتها تخرج من فمها، شعر جزء منها وكأنَّ هذا شيء أرادت أن تقوله لناناكو منذ وقت بعيد.

هدر صوت ريوكو برصانة وهي تدخل غرفة الطعام: «ما قصّتكما هذه الليلة، يا بنات؟ أتتحدَّثان عن الشبان؟ تتبادلان الاعترافات بعلاقات حب صيفيَّة؟».

قالت ناناكو: «لا، أبداً. في الواقع، كنا نقول معاً إنّنا نتمنى لو نتمكّن من المكوث والعمل هنا إلى الأبد».

جلجلت ريوكو بالضحك: «أأنتما جادتان؟ أراه شيئاً جيداً من ناحيتي. على الرغم من أنّكما تدركان أنَّ هيئة الموظفين الدائمين تعمل باجتهاد مضاعف».

قالت آوي: «صدقاً، سيدة مانو، أحبُّ أن أعيش وأعمل في مكان كهذا».

«لا تكوني ساذجة، إنَّ السبب الوحيد الذي يدفعك إلى قول هذا هو معرفتك أنّك ستغادرين قريباً. إذا قمت بزيارة بلدتكما، فقد أصبح حالمة وأقول أريد أن أمكث هناك إلى الأبد، أيضاً».

صبَّت ريوكو كأسين أخريين من الشاي المثلَّج من البرّاد ووضعتهما أمام الفتاتين. أما لها فأخرجت عبوة طويلة من البيرة وازدردت بصوت عال جرعات عدة وهي واقفة مكانها أمام البرّاد.

«إذا كنت حقاً تصدقين هذا، أقترح أن تجرّبي وتأتي في وقت ما. ستسأمين المكان في غضون يوم واحد، هذا أمر مضمون. أليس كذلك؟».

«من دون أدنى شك. إنَّ كلَّ ما لدينا هو نهر، وحفنة من المدارس. بل الكثير من المدارس. لكنّها جميعاً مخصصة للطلاب الأذكياء، لذا فإنَّ الجميع يشمخون برؤوسهم ويسخرون منا. هذا بالإضافة إلى أنّه لا يوجد هناك شبان ظرفاء».

جثمت ريوكو أمام صندوق من الكرتون وفتحته وأخرجت كيساً مجعَّداً

من بسكويت الأرز، ثم هبطت وجلست إلى جواره. أقحمت يدها داخل الكيس وبدأت تطحن وتمضغ قطعة من البسكويت.

«نعم، نعم، وكلُّ ما لدينا هنا هو المحيط. يبدو الأمر غريباً الآن، ولكن عندما كنت في مثل سنِّك، كرهت هذا المكان ولم أطق صبراً حتى مغادرته. فحصلت على عمل صيفيّ في أول فرصة سنحت لي. في نزل كبير ورائع، أفضل من هنا بكثير».

سألت ناناكو، وهي تميل نحو الأمام على كرسيها: «أأنت جادة؟ أين؟ في مكان آخر من إيزو؟».

«أتمزحين؟ إنَّ آخر مكان أردت أن أذهب إليه هو أيُّ مكان قريب من هنا. لقد شددت رحالي إلى الجبال. إلى جبال ناغانو. هل سمعت عن توغاكوشي؟ المرة الأولى كانت في عطلة صيف الصف العاشر، وقد عاملني الناس هناك معاملة لطيفة جداً، وفي العام نفسه عدت في عطلة الشتاء، ومن جديد في فصل الصيف التالي، وهكذا. عملت هناك في الجبال حتى وصلت المرحلة الثانوية».

ران الصمت على ريوكو وجلست تتأمّل عبوة البيرة التي في يدها.

كان الباب الزجاجي المواجه للشرفة والفناء مفتوحاً، وثمة حشرات تتشبث بالجانب الآخر من الستائر. انتشر الضوء المسلّط من فوق الرؤوس مخترقاً الظلام، يضيء بإعتام حواف الملابس وعربات الدمية المنبوذة. تشيررر تشيررر تشيررر. ثمة حشرة تغني أغنية لم تسمع آوي مثلها قط برتابة لا تنتهي.

قالت ريوكو وهي ترفع عينيها وتنقّل بصرها بين الفتاتين، وأصبح تعبير وجهها جاداً جداً: «أتعلمان، لقد خطر على بالي خاطر. لا أظنُّكما أنكما هاربتان، أليس كذلك؟».

«مستحيل».

«أبدا».

أجابتا معاً في وقت واحد.

قالت، وهي تقوّس ظهرها وتضحك: «حسن. لم يخطر هذا في بالي. الأولاد في هذه الأيام ليسوا حمقى. في صيف عام التخرُّج، ذهبت لأعمل في المكان نفسه الذي عملت فيه من قبل، ولكن فجأة لم أعد أحتمل فكرة العودة إلى البيت. أعني، إذا عدت إلى المنزل، فإنَّني سأواجه فكرة الجامعة مباشرة، كما تعلمان. في مثل ذلك اليوم تصبح للمدرسة التي درستما فيها فجأة الأهمية كلُّها، وتكتسب امتحانات القبول سمة تنافسية أكثر بكثير بين ليلة وضحاها بالمعنى الحرفي، ولكن في الوقت نفسه يبقى الخيار المهني الأول بالنسبة إلى الفتيات في مثل سنِّنا هو أن نكون ربات بيوت - بعبارة أخرى، في الأساس، لم تعد الأمور بسيطة. وبالمناسبة، إنَّ ما أتحدث عنه لم يحدث منذ زمن بعيد. لقد وقع بالأمس القريب حرفياً، في الواقع، فقط بالأمس القريب».

قالت ناناكو مازحة مطلقة ضحكة صغيرة: «إذن هل هربت أو ما شابه؟».

أجابت من دون أن تبتسم: «لقد حزرت. نعم هربت. ذهبت إلى طوكيو مع شاب كان يعمل في النزل نفسه. كان طالباً جامعياً. لم أكن على علاقة حب معه أو ما شابه، كل ما في الأمر أنَّني لم أحتمل فكرة العودة إلى المنزل».

دقَّقت آوي النظر في المرأة الجالسة على الأرض حاملة عبوة من البيرة في يدها، تنقَّل بصرها من شعرها الجاف والبني إلى وجهها الخالي من مساحيق التجميل، إلى قميصها الرياضي ذي العنق الممتد، وحاولت أن تتخيَّل هذه المرأة مراهقة في المرحلة الثانوية. تشكَّلت في ذهنها صورة غامضة عن تلميذة قصيرة ومكتنزة بزيِّ البحرية:

«ذهبت معه معتقدة أنَّنا متوجِّهان إلى طوكيو، ولكن اتَّضح أنَّه يعيش في

مكان بعيد، بعيد جداً من الضواحي. وهناك كانت جامعته أيضاً. وشقّته كانت ذلك المكان القذر الذي تحيط به حقول الأرز من جهاته كلّها. نعم، نعم، أعلم بالضبط بما تفكّران فيه. لقد ضاجعته. كانت المرة الأولى. أعني، ماذا كان في وسعي أن أفعل؟».

قالت ناناكو فجأة: «لا يمكن أن يكون ذاك هو السيد مانو؟».

تضاعف اتساع عينيّ ريوكو وهي تحدّق إلى ناناكو برهة، ثم مالت نحو الخلف وهي تضحك:

«على رسلك! لم أكن ساذجة تماماً». واستلقت هناك تضحك وتنظر إلى السقف بعض الوقت ثم اعتدلت من جديد في جلستها: «وأخيراً اشتكى صاحب ذلك المنزل القذر منه بسبب وجود فتاة معه طوال الوقت، فقرّرت أن أعود إلى المنزل – خصوصاً وأنّني كنت خالية الوفاض من النقود على أيّة حال».

«وماذا حدث للفتى؟».

«تبادلنا الرسائل بضع مرات، ولكن في الأساس كانت العلاقة قد انتهت. وفي العام التالي لم يأت إلى توغاكوشي. على أيّة حال، لهذا خطر لي قبل لحظة أنّكما يمكن أن تكونا قد هربتما من المنزل أيضاً. لكنّني أعتقد أنّ الأولاد هذه الأيام أذكى من أن يفعلوا ذلك».

نهضت واقفة على قدميها وسحقت عبوة البيرة الفارغة بيديها ووضعتها في كيس بسكويت الأرز على الطاولة بين الفتاتين.

قالت، مغيّرة الموضوع: «كنت أنوي أن أقول إنّ لديّ علبة كاملة مملوءة بمساحيق التجميل لم أعد أستعملها. أتودان الحصول عليها؟ لقد لاحظت أنّكما تجربان أشياء كل منكما على الأخرى».

أبدت الفتاتان معاً تعبير عدم التصديق: «مستحيل! أنت لديك

مساحيق تجميل؟»

أشرقت ريوكو في وجههما بابتسامة: «سأذهب لأحضر ما لديَّ ويمكنكما أن تأخذا ما تشاءان. أوه، لقد حان وقت ذلك البرنامج الذي تحبّان عن أولئك المراهقات المتمردات. لم لا تشغلان الجهاز ريثما أحضر الغرض؟ سأحضر كلَّ شيء إلى غرفة الجلوس».

كان صوت وقع قدميها مكتوماً على طول الرواق. تبادلت آوي وناناكو النظرات وضحكتا. خارج الظلمة في الفناء تناهت إليهما جوقة حشرات الصيف المتواصلة، تشيررر تشيررر تشيررر.

نوعية التحرُّش الشخصي الذي كان يجري في العام الأول من المرحلة الثانوية كانت قد توقَّفت في ذلك العام، لكنَّ نوعاً جديداً، ذا فعالية أكثر إزعاجاً، حلَّ محلَّها، منتشراً إلى خارج غرفة الدرس الواحدة ليشمل المرحلة كاملة.

«ربما هذا ما يبدو عليه نظام المجموعات». كانت آوي قد سخرت من ناناكو عندما لاحظت للوهلة الأولى التغيُّر، من دون أن تتناول الأمر بجديَّة شديدة.

كانت الغرف التي تجتمع فيها الطالبات جميعهن قد أعيد توزيعها مع بداية العام الدراسي، مما يعني طبعاً أنَّ التكتلات الاجتماعية كلَّها قد تغيَّرت أيضاً. وأضحت الصديقتان الآن في غرفتي درس مختلفتين. بينما وقع نصيب آوي من جديد مع مجموعة من الفتيات المتحفِّظات اللواتي لم يكن لهن موقع في أي جماعة أخرى، استمرت ناناكو في التنقُّل من دون أن تلتزم بأيٍّ من المجموعات المختلفة.

في ظلِّ النظام الجديد للأشياء، شكَّلت الفتيات من المجموعات الأكثر شعبية والأكثر جذباً للانتباه، بمعنى أولائي اللواتي كنَّ قدن حركة التحرُّش في العام

السابق، شكّلن في الواقع الفئة الأبرز، واعتبرن أنَّ مكانهن الذي يستحققن في الحياة هي أن يصدرن الأوامر إلى الفئة الأدنى لكي تنفّذ أوامرهن، أو لإزعاجها أو تجاهلها عندما يشأن - لكنّهن لم يعدن يفرطن في إزعاج الأخريات كما فعلن في العام السابق. فحالما تعيَّن إحداهن في الفئة الأدنى، يصبح من المستحيل تقريباً عليها أن ترتفع إلى ما فوق ذلك المركز. ولحسن الحظ، لم تكن المجموعة التي انتسبت إليها آوي تجذب قدراً كافياً من الانتباه إليها حتى تتلقّى معاملة الفئة الأدنى، وتجنَّب ناناكو لأيّة محاولة للانتساب إلى جهة معيّنة تركها في الأساس خارج نظام الفئة حتى تفعل ما تشاء.

وكما في السابق، بقيت آوي وناناكو معاً بعد الدوام المدرسي، تتقابلان لكي تذهبا إلى النهر، تشتريان شيئاً لتأكلاه على الطريق، وتتحدّثان وتضحكان بلا توقف حول نظام الفئات الجديد. وأكّدت ناناكو أنَّ السبب هو أنَّ كلَّ شيء ممل طوال الوقت. مضجر إلى أقصى حد. يوماً بعد يوم، وعالمهن، وحياتهن، ودرجاتهن هي نفسها دائماً. ولهذا السبب، يصبح الناس متململين ويفتشون عن سبل لتحريك الأمور. وتصنيف كل فتاة ضمن نظام فئوي عشوائي يجعلهن يشعرن بأنّهن ذات أهمية. بهذه الطريقة كنَّ يتجنبن الجنون.

ولاحظت آوي شيئاً آخر أيضاً، وهو أنَّ الطالبات في هذه المدرسة ليس أمامهنَّ خيارات حقيقية، وكل ما في استطاعتهن فعله هو المراوحة مكانهن. فأولاً ليست تلك مؤسسة تعدُّ لمرحلة الجامعة، بل استمرار لتعزيز مهمتها الأساسية في تخريج زوجات مطيعات وأمهات صالحات - حتى في هذه الأيام عندما لم تعد تلميذاتها يحلمن بالزواج بوصفه غاية السعادة الأنثوية ومنتهاها. لكنَّ الطموحات العالية للتلميذات لم تؤد إلى تحسُّن مماثل في مكانة المدرسة الأكاديمية، وكان من المستبعد أن تتغيَّر هذه الحال مادام أنَّ منهاجها الدراسي لا يتطلَّب أي براعة مقارنة بأماكن أخرى. وآوي لم تتجاوز المرحلة المتوسطة

إلا بشق النفس وكانت في أسفل ترتيب صفّها، ولكن هنا علامات اختباراتها دائماً فوق المتوسط بكثير. وحتى لو أنّها ترتفع إلى ذروة صفّها، تعلم أنّها ستمر بوقتٍ عصيب لبلوغ أيّ جامعة ذات نظام أربع سنوات.

تتخرَّج معظم الطالبات هنا من دون أن يعلمن ماذا يردن أن يفعلن، ما عدا أنهنّ لا يرغبن في العمل، لذلك يسجلن في مدارس مهنية أو في كلية محلية، حيث يرافقن صديقاتهن نفسهن، ويطورن مهاراتهن العالية في الشكوى ولكن فيما عدا ذلك لا يكتسبن أيَّ معرفة مفيدة قبل التخرُّج في تلك المدارس أيضاً والزواج من شبان محليين قابلنهم في حفلات الجامعة المختلطة أو في البلدة. وبعد العيش هنا أكثر من عام بقليل، أصبح في استطاعة آوي أن تتخيَّل سلفاً النمط السائد بكل وضوح. تعلم رفيقاتها في الصف كلُّهن أنّهن سرعان ما سيمشين الدرب المتوقعة نفسها التي سارت عليها الغالبية العظمى من الخريجات السابقات. وبوجود هذا الأمر الواقع المحدِّق في وجوههن، جثم جو من الاستقالة ثقيلاً على بنات الصف في أوائل العام. لقد كبرن على أسلوب التنمُّر الصبياني الذي كنَّ يمارسنه في العام السابق، ولكن كان هناك ما يشبه الغضب الفاسد داخلهن جعلهن يرغبن في الوقوف على ذروة هضبة وصبِّه على شخص ما. كان في استطاعة آوي أن تشعر بانفعالات الإحباط المكظومة تتنامى من حولها.

جلست آوي وناناكو على ضفة النهر ترميان الحجارة إلى المياه المتدفقة، وتتحدَّثان بلا توقُّف عن الجو المزعج الذي جثم على رفاقهن في الصف وكأنَّ مشاعر الإحباط ونظام التسلسل الهرمي والمضايقة والآفاق الضيِّقة التي واجهنها لا صلة لها بهما.

ثم مع انتهاء الفصل الدراسي النصفي، تحقَّقت أسوأ مخاوف آوي من العام السابق. إذ فجأة، ومن دون سبب ظاهر، بدأت تلميذات فصل ما قبل السنة

الأخيرة من المرحلة الثانوية كلُّهن يعاملن ناناكو ببرود، ويسخرن منها ويهزأن بها من خلف ظهرها. ولم يسع آوي إلا أن تصل إلى أذنيها تلك الشتائم أيضاً: إنّها مرائية ودجالة. والدها سكير ويتلقى العلاج، وأمُّها صاحبة بار وتمارس الدعارة سراً، وأختها الصغيرة جانحة يقبض عليها باستمرار بتهمة سرقة المتاجر. والعائلة المؤلَّفة من أربعة أشخاص تقطن في شقَّة من غرفتين في مجمَّع سكني بناه حاكم المقاطعة، ولا يتناولون على العشاء إلا أعشاباً برية تجمعها ناناكو من على حافة الطريق وهي في طريقها إلى البيت. وأشياء كهذه. وقد أذهل آوي السمة الصبيانية الصرف وفقر المخيّلة اللتان تتصف بهما تلك الحملات، لكنّها لم تنكر أنّها شعرت بموجة ارتياح لأنّها لم تكشف عن أنّها صديقة لناناكو في المدرسة. وعلى الرغم من أنّه سرعان ما تبع ذلك وخز الإحساس بالذنب، إلا أنّها خفَّفت من وطأة ذلك الوخز بتذكير نفسها بأنّها صدقاً لا تعلم شيئاً عن حياة ناناكو العائلية. واكتفت بالوقوف جانباً باعتداد وزميلاتها في الصف يكلن الإهانات لأعزِّ صديقاتها، ولكن ماذا في وسعها أن تفعل، حقاً، وهي خالية الوفاض من المعلومات التي تناقض بها ما يقلن؟ لم تكن لديها أدنى فكرة ما إذا كان لناناكو أخت، ولا تعلم شيئاً عمّا إذا كان والدها يعالج أو عن شكل شقَّتها، فكيف يتوقَّع منها أن تدافع عنها؟

وسرعان ما أخذ الناس يطلقون على ناناكو الـ م.ق، أو المسكينة القذرة، ولكن حسب علم آوي بقيت ناناكو متماسكة ولم تنزعج من هذا أو من أيٍّ من الإهانات التي صادفتها، وفي الأيام المشمسة على ضفة النهر وفي الأيام الممطرة تحت الجسر، وفي الأمسيات عبر شريط الهاتف المشدود ومن خلال الرسائل التي تبادلتاها سراً، لم تبد ناناكو إلا على عادتها خالية من الهم. وفي الحقيقة، كأنَّ كونها منبوذة من زميلاتها في الصف منحها حرية التنقُّل بين المجموعات أكثر من ذي قبل. في وقت الغداء، كانت تختفي في مكان ما

بعيداً عن الحرم، وفي خلال فترات الاستراحة الأخرى بين الحصص تنسلُّ إلى قاعة الفنون وحدها وتجلس لتحدِّق من النافذة وهي تضع سماعات المسجل على أذنيها.

عندما مرّت آوي وشاهدت ناناكو جالسة هكذا، تردّد صدى الكلمات التي كانت قد قالتها ذات يوم: «***لا شيء من هذا يخيفني. لا شيء من هذا له أي أهمية بالنسبة إليّ***». المظاهر كلُّها تقول إنَّها قصدت كل كلمة قالتها، مما أثار في آوي إعجاباً عميقاً بمدى تصالح ناناكو مع نفسها – مع أنَّها شعرت أيضاً بفورة من الانزعاج غير المفهوم أيضاً.

لعلَّ هذا الانزعاج هو الذي حثَّها على طلب بضعة أيام قبل حلول العطلة الصيفية. «متى ستدعينني إلى زيارة منزلكم؟».

أجابت ناناكو بصوت ينم عن غضب وسخط: «لا أظنُّك تريدين أن تأتي إلى بيتي. ليس هناك ما يستحق المشاهدة».

لكنَّ آوي أصرَّت: «لقد أتيت إلى بيتي مرات عدَّة. بل إنَّك في إحدى المرات تبعتني إلى بيتي. فلماذا لا أزور أنا أيضاً بيتكم؟» تلك كانت حجتها.

أخيراً لانت ناناكو، وهي ترميها بنظرة ضجرة، قالت: «حسن، لا بأس».

سواء من الارتباك أم من الخوف أم من الإذعان أم من الغضب، تلك كانت المرة الأولى التي تذكَّرت فيها آوي أنَّها رأت ظلاً يغشى ابتسامة صديقتها المعتادة.

تذكرت آوي أحداث شهر مضى وهي تسير جارَّة قدميها في الشارع على حافة الشاطئ وأكياس البقالة تتدلى من كلتا يديها. كانت الشمس قد غاصت حوالي ثلث المسافة خلف الجسر إلى يمينها، ولوَّنت كلَّ شيء بوهج برتقالي. كان صندل الشاطئ يصدر صوتاً مع ارتطامه بالرصيف وهي تسرع الخطى، وصراخ زيز الحصاد يتردَّد صداه في الجو ورائحة الشواء تهبُّ من جهة

الشاطئ. حدّقت عبر أمواج الشاطئ. كان وقت إغلاق السوق، لذلك لم يكن هناك من يسبح، لكنّها تمكّنت من رؤية أشرعة عدد من زوارق التزلّج الشراعية تقفز على المياه على البعد.

هتف لها شاب من الشاطئ: «هيه، يا حلوة، في أيّ نزل تعملين؟» ألقت آوي نظرة سريعة جهته لكنها حثّت خطاها من دون أن تجاوبه. ألحّ الصوت من خلفها «ألا تريدين أن تشاهدي الألعاب النارية هذه الليلة؟»، لكنّها تابعت طريقها.

في اليوم الذي قامت آوي بزيارة منزل ناناكو، رافضة أن تقبل أي عذر بالرفض، كانت قد اتّخذت قراراً. مهما قالت أمّها، حتى وإن اضطرت إلى دفع دينها بنفسها، ستذهب إلى الجامعة في طوكيو مع ناناكو، وستفعل أيّ شيء لتصل إلى هناك. ستدرسان كالمجانين استعداداً للامتحانات، وستباشران حالما تعودان من العطلة الصيفية. كانت علامات ناناكو متدنية حتى في مدرسة دون المستوى، لذا يتوجّب عليهما أن تعملا بجهد مضاعف أو بثلاثة أضعاف لكي تحظيا بأيّة فرصة لدخول الجامعة نفسها. ولكن إذا اضطرتا سوف تضعان مدخراتهما الصيفية كلّها من أجل تكاليف دورات الاستعداد للامتحان معاً. فإذا ساءت الأمور أكثر، فقد تلتحقان في جامعتين مختلفتين، ولكنّهما بطريقة أو بأخرى سوف تبتعدان عن المنزل وتستأجران شقّة معاً في طوكيو.

بينما هي تؤكّد لنفسها هذا العزم منذ بداية الصيف، تذكّرت قصة ريوكو التي حكتها لهما. لقد كانت ريوكو بالضبط في مثل عمرهما عندما اتّخذت قرارها بترك المنزل. لقد رحلت وحدها، لكن ستظل آوي وناناكو معاً. لن تضطرا إلى الاعتماد على رجل كما فعلت ريوكو. معاً تستطيعان أن تحققا المطلوب، فقط هما الاثنتان. كانت موقنة من ذلك. كان لديهما عام ونصف كاملين لتستعدا.

«أوكيينز!».

رفعت آوي نظرها. كانت ناناكو واقفة أمام النزل ممسكة بيد شينوسوكه وتلوّح بذراعها من فوق ذراعها. كان وجهاهما وأذرعهما وسيقانهما ذات اللون البرونزي بالإضافة إلى كل ما ترتديان يتوهج باللون البرتقالي بفعل الشمس الغاربة.

هتفت ناناكو، وهي تقفز باستمرار: «أهلاً بعودتك! يقول السيد مانو إنَّه سيأخذنا لتناول السوشي هذه الليلة!» وارتفعت حولهما أصوات جوقة من زير الحصاد.

نقلت ريوكو الفتاتين بالسيارة إلى محطة إيميهاما. أصبح شينوسوكه شديد الارتباط بالفتاتين في فصل الصيف وانفجر باكياً عندما خرجتا من السيارة. وتغرغرت عينا آوي بالدمع أيضاً.

قالت ريوكو: «آمل أن تعودا في العام المقبل»، ثمَّ رفعت زجاج نافذة سيارتها وانطلقت مبتعدة.

قالت آوي وهي تتابع السيارة بعينيها: «حدث الأمر بسرعة».

اشترتا عبوات من العصير من محطة كيوسك، وحصلتا على بطاقات السفر من الآلة، وعبرتا البوابة غير المحروسة إلى الرصيف. بيَّنت لائحة المواعيد أنَّ أمامهما عشرين دقيقة حتى موعد القطار التالي. عثرتا على مقعد وجلستا عليه بهدوء وهما ترشفان العصير في أثناء الانتظار. كان هناك سفح تل كثيف الأشجار ينهض خلف الرصيف المقابل، ومنه تصاعدت أصوات الزيز المتنافرة شاحنة الجو بالضجيج. كانت حشود الذين يقضون العطلة قد تضاءلت بشكل كبير بعد احتفال بون[1] في وسط شهر آب، وانخفض مستوى العمل في النزل

(1) احتفال بون: احتفال ياباني بوذي يقدَّم فيه واجب الاحترام للموتى. ويسمّى أيضاً احتفال الموتى، أو احتفال المصابيح. – المترجم

في خلال الأسبوع الأخير. أصبحت المحطة الآن مقفرة إلا منهما، وعندما التفتتا ناحية المحيط رأتا الشاطئ الذي كان قبل وقت قريب مزدحماً بالناس وقد أصبح هادئاً أيضاً. وأكواخ الشاطئ الموسمية التي تقدِّم الطعام وغرف تبديل الملابس قد فكَّت.

قالت آوي، وهي تمدُّ ساقيها اللتين اسمرَّتا بفعل أشعة الشمس أمامها: «في الأسبوع القادم ستكون المدرسة قد فتحت أبوابها من جديد».

رشفت ناناكو من عصيرها ولم تقل شيئاً.

نظرت إليها آوي: «ألا تعتقدين أنَّ علينا أن نعود في العام المقبل؟».

أجابت ناناكو بصوت رفيع، وهي تبتسم بوهن: «أهاه».

قالت آوي في نفسها: ***«واو، أعتقد أنَّ عواطفها تغلبها. لعلَّها تأذَّت من أسلوب السيدة مانو في الابتعاد بسرعة»***.

في محاولة لإبهاجها، دسَّت آوي يدها في حقيبتها النيلون لتخرج مغلَّف النقود الذي أعطتها إياه ريوكو.

قالت بشكل شيطاني: «أعتقد أنَّني سألقي نظرة خاطفة هنا». أخرجته وفتحته فوجدت ميكي ماوس ينظر إليها من زاوية صفحة مملوءة بالكتابة التي تبدو أشبه بجهد مرتبك بذله طفل. كانت من ريوكو.

«نعم، خطُّها مشوَّش تماماً! حسن، دعيني أرى ماذا يمكن أن أفهم منها. ***«عزيزتيّ آوي ناراهاشي وناناكو ناغوتشي»***. أعتقد أنَّها لم تتذكَّر أسلوب الكانجي الذي نكتب به – لقد كتبت اسمينا بوضوح. ***«لم تمر غير أسابيع قليلة، ولكن شكراً للمساعدة التي قدمتُماها كلَّها. لقد استمتعنا حقاً بوجودكما معنا في خلال هذا الصيف»***. هذا جميل. ***«كما تعلمان، لم تمر إلا سنتان على افتتاح النزل. ولكن ما لا تعلمانه هو أنَّ الأشخاص الذين استأجرنا في الصيف الفائت هربوا بالمال»***. مستحيل! أهي جادَّة؟ ***«لقد كنا سذَّجا في الأساس، وقمنا بأعمال حمقاء جداً. لقد كان عامنا***

الأول، ولم نعرف حقاً ماذا نفعل. على أيّة حال، لقد ساد هرج واسع، ثم استقامت الأمور في النهاية، لكنّها كانت تجربة مزعجة حقاً. فقدت الثقة في نفسي ولم أعرف إن كان في استطاعتي أن أستمر في مشروع النزل أو أن أضع ثقتي في الغرباء من جديد. وزوجي وأمّه لم يكونا متحمسين للفكرة منذ البداية، لذا فقدت الثقة في نفسي. ولهذا قرّرت هذا العام أن أتعامل مع بعض الفتيات القرويات البسيطات». ثم أضافت، «*آسفة!*» بين قوسين ومن ثمّ قالت: «*ومع ذلك، أخجل أن أقول إنّني لم أثق فيكما أنتما الاثنتان في أول الأمر*».

نظرت آوي إلى ناناكو من زاوية عينها. جلست ورأسها محني وبدا أنّها تصغي، لذا تابعت آوي القراءة:

«*لكنّني الآن شاكرة للعثور عليكما أيّتها الفتاتان. قمتما بعمل رائع وكنتما أفضل مئة مرة، بل ألف مرة مما يمكنكما أن تتخيلا. لا أستطيع أن أعبّر لكما كم كانت مساعدتكما عظيمة بالنسبة إليّ. لا أستطيع أن أخبركما كم ساعدتني على استعادة ثقتي في نفسي. إنّني أكتب هذه الرسالة لأنّني أردت أن تعلما هذا. شكراً جزيلاً لكما، شكراً. أرجوكما عودا في الصيف المقبل. أو حتى في هذا الشتاء. ولو فقط لكي تقوما بزيارة وليس للعمل. سوف نتطلّع جميعاً إلى رؤيتكما من جديد. ريوكو*».

تلك كانت الخاتمة، لكنّ آوي استمرت في التحديق في الصفحة المملوءة بالكتابة المشوشة والساذجة بضع لحظات أخرى. استعادت في ذهنها كيف قالت ريوكو: «*آمل أن تأتيا في العام القادم*». ثمّ شتّت انتباهها سريعاً، وحوّلت عينيها. وكان شينوسوكه يصرخ بكلّ قواه على المقعد المجاور لها.

وبحركة سريعة، أعادت رسالة ريوكو إلى المغلّف ثم وضعتها عميقاً داخل حقيبة النايلون. قالت، وهي تنهض واقفة: «سوف يصل القطار في أيّة لحظة». بقيت ناناكو جالسة منحنية الرأس: «ألم تنتهي من شرب عصيرك؟ سأرمي العبوات بعيداً».

داخل عمق ضجيج الحشرات ميَّزت آوي الصرير الصافي، الثاقب، للزيز الأخضر. كانت الأشجار على سفح التل ساكنة ولاتزال نضرة الخضرة كما كانت لدى وصولها هي وناناكو في بداية فصل الصيف، لكنَّ ذلك الضجيج بالذات بدا كأنَّه يعلن اقتراب فصل الخريف.

تناهت على البعد دمدمة واهية وأخذت تقترب تدريجياً. وسرعان ما ظهرت في الأفق سلسلة من عربات سكة الحديد البيضاء عند نهاية السكة التي تمتد من المحطة مباشرة. التفتت آوي، الواقفة على حافة الرصيف، إلى صديقتها التي كانت لاتزال جالسة على المقعد:

«هيا، ناناكو. لقد وصل القطار».

لم تحرِّك ناناكو ساكناً. صلصل القطار وهو يتوقَّف وفتحت أبوابه. خطت آوي إلى الداخل. كان جلياً أنَّ المسافرين المترجِّلين من السكان المحليين، وليسوا سياحاً. امرأة في منتصف العمر تحمل سلَّة تسوُّق. وتلميذ في المرحلة الابتدائيَّة تتدلَّى على صدره حقيبة أكاديمية صيفية. وأناس عاديون من مناطق مجاورة – كالذين شاهدتاهم على متن القطار عندما غادرتا المنزل في يوم سفرهما الأول.

«هيا، ناناكو! لن يأتي القطار التالي إلا بعد ساعة كاملة! أسرعي واركبي!»

مالت آوي من ممر الباب وهتفت، لكنَّ ناناكو بقيت كما هي، حتى أنَّها لم ترفع بصرها.

اخترق صفير المرشد الهواء، فأسرعت آوي بالقفز عائدة إلى الرصيف الضيِّق. انزلقت الأبواب وأغلقت وابتعد القطار ببطء، تاركا الاثنتين خلفه. والذين ترجَّلوا أسقطوا بطاقاتهم في صندوق عند البوابة وتفرَّقوا كل في اتِّجاه.

تقدّمت آوي نحو المقعد في حالة من الفزع المتصاعد جرّاء سلوك صديقتها الغريب: «أأنت مريضة؟ أنسيت شيئاً؟ أهناك ما أردت أن تخبري به للسيدة مانو؟».

جلست آوي القرفصاء أمامها كما تفعل أمٌّ أمام طفلها الصغير، وسألتها بأقصى ما استطاعت من رفق. اكتفت ناناكو بالتحديق إلى حجرها.

أخيراً قالت «أوكينز؟» و كأنّها استجمعت كل ذرة من إرادتها لتخرجها.

«نعم؟ ما الأمر؟»، ثمَّ استحثّتها، واضعة يديها على ركبتيّ ناناكو: «يمكنك أن تخبريني».

رفعت ناناكو رأسها وإذا بعينيها تغرورقان بالدموع. قالت: «لا أريد أن أعود إلى المنزل».

كرّرت آوي: «حسن، دااااه، أنا أيضاً لا أريد أن أعود إلى المنزل»، وبدأت تضحك، لكنّ ناناكو قاطعتها:

«كلا، لا أعني بهذه الطريقة. أنا حقاً لا أريد أن أعود إلى المنزل. لا أريد. لا أريد. لا أريد». انهمرت دمعتان كبيرتان من عينيها المستديرتين، الواسعتين. أمسكت بيديّ آوي وعصرتهما بقوة. كرّرت: «لا أريد أن أعود إلى المنزل. لا أريد. لا أريد. حقاً، حقاً لا أريد أن أعود إلى المنزل».

جلست آوي على وركيها وهي في حالة من الحيرة، ويداها في قبضة ناناكو. لم تعد تتعرّف إلى الفتاة الجالسة على المقعد أمامها. من هذه؟ لم أنا هنا؟ لماذا تتشبّث بيديَّ هكذا؟ وراحت الأسئلة المحيّرة تتلاحق في رأسها. لم يسعها إلا أن تعتقد أنّ ذاتها الحقيقية جالسة في حقيقة الأمر على متن القطار الآن مع ناناكو الحقيقية، تحصي الأوراق المالية التي في المغلّف.

تفيض الدموع من عيني ناناكو بسرعة الآن، مشكّلة بقعاً رطبة على بنطلونها القصير حتى الركبتين. راقبت آوي دوائر رطبة تظهر واحدة تلو الأخرى على

القماش ذي اللون البيج. أصبحت يداها شاحبتين تحت وطأة ضغط ناناكو القويّ. رفعت عينيها، ونظرت تحت رأس صديقتها المحنيّ. منح الظل الثقيل الذي ساد وجه ناناكو المبتلية آوي إحساساً بأنّها تنظر إلى فراغ عميق، مظلم. داخل فضاء مظلم لا يكشف عمّا يختبئ في أعماقه.

أدركت آوي، بما يشبه الصدمة، أنّها لا تعرف أقلّ شيء عن ناناكو. منذ أن زارت شقّتها في ذلك اليوم، رسخ في خلدها أنّها باتت تعرف صديقتها بصورة تامة. أو على الأقل كانت تقول لنفسها إنّ ناناكو التي تراها أمامها هي نفسها ناناكو الحقيقية.

دائماً مبتسمة. اجتماعية كامرأة في منتصف العمر. تشدّد على الإيجابيّة. تتحدّث عمّا تحب بدلاً من أن تتكلّم عمّا تكره. تدّعي أنّه لا يزعجها أن يزدريها الناس. وتسامح آوي لأنّها تتجنّبها في المدرسة. وتقترح عليها بحكمة أن تتقابلا بعد ثلاث محطات على الطريق. تتسكّع معها يوماً بعد يوم، وتتحدّث في كلّ موضوع تحت الشمس. هذه هي ناناكو التي عرفتها آوي. ولكن لعلّ لا شيء من هذا يمثّل ناناكو الحقيقية. لعلّ ناناكو الحقيقية كانت في مكان ما عميقاً داخل ذلك الفضاء الغامض الذي لمحته الآن.

بينما زعيق زيز الحصاد خفت برهة، داعبت نفحة من هواء مالح وجه آوي. خلف ناناكو، امتدّ البحر حتى الأفق، يتلألأ كصفحة من الزجاج تحت أشعة الشمس.

أغمضت آوي عينيها أمام بقع الدموع على بنطلون ناناكو القصير. قالت: «حسن، لن نذهب إلى المنزل».

سمعت في مكان ما على البعد زيز حصاد أخضر يضيف صياحه إلى الجوقة.

-7-

تشبّثت رقائق الكلس والعفن بعناد بمقعد مرحاض الحمّام البلاستيكي ورفضت أن تزول مهما بذلت سايوكو من جهد في كشطها. تمنّت لو كان في استطاعتها أن تجرّب منظّف العفن والفطريات الذي عثرت عليه تحت المغسلة، لكنّ استعماله كان محرّماً؛ تعيّن عليها أن تستعمل فقط المواد المدرجة في دلو المنظّفات الخاص بها.

لم يبد المطبخ أقلّ نظامة عندما ألقت عليه نظرة في وقت سابق. كانت الحافة العليا ذات الشحم القاسي سميكة بفعل الغبار والشعر. كانت معالجة الفوضى من اختصاص ميساو، وتتلقّى مساعدة من نوريكو.

قرّرت سايوكو أن تترك المقعد ووعاء الاغتسال البلاستيك المكافئ له منقوعين مدة أطول في الماء الحار في المغطس في أثناء تنظيفها مياه الصرف عن أرضية البقعة المرشوشة بالمياه. وبعد أن أزالت مياه الصرف وجدت أن الفتحة السفلية مسدودة تماماً تقريباً بكتلة من الشعر والقذارة. فانكبّت على كشط القذارة اللزجة بعيدان الأكل.

لم يبق على انتهاء فترة تدريب نوريكو لسايوكو وهيئة موظفي بلاتينوم بلانت إلا بضعة أيام. ومع بداية شهر آب، ارتقين من العمل الشقق الفارغة إلى الوحدات السكنية المأهولة. وحدّدت نوريكو مسبقاً عدد عاملات التنظيف اللازمات، وأحياناً كانت سايوكو تذهب وحدها، وفي أحيان أخرى كانت

ترافقها ميساو أو ماو أو كلتاهما. وكانت تقوم بالإشراف إما نوريكو نفسها أو امرأة أخرى من الشركة.

والزبونة الحالية ربة بيت عادية تعيش في ملكية مشتركة جديدة نسبياً. هي امرأة دمثة، عادية السلوك بدت في مثل سنّ سايوكو تقريباً، من النوع الذي يمكن لسايوكو أن يصادفه في بهو البناء الذي تقيم فيه. وطلبت منهما أن تنظّفا مطبخها وحمّامها.

عندما تبعتا نوريكو كالمعتاد إلى الشقة، ذهلت سايوكو وميساو من الفرق بين المظهر المثالي للمرأة نفسها والحال الرهيبة للغرف التي استأجرتهما لتنظيفها. كانت، بالبلوزة المنشّاة بشكل واضح التي ترتدي فوق التنورة التي على شكل زهرة، مثالاً للمرأة بأبهى حللها، لكنّ مطبخها كان جحيماً من القمامة، والشحم، وبقايا الطعام، ومنطقة الغسيل المجاورة لمغطس الاستحمام كان يجتاحها العفن والفطور، وكان كرسي المرحاض محاطاً بطبقات سميكة من الغبار على الأرضية وكان حقيقة أسود اللون من الداخل. ألقت سايوكو نظرة مختلسة إلى ميساو، التي قامت بشكل كاد لا يلاحظ برفع حاجبها في المقابل.

بعد أن راجعت نوريكو مع سايوكو ما يتوجّب عمله في غرفة الاستحمام، انتقلت لتنظّف المطبخ مع ميساو. وفي أثناء انهماكهما في العمل، شكرتهما الزبونة بحرارة لمجيئهم واستقرّت في غرفة الجلوس مع ابنتها الصغيرة لتشاهدا فيلم فيديو. لم يكن عمر الطفلة يتجاوز عمر أكاري. ومنذ تلك اللحظة مكثتا أمام جهاز التلفاز.

تساءلت سايوكو إن كانت المرأة تعرف القلق. من الواضح أنّها وابنتها تقضيان أوقاتهما داخل المنزل تشاهدان أفلام الفيديو، ولكن ألا ينتابها القلق حول الأثر الذي يتركه مثل هذا السلوك المتواصل في نمو ابنتها العاطفي؟

وكيف، بالضبط، تترك الأمور تصل إلى هذه الدرجة من السوء في المنزل من دون أن يزعجها ذلك؟ ألم تعلم أنَّ العفن يمكن أن يكون ساماً؟ ألم يخطر في بالها يوماً أنَّ ابنتها الصغيرة الغالية يمكن أن تلمس شيئاً ناله العفن في أثناء الاستحمام ومن ثمَّ تضع أصابعها على عجل في فمها؟

أخرجت سايوكو كتلة سميكة، ليفيّة من الشعر من عمق ماسورة الصرف. وأجفلت من رائحة القذارة وأسرعت بالتخلُّص من الكتلة برميها في سلة القمامة التي بحوزتها قبل أن ترشَّ منظِّفهم الخاص على الفتحة. وضعت الصابون على قطعة التنظيف، ثم ركعت على أربع وانهالت على العفن الوردي الذي نما على آجر الأرضية. تدحرجت حبَّة عرق من جبينها على صدغها ونزلت إلى طرف ذقنها، وهناك توقفت برهة أو اثنتين قبل أن تسقط إلى الأرض.

التفتت نوريكو لتحدِّق بصرامة إلى سايوكو حالما استقرَّت هي وميساو على المقعد الأخير من سيارة النقل. قالت: «والآن اسمعي يا سيدة تامورا، أنا أعلم أنَّك أنت أيضاً مدبرة منزل، وأفهم كم كنت مشمئزة مما رأيت اليوم. وقد تتساءلين لم لا تستطيع امرأة تقضي يومها كلُّه في المنزل من التقاط ممسحة بين حين وآخر. لكنَّك لا تدعين ذلك يظهر على وجهك. وثمَّة شيء آخر. موجَّه إليكما معاً. لا أريد أن أفاجئكما تتبادلان مثل تلك النظرات مرة أخرى. قد تعتقدان أنَّ لا أحد يمكن أن يلاحظ، لكنَّ الناس يمكن أن يشعروا بمثل ذلك النوع من الأشياء».

قبل قليل فقط كانت تستأذن زبونتها مع أكثر الابتسامات دفئاً، أما الآن فأصبح لسانها لاسعاً وغاضباً.

أدارت المحرِّك وانطلقت بسيارة النقل.

رمقت ميساو بطرف عينها سايوكو الجالسة إلى جوارها وهي مطرقة الرأس، ومدَّت لها طرف لسانها وكأنَّها تقول: «*لقد ضبطتنا*».

باشرت سايوكو بالإجابة. «ولكن أنا –»، لكنَّها قوطعت:

«ولا تحاولي أن تنكري. زبائننا حسّاسون حيال أمور كهذه – خصوصاً النساء منهم. يدعون الغرباء يدخلون منازلهم ليعالجوا أشياءهم الخاصة، وهو أمر لا يفعله المرء إلا إذا منحهم ثقته، ولكن مهما بذلتما من جهد لكسب تلك الثقة، يكفي أن تبديا موقفاً متهاونا مرة واحدة فقط وينتهي كلُّ شيء. نحن نقدم مساعدة مأجورة، إن كنتما لا تعلمان. ولسنا في موقع يؤهلنا لإصدار الأحكام على مستخدماتنا كربات بيوت أو نساء. أفهمتما هذا؟ ما رأيكما؟».

قالت سايوكو بتجهُّم، وصوتها يكاد لا يسمع: «حاضر سيدتي». وردَّدت ميساو ما قالت بنبرة رزينة.

شقَّت سيارة النقل طريقها خارج موقف السيارات تحت الأرض، دائرة بتسلُّق لولبي نحو مستوى الشارع. وسرعان ما ظهرت سماء بعد الظهيرة البرّاقة للعيان تدريجياً.

«ليست لدي أيُّ شكوى ضد عملك، يا سيدة تامورا. أنت تتعلَّمين بسرعة، وبضمير. يمكنني أن أطلب منك القيام بأيَّة مهمة وأعلم أنَّك ستقومين بعمل ممتاز. ولكن يجب أن تفهمي أنَّ هناك فرقاً شاسعاً بين منزل فارغ وآخر يشغله ساكنوه. كم مرة يجب أن أقول هذا قبل أن يفهم؟ ولو كنتما موجودتين هناك وحدكما اليوم، لفقدت شركتي زبونة إلى الأبد، لا شكَّ في ذلك. وربما ليس فقط زبونة واحدة فقط، في نهاية المطاف. ماذا يحصل في اعتقادكما إذا نقلت ما حدث لكلِّ من تعرف؟ إنَّ التزكية هي عماد عملنا. طلبتما خدمات إضافية، ولكن ما فائدة تقديم أعمال أخرى إذا كنتما لا تستطيعان حتى أن تقيما علاقات أساسية مع الزبونة كما ينبغي؟ هل تفهمان ما أقول؟».

أصغت سايوكو إلى هذه المحاضرة المطوَّلة من دون أن ترفع رأسها، محاولة

أن تزيل التجاعيد عن رؤوس أصابعها بتحريك يديها بعصبيَّة.

أنزلت نوريكو سايوكو وميساو عند أقرب محطة، واستقلَّتا القطار العائد إلى المكتب.

قالت ميساو: «هل تلك المرأة مجنونة أو ما شابه؟ أعني، بالكاد تبادلنا النظر. كيف أمكنها أن تشاهدنا؟ أنا أقول دعينا منها، يا رئيسة». واستناداً إلى نبرة صوتها المرحة، هذا بالضبط ما فعلت هي نفسها.

في الأسابيع الأخيرة، تعوَّدت زميلات سايوكو مخاطبتها بـ «رئيسة». من الواضح أنَّ آوي أخبرت الجميع أنَّ سايوكو مسؤولة عن مغامرة تدبير المنازل وأنَّه يتوقَّع منهنَّ أن ينفِّذن أوامرها.

سقطت أشعة الشمس قوية على بحر الأسقف الممتدة تحت القطار المرفوع. أطلقت سايوكو تنهيدة عميقة وهي تتكئ على الباب وتراقب المنازل تندفع مارة.

رفعت كل من ماو هيزيغاوا ويوكي ياماغوتشي نظرهما عن مائدة العشاء عندما دخلت سايوكو وميساو.

أعلنت ميساو بصوت عال: «يا إلهي، كم أنا مرهقة. اليوم يعتبر يوم الحلويات بامتياز. ذلك المطبخ – عليكما أن ترياه حتى تصدقا».

قالت ماو: «أهلاً بكما. إذا كان الأمر يتعلَّق بالحلويات، فإنَّ لدينا ما تحتاجان إليه بالضبط. السيد ساياما من شركة لكي برودكشن كان هنا قبل برهة قصيرة، وأحضر لنا علبة من الكعك. دعيني أصنع بعض الشاي بسرعة».

«كعك؟ أوه، هذا لذيذ! إنَّه بالضبط ما أحتاج إليه!».

«لن تصدِّقي، يا ميساو! إنَّه من محل أ تيه سوهيه! السيد ساياما ظريف جداً».

«كلا! أحقاً؟ كنت أرغب في تذوُّق كعكه منذ أن فتح أبوابه!».

احتلت ميساو أول كرسي فارغ وجدته على المائدة. جلست سايوكو على الكرسي المجاور وأخرجت على الفور دفترها:

«احتفظي بهذا لوقت لاحق، يا رئيسة. دعينا نريح عظامنا قليلاً أولاً. على الرغم من أنّني أعتقد أنَّ هذا اليوم بالنسبة إليك كان أقرب شبهاً بالتوابل الحارة أكثر منه بالحلويات». نظرت ميساو إلى الأخريات: «لقد كان مزاج السيدة ناكازاتو سيئاً حقاً اليوم. نسفت رأسها حرفياً». ثمَّ التفتت من جديد إلى سايوكو: «صحيح؟».

رسمت سايوكو ابتسامة غامضة. في الأسابيع القليلة الفائتة تعلَّمت أنَّ عبارتي «شيء حلو» و «شيء حار» هما شفرة خفيفة تصفان بها نوعية النهار الذي أمضياه. بدا أنَّ الفكرة الأساسية هي عندما يكون المرء مثقلاً بمطالب غير معقولة أو بشيء يثير الجنون، يرغب في إزالة المذاق المر بأكل شيء لذيذ ومتبَّل، في حين أنّه إذا كان مرهقاً جرّاء قضاء يوم مرهق جداً، لا يرغب إلا في أن ينهار ويلتهم شيئاً حلواً. والتدرُّج يتراوح بين واحد وخمسة في كل فئة.

وضعت سايوكو دفترها جانباً وتناولت قضمة من الكعكة التي وضعتها ماو أمامها. مالت ميساو نحو الأمام في كرسيها وبدأت تقدِّم لماو ويوكي لائحة غسل القذارة التي كافحت لتنفيذها في ذلك اليوم.

بعد دقيقة أو اثنتين، خرجت آوي من «مكتب الرئيسة» وجرّت كرسياً لكي تنضمَّ إلى المائدة.

«ما سبب هذا الاكتئاب، يا رئيسة؟» حتى آوي كانت قد تعوَّدت مخاطبة سايوكو بهذا اللقب.

قالت، وكتفاها متهدلين: «لقد تلقيت ما يشبه التقريع».

«تقريع؟ ما السبب؟».

«أعتقد أنّني مكشوفة».

قالت ميساو فجأة، وفمها محشو بالكعك: «في الواقع، أعتقد أن السيدة ناكازاتو كانت تمر بإحدى أمزجتها السيئة هذا اليوم. لقد أطلقت زوابعها على الرئيسة».

«لم أشعر بالاشمئزاز، كما قالت، بل بالذهول. أعني، أمامي امرأة في مثل سني مع طفلة يقترب عمرها من عمر ابنتي تعيشان في ملكية مشتركة تشبه بالضبط المكان الذي أعيش فيه، فلم يسعني إلا أن أتساءل عن السبب، عما فعلت حتى يصل كلُّ شيء إلى هذه الدرجة التي لا تصدَّق من السوء. بالإضافة إلى أنّني اعتقدت أنّنا مهما أحسناً في تنظيف المكان، فقد تعود الأمور إلى ما كانت عليه في غضون أيام».

قالت آوي: «ولكن عندما يصبح الأمر جدياً، ومن دون أناس كهؤلاء، لا يمكننا أن نستمر في عملنا. لا أعلم ماذا قالت نوريكو بالضبط، ولكن إذا أدليت، مثلاً، بجواب بارع حول مدى قذارة المكان حالما يغلق الباب من خلفك، سوف ينتابني القلق ومن أن يحدث هذا الأمر مع الزبون من جديد».

أصرّت ميساو: «لكنّها ستكون الحقيقة المطلقة».

أمالت آوي رأسها ونظرت بعيداً في الفضاء. قالت، بصوت أعمق لينقل التأثير: «هناك طريقة واحدة فقط لكسب حب جمهورك. واجههم دائماً بصدق وبتواضع».

انفجرت ماو بالضحك: «ما هذا بحق الله؟».

«ألم تسمعيه أبدا؟ إنّه مقطع من أغنية لفرانك سيناترا: «هناك طريقة واحدة لكسب قلوب جمهورك. واجههم دائماً بصدق وتواضع»، أو شيء شبيه بهذا، على أيّة حال».

«أعتقد أنَّ هذا سيحدث بصورة طبيعية بعد انتهاء فترة التدرُّب وعندما نقوم بأعمالنا وحدنا». ضحكت يوكي بخفَّة: «أعني، أساساً، هذا هو العمل

الذي نتلقّى نقوداً مقابل تنفيذه».

قالت ميساو: «قلقي أشدُّ حول ما إذا كان هناك من سيلجأ إلى خدماتنا أصلاً. أعني أنَّ فترة تدريبنا شارفت على الانتهاء، ولكن ليس في حوزتنا حتى سيارة، وقد نكون أيضاً مغمورات تماماً. ولو كان الأمر بيدي، لما استخدمتكن».

تجهَّمت آوي: «يبدو هذا الوضع صعباً قليلاً».

قالت ماو: «ما الداعي إلى القلق؟ كلُّ ما علينا أن نفعله هو أن نواظب على ما قمنا به دائماً وأن نتحلّى بالصبر، وفي نهاية المطاف -»

قاطعتها سايوكو، مندفعة نحو الأمام وهي على مقعدها: «في بنايتنا، غالباً ما كنا نوزع منشورات دعائية نطلب فيها خدماً وخادمات وما شابه، وهكذا طلبت من بعض الأمهات الأخريات في مدرسة ابنتي أن يحتفظن بالمنشورات التي بحوزتهن ويرسلنها إليَّ - لأرى ماذا يمكنني أن أجد. حسن، لقد ذكرت سيارة، ولكن في الواقع، اتَّضح أنَّ بعض الناس لا يريدون لجيرانهم أن يعلموا أنَّهم يستخدمون مدبرات منازل، لذا أفكر في أنَّنا يمكن أن نقدِّم خدماتنا بصورة جاذبة حتى لا نضطر إلى استخدام سيارة نقل نلصق شعارنا على جوانبها، وحتى يتيح لنا طاقمنا الصغير أن نتحرَّك بسريَّة. ونستطيع أيضاً أن نبيِّن كيف أنَّ الشخص نفسه سيكون مسؤولاً عن كلِّ شيء بدءاً من التخمين الأولي وحتّى إتمام العمل نفسه، ونضمن أنَّ كلَّ شيء سينفَّذ حسب رغباتهم».

تطلَّب الطلب من الأمهات اللائي قابلتهن في مدرسة أكاري أن يرسلن إليها المستخدمات لديهن لتدبير شؤون المنزل شجاعة، لكنَّ كثيراً من النسوة أبدين بسرعة اهتماماً وعدن بعد بضعة أيام بصفحات كثيرة من الأوراق. ووجدت أنَّ التمرين أفادها في إجراء أحاديث سلسة مع المزيد من النساء أكثر من ذي قبل.

قالت ميساو، وهي تحدِّق إليها بإعجاب: «يا سلام! لقد تعمَّقت كثيراً في

التفكير في الأمر».

أومأت آوي برأسها إيجاباً: «في هذا الاتّجاه. منذ فترة وأنا أقلّب التفكير في مسألة وضع إعلان على شبكة الإنترنت، والسؤال الذي لا يني يتردّد في ذهني هو بخصوص تميُّز المنتج - كيف نتميَّز عن أيِّ شخص آخر؟ كأن نقدِّم ربما في أوَّل الأمر عرضاً لفترة من الوقت بتنظيف مكيّفات الهواء أو ستائر النوافذ مجاناً».

قالت سايوكو: «في الحقيقة، هناك الكثير من الأماكن تقدِّم مثل هذه الخدمات. طبعاً، هي في المعتاد عروض إضافية اختيارية وليست مجانيّة، لكنَّ الأسعار منخفضة ومنتشرة على نطاق واسع. لذلك قد تكون هناك زاوية أخرى وهي أداء بعض الأعمال المتفرّقة الأخرى مجاناً. وطبعاً هناك أمور نستطيع أن نقوم بها وأمور أخرى لا نستطيع، لذا علينا أن نكون واضحين بشأن هذا بالضبط، فمثلاً، هناك غسل الأطباق، أو أخذ الملابس الوسخة إلى الغسّالة، أو إعادتها بعد الغسيل، وربما تنظيف داخل البرّاد أو حزم الصحف والمجلات بغية إعادة تدويرها، هذا النوع من الأشياء».

قالت ماو مازحة: «ليتني أجد من ينظّف البرّاد هنا»، فضحكن جميعاً.

قالت يوكي بهدوء «كنت قد نسيت هذا الأمر، لكنَّ إحدى صديقاتي أخبرتني ذات مرة كيف جرَّبت اللجوء إلى خدمة ربات المنازل. قالت إنَّ الشخص الذي استلم طلبها عبر الهاتف والشخص الذي جاء لكي يقدِّر الوضع والشخص الذي تولَّى فعليا العمل كانوا مختلفين، لذا كان اضطرارها إلى إعادة الشرح في كل مرة أشبه بالشجار. ولو أنَّ الشخص نفسه هو المسؤول من البداية وحتى النهاية كما قالت الرئيسة لكان ذلك ممتازاً».

اقترحت ميساو: «لعلَّ الإعلان عن مبيعاتنا يجب أن يتضمَّن أنَّ ربّات بيوت حقيقيات سيقمن بالتنظيف».

«ماعدا اثنتين فقط منا تناسبان فعلاً هذا الوصف - سايوكو ويوكي».

علّقت هذه الأخيرة: «وقد أكون مؤهَّلة تقنياً لأنني متزوجة، ولكن ليس لدي أيٌّ أطفال، ولا أهتم بمنزلي، لذلك..».

قالت آوي، وهي تجعّد جبينها: «لست واثقة من أنَّ «ربّات البيوت الحقيقيات» يصلحن عنصر جذب». أشعلت سيجارة ونفثت الدخان: «ها قد عدنا إلى ما قلنا من قبل، ألن تخشى كثير من النساء مما قد تعتقد ربة بيت أخرى حول الطريقة التي يهتممن بها بمنازلهن؟».

ردّت سايوكو: «ولكن هناك أنواعاً معيَّنة من الأشياء لا تلاحظها إلا ربة المنزل الخبيرة. كنت أفكِّر في هذا اليوم. سواء أكان العفن المتشكّل على آجر الحمّام، أو الهواء المنبعث من مرشح مكيِّف الهواء القذر، أو أرضية التاتامي أو التنجيد الذي أضحى مشبعاً بالرطوبة من طول غيابه عن أشعة الشمس، هناك الكثير من الأشياء في أرجاء المنزل يمكن أن تكون ضارة بصحة الأطفال الصغار. وإبراز المخاطر والحث على إجراء عملية تنظيف شاملة سوف يشكّل المزيد من العبء إذا صدر عن أمّ تعاملت مع الهموم نفسها في منزلها».

قالت آوي: «في الأساس، علينا أولاً أن نعي بالضبط كيف نريد أن ينظر إلينا. إنَّ فكرة نوريكو هي أنَّنا يجب أن نسعى وراء الأفراد والملكيات الفردية ونعرض خدمة منخفضة التكاليف. وتركيزي طوال الوقت هو على الشبان الذين سافروا كثيراً، وليس على العائلة العادية ذات الأطفال. طبعاً، إنَّ المغالاة في تضييق الأمر منذ البداية قد لا تكون فكرة جيدة، أيضاً».

قالت سايوكو: «إذن دَعيني أسأل ما يلي: ما الذي ستبحثين عنه أنت شخصياً في خدمة مدرَّبة المنزل إذا قرَّرت استخدام إحداهن؟ ما هو الأمر الأشد أهمية بالنسبة إليك؟».

من جديد أرسلت آوي بصرها نحو الفضاء وهي تفكّر برهة. ثم أجابت مع

ضحكة شبه مكبوتة: «أعتقد أنهنّ ربما لن يصعقن. أعني، عندما تسوء حال منزلي، يصبح الوضع فظيعاً جداً، لذلك، ما يثير السخرية هو أنّه مهما بلغت رغبتي في استدعاء إحداهن، لا أستطيع أن أفعل ذلك، لأنّني لا أتحمّل أن يرى أيُّ شخص مدى السوء الذي تركت الأمور تصل إليه. ولهذا ربما إذا قطعت إحداهن وعدا بأنّ: «لاشيء يمكن أن يصدمنا! سوف ننظّف أي قذارة!» - فقد أرفع سماعة الهاتف. ولكنّني لا أعتقد أنّني نموذجية كثيراً. فماذا عنك، يا رئيسة؟ بوصفك أمّاً ولك طفلة صغيرة في المنزل، ماذا تطلبين في خدمة ربات البيوت؟»

«حسن، سوف تكون القدرة على دفع التكاليف في أعلى لائحتي. وبعد ذلك، أعتقد حقاً أنّني أفضّل واحدة عاشت مثل تجاربي وظروفي. لم يحدث أبداً أن استأجرت أحداً - لا نستطيع تحمُّل نفقات ذلك - ولكن أحياناً، عندما كانت أكاري طفلة أصغر سناً، وددت حقاً أن أحصل على بعض المساعدة. وحتى الآن، أودُّ لو أنَّ شخصاً يأتي فقط لكي يقوم بجولة سريعة على المطبخ أو على الحمّام في أثناء إحضاري ابنتي من المدرسة أو اصطحابها للفحص الطبي. أيضاً، عندما كانت أكاري صغيرة جداً، لم يكن يمر يوم واحد من دون أن أقلق بشأن ما إذا كنت أتصرّف معها بصورة صحيحة، لذلك، مثلاً، لو أنّني أحضرت مدبرة منزل ذات خبرة في تربية الأطفال يمكنها أن تصغي إليّ في أثناء قيامها بالمهام، أعتقد كانت ستزيح عبئاً هائلاً عن كاهلي. وليس حتى إلى شخص أتحدث إليه بالضرورة. يكفي أن أعرف أنّ تلك المساعدة لديها أطفال تربيهم - هذا بحد ذاته سيكون مطمئناً. لأنّني اعتقدت حقاً أنّ بكاء منتصف الليل لن ينتهي عندما كانت أكاري طفلة وليدة. تماماً كما اعتقدت أنّ سلوك ابنة السنتين المزاجي والمتطلّب لن ينتهي». سكتت برهة، ثم أضافت: «لعلّ هذا هو طبعي. لست واثقة من أنّني أنا أيضاً امرأة نموذجية».

لاحظت سايوكو أنَّها حظيت بانتباه الجميع التام، وسرت فيها موجة لطيفة من البهجة وهي تتكلَّم. تمنَّت لو كان في استطاعتها أن تستمر إلى الأبد. طوال تلك السنين، كان هناك إحساس غامض بالذنب يجثم عليها – لأنَّها تركت عملها، وتحولت إلى شخص يحب المكوث في المنزل، وصارت ترى أنَّ اصطحاب أكاري إلى الحديقة العامة أصبح شيئاً مزعجاً، وتبتهج عندما تمطر، ولأنَّها أيضاً أودعت ابنتها المدرسة رغماً عن الأصوات كلِّها التي قالت إنَّه تصرف قاس – وكانت في حال متوسطة من البؤس. أما الآن فيمكنها أن تشعر بأنَّ ذلك لم يكن من دون طائل. كلُّ ذلك كان لهدف ما.

رفعت يوكي نظرها إلى الساعة المعلَّقة على الحائط: «أوه، يا رئيسة. لقد تجاوزت الساعة الرابعة».

كان سهلاً على سايوكو أن تضيِّع مسار الزمن عندما تحولت أحاديثهن إلى التساؤل حول ما سيحدث بعد انتهاء فترة التدريب، لكنَّهن جميعاً عرفن ظروفها جيداً وكان في استطاعتها دائماً أن تعتمد على شخص ما ليذكِّرها. وكلَّما حدث هذا، شعرت بانتمائها الحقيقي.

قالت، وهي تنهض واقفة على قدميها: «آسفة لأنَّني مضطرة إلى الذهاب بسرعة».

ابتسمت لها النسوة: «نراك في الغد».

انتعلت سايوكو حذاءها وألقت نظرة سريعة خلفها نحو الطاولة وهي تضع يدها على أكرة الباب. كانت الأخريات يواصلن ثرثرتهن المرحة وسط سحب متصاعدة من الدخان. أغلقت سايوكو الباب خلفها، ثم هرعت تهبط الدرج وظهرت تحت سماء زرقاء باهتة.

خرجت سايوكو من المحطة واستعادت دراجتها من موقف الدراجات ودفعتها عبر تقاطع الطرق قبل أن تركبها. اتَّخذت سبيل الطرق الرئيسية.

كانت مدرسة أكاري تقع على مسافة سبع دقائق أو ثمان من قيادة الدراجة، ولكن كان يمكنها أن تختصر مدة دقيقتين من وقتها بسلك الجادة التي تحفُّها أشجار الجنكة[1]، وانحدرت يساراً عند محل توفو[2]، قاطعة شوارع خلفية سكنية. كانت الساعة قد تجاوزت الخامسة، لكنَّ الشمس كانت لاتزال ساطعة وكأنَّ الوقت هو منتصف بعد الظهيرة، ومع وصولها إلى محل التوفو شعرت سايوكو ببلوزتها تلتصق بظهرها. مع كل دورة من بدّال الدراجة كانت تكرِّر في نفسها: «اللعنة على كلِّ شيء! اللعنة على كلِّ شيء!» في الواقع لم تكن غاضبة من أيِّ شيء، ولم تحاول أن تصب لعنتها على أحد، لكنَّها كانت مؤخراً تردِّد هذه العبارة لنفسها وهي تقود دراجتها. وبصورة ما، كانت تشعر دائماً كأنَّ رحلة الدقائق السبع أو الثماني دهر، كأنَّها تشق طريقها زحفاً وسط حركة المرور البطيئة على الطريق السريعة. كان ترديد عبارة «اللعنة على كلِّ شيء!» تساعدها في بذل جهد أكبر في الضغط على البدّال ويدعها تعتقد أنَّها تبطئ في تقدُّمها المثير للأعصاب وهي متقدمة بمقدار ثانية أو اثنتين.

كانت الأمهات الأخريات اللواتي كنَّ يأتين لجلب أطفالهن واقفات خارج البوابة مثنى وثلاثاً في انتظار فتحها. لوَّحت مجموعة من النسوة كانت غالباً ما تصادفهن عند وقت أخذ الأولاد لسايوكو وحيَّينها عندما ترجَّلت عن دراجتها.

«كيف حال عمل التدبير المنزلي؟».

«أشعر برغبة في استخدامك. قد آخذ بعض النقود التي خبأتها سرّاً».

«ألديك نقود قد خبأتها؟».

«لا أستطيع الاستمرار من دونها».

---

(1) شجرة الجنكة: شجرة صينية أوراقها مروحية وثمارها صفراء. – المترجم

(2) التوفو: وجبة بيضاء ليّنة مصنوعة من حبوب الصويا، تستعمل بدل اللحم. – المترجم

كانت والدة تشيمي تعمل في الصحة المنزلية، ووالدة رن تعمل في شركة تأمين على الحياة، ووالدة تاكويا كانت مترجمة حرّة. ردّت سايوكو على التحيّة بابتسامة، متسائلة إن كانت تلك النسوة أيضاً يحثثن أنفسهن بالصراخ الصامت «اللعنة على كلّ شيء!» وهنّ يضغطن على بدّالات الدراجات في الطريق.

عندما فتحت البوابة، توجّهت سايوكو من فورها إلى غرفة صف أكاري. راحت تحدّق من خلال النافذة من الرواق فوجدت ابنتها جالسة وحدها من جديد، تلعب بدميتين محشوتين. كانت بين الفينة والأخرى ترفع رأسها وتنظر حولها في الغرفة. وعندما لمحت أخيراً سايوكو عند الباب، تركت الدميتين وهرعت تركض لملاقاتها.

قالت بنعومة بعد أن ارتمت بين أحضان أمّها: «خمّني ماما ماذا حدث. اليوم أيضاً راقبتك طوال النهار. لذلك لم أبك»، ثم فجأة بدا أنّها على وشك البكاء وهي تردّد: «حقاً لم أبك، يا ماما».

تبيّن لسايوكو وهي تعانق ابنتها بشدّة أنّها هي التي كانت تبكي أكثر في طريقهما إلى مدرسة الحضانة في صباح كلّ يوم - وليس أكاري. لعلّ الجدّة تامورا على حق: لعلّ من القسوة حقاً إيداع طفلة في مثل عمر أكاري المدرسة؛ لعلّ من الخطأ حقاً أن تعود إلى العمل. كانت لاتزال تعذّب نفسها بسبب القرار الذي اتّخذته. كانت هي التي تبكي بحرقة في داخلها.

«إنّني شديدة الفخر بك يا حبيبتي. تفكير الماما فيك يقويها أيضاً طوال النهار».

تلوّت أكاري متحرّرة من عناق وهي تقهقه: «أووو! أنت تؤلمينني!» ملأ صوتها المشرق الرواق.

«نراك في الغد، يا أمّ أكاري!».

هتف عدد من الأمهات المغادرات مودعات وهنَّ خارجات من الباب مع أطفالهن. وردّت سايوكو على ذلك بتلويح صادق في المقابل.

منحت رؤية آوي وهي تعمل على جهاز الحاسوب المحمول على طاولة الطعام في منزلها سايوكو إحساساً غريباً لا ريب فيه. أخرجت آوي، وعيناها مثبّتتان على الشاشة، علبة السجائر من جيب بنطلونها الجينز ووضعت واحدة في فمها، ثم أدركت ماذا تفعل فأعادتها إلى مكانها.

«لا بأس. لا مانع لديَّ»، قالت سايوكو هذا من مجلسها على الأرض بجوار طاولة القهوة، حيث كانت تدوّن بعض الأفكار العامة حول مدبّرة المنزل.

نهضت آوي واقفة، يبدو عليها الارتباك، وخرجت لتقف تحت فتحة التهوية في المطبخ. وخلف حاجز البوفيه، سمعت المروحة تدور. وفي غرفة التاتامي، رفعت أكاري بصرها غير موقنة من كتاب مصوَّر مفتوح على الأرض، فنفحتها سايوكو ابتسامة مطمئنة.

قالت، تومئ إليها: «ماما، تعالي وانظري»، وبدأت على الفور تشير إلى صور في الكتاب: «هذا قرد تشيمبانزي. وهذه زرافة».

كانت سايوكو، بالإضافة إلى وضع إعلان عبر شبكة الإنترنت، اقترحت كتابة إعلان لكي يوزَّع كالإعلانات التي جمعتها من عاملات أخريات. لم تكن الأعمال ستبدأ فجأة حالما تنتهي فترة التدريب، لذلك كان بإمكانها في الوقت الحاضر أن تقوم بجولات في الأحياء المجاورة والمجمّعات السكنية وتملأ بها صناديق البريد. واتفقن جميعاً على أنَّ هذا مفيد بصورة ما.

كانت آوي قد وصلت إلى شقة سايوكو بعد الساعة العاشرة ببضع دقائق، حاملة صندوق الحاسوب بيدها. راحت أكاري تصخب وتبكي معظم فترة الصباح، لأنَّها لم تكن تعوَّدت زيارات الغرباء، وحتى بعد أن استقرّت ظلت تقاطع العمل بالاقتراب لترى ما تفعله آوي ومن ثمَّ تركض مبتعدة، أو بجذب

انتباه سايوكو لأمر ما. وبعد الغداء بدأت أخيراً تلزم الهدوء وتنفرد بنفسها، وتلعب بدماها أو تتفرّج على الكتب المصوَّرة - على الرغم من أنّها بقيت ترمي آوي بنظرات فضوليّة بين حين وآخر.

برزت آوي من المطبخ، وسلّمتها سايوكو المسودات التي وضعتها بالقلم الرصاص. وأمضيتا الوقت في مراجعتها معا، والإشارة بين حين وآخر إلى ما فعلته الشركات الأخرى في المنشورات الدعائية الموزّعة على الأرض وإجراء عدد من التعديلات على الصياغة ووضع الرسوم البيانية. وعندما توصلتا إلى نتيجة مرضية، بدأت آوي تضع الإعلان الفعلي على جهاز الحاسوب.

رفعت سايوكو نظرها إلى ساعة الحائط. لا شك في أنَّ شوجي في منزل والدته يأخذ غفوة الآن. أو لعلّهما منشغلان في ذمّ سايوكو لرفضها الاحتفال بعيد مولد الجدّة معهم. حسن، ولماذا أهتمّ؟ هزّت كتفيها استخفافاً، وأدركت فجأة مدى شعورها بالارتياح.

الحق يقال، لا حاجة حقيقية لسايوكو إلى العمل اليوم. آوي هي التي خرجت بالعذر من أجلها، واقترحت أنَّ في استطاعتهما معاً أن ينشرا الإعلان الذي تحدثتا عنه. بل إنّها عرضت أن تزور سايوكو في منزلها لفعل ذلك، لكي لا تضطر إلى اصطحاب أكاري معها إلى المكتب، وقد قبلت سايوكو ذلك شاكرة.

بدأ الأمر كلّه في صباح اليوم السابق عندما قال شوجي من دون مقدمات: «احرصي على جلب شيء معك في طريق عودتك إلى المنزل».

لم تفهم سايوكو عما يتحدّث. «ماذا سيحدث في الغد؟».

«عيد ميلاد أمّي. نحتفل به في كلّ عام. لماذا يصعب عليك أن تتذكّريه؟» قال هذا وكأنّه يعتبره خطأً فادحاً ارتكبته.

الحقيقة هي أنّهم يحرصون على الاحتفال بعيد مولد أمّه في كلّ عام بالقيام

بزيارتها في إيوغي في أقرب يوم سبت، وفي كل عام كانت سايوكو تقوم بكلٍّ احترام بشراء هدية لتأخذها معها عندما يلحُّ زوجها عليها. لم تكن تطرح أسئلة. أما الآن فتساءلت كيف قامت طوال تلك السنين كلِّها بتنفيذ ما أمرت به هكذا ببساطة. لقد كان والداها يقيمان في مكان قريب في تشيبا، ومع ذلك لم يذهب شوجي مرة واحدة ليحتفل معها بعيد مولديهما، هذا ناهيك عن جلب هدايا لهما.

استعرضت سايوكو في ذاكرتها أعياد ميلاد الجدَّة تامورا السابقة. لم يكن شوجي يفعل شيئاً غير الاسترخاء على الأريكة طوال النهار، وتترك أمُّه أمر التسوُّق والطبخ والتنظيف لسايوكو من دون أن ترفع إصبعاً لتساعدها. ثم إذا أزعجت أكاري سايوكو لتلفت انتباهها في أثناء انشغالها في المطبخ، كانت الجدَّة تضع اللوم عليها لتدليل الفتاة وإهمالها في تعليمها حسن السلوك. وتعلن مع سلسلة لا نهاية لها من التفاخر والنصائح والسخريات: «لقد ربَّيت ولدين تحت ظروف انضباط صارمة، يجب أن تعلمي هذا». وفي العام الفائت اختارت سايوكو وشاحاً صيفياً من الحرير، فلم تكد حماتها تنظر إليه، وتعلن أنَّها لم تكن حتى تعلم أنَّهم يبيعون الأوشحة في عز حرِّ الصيف، ثم تضعه جانباً من دون أن تزعج نفسها بإخراجه من العلبة. وعندما لاحظ شوجي صمت سايوكو المتجهِّم في طريق عودتهما إلى المنزل، حاول أن يفرحها. قال لها، إنَّه مجرد أسلوب أمِّه، ولا ينبغي أن تعتبر المسألة شخصية؛ وأنَّها لا تحسن التعبير عن شكرها أو فرحها. وحين تتذكَّر ذلك الآن، لا تفهم سايوكو كيف اعتقدت في ذلك الوقت أنَّها محظوظة بحصولها على مثل ذلك الزوج المتفهِّم.

كانت سيايوكو قد حكت هذا كلَّه لآوي في أثناء كتابتها التقرير اليومي في نهاية يوم الجمعة.

وأجابت آوي مبتسمة ابتسامة خبيثة: «في هذه الحال، ربما يجب أن أخبرك

أنَّ عليك أن تعملي غداً. وأستطيع أن أصرَّ على أنّني في حاجة إلى مساعدتك في إعداد ذلك الإعلان الذي قلت إنَّ عليك أن تضعيه».

في وقت متأخّر من تلك الليلة عندما عاد شوجي إلى المنزل، شعرت بفرح إيجابي لتمكّنها من قول إنَّ آوي قد طلبت منها أن تعمل في الغد وأنّها لم تستطع أن ترفض طلبها».

ردَّ قائلاً: «هل أفهم أنَّ هناك نوعاً من التنظيف لا يستطيع القيام به غيرك؟».

تجاهلت تهكّمه: «الذنب ذنبك في الإعداد للحفل من دون أن تسألني. ثم، إنَّه عيد ميلاد أمّك أنت، وليس أمّي أنا».

عندما سمعت نفسها تقول هذا، كان يجب أن تمنع نفسها من الضحك بصوت عال. وتذكّرت ما تعلّمت في ليلة الترحيب بها: إذا احتفظت بشيء مغلق داخلك فسيزداد إحساسك سوءاً على سوء، ولكن إذا صغته في كلمات فسيتحوّل إلى شيء تستطيعين أن تضحكي عليه.

أخذ الضجر ينال من أكاري من الكتب المصوّرة وبدأت تعود إلى نزقها من جديد؛ ويبدو أنَّ تناول غدائها جعلها مستعدة للنوم. دخلت سايوكو غرفة التاتامي لكي ترفعها وتربط برفق على ظهرها. لم يكن يسمع في الغرفة إلا صوت مفاتيح حاسوب آوي المنخفض. ووراء الأبواب الزجاجية المنزلقة المؤدية إلى الشرفة، ارتفعت السماء عالية وصافية. وعندما استقر تنفّس أكاري بإيقاع منتظم، وضعتها سايوكو على التاتامي وأحضرت غطاء ذا وبر من الخزانة لكي تغطيها به.

همست آوي لكي لا توقظ أكاري: «هلا اقتربت وألقيت نظرة، يا رئيسة؟ واخبريني برأيك».

مشت سايوكو على رؤوس أصابعها نحو الطاولة ونظرت من وراء كتف

آوي إلى الصفحة الظاهرة على الشاشة. كان مكتوباً بأحرف كبيرة وواضحة «خدمة المنازل»، وكانت آوي قد أضافت تعبيرات التسويق إلى التصميم القائم على عناصر مأخوذة من منشورات إعلانية أخرى نظرتا فيها.

قالت: «هذه موجَّهة إلى ربّات البيوت»، ثم أنزلت الصفحة وأضافت: «وهذه موجَّهة للأفراد».

قالت سايوكو: «نعم، تبدو رائعة. أنت مذهلة. كيف تعلَّمت الرسم هكذا على الحاسوب».

«إنَّه فقط فن القصاصات التي أدخلته. إذا بدت لك جيدة، أعتقد أنَّك قلت إنَّ لديك طابعة، صحيح؟».

«نعم. انتظري لحظة»، خطت سايوكو متجاوزة ابنتها النائمة، وأحضرت الطابعة من المكان الذي كانوا يحتفظون بها فيه في الزاوية القصيَّة من غرفة التاتامي وحملتها إلى الطاولة. وصلت آوي الشريط بالحاسوب، وأدخلت سلك الكهرباء، وشغَّلت الطابعة، ثم ضغطت زر «اطبع» على الشاشة. دبَّت الحياة في الآلة معلنة ضجيجاً عالياً. جمدتا ونظرتا باتجاه أكاري. لم تحرِّك ساكناً، وتبادلتا ابتسامة الارتياح.

جلستا جنباً إلى جنب إلى الطاولة، وراحتا تراجعان المطبوعات وتناقشان سبل تحسينها. وبعد تجريب أشكال متنوعة من الأحرف والألوان وتحرير عبارة هنا وهناك، طبعتا نسخاً جديدة لكي تتفحَّصاها من جديد، وقامتا بهذه العملية مرات عدَّة.

قالت سايوكو وهي تشاهد الطابعة تعمل باجتهاد، دافعة آخر النسخ من الإعلانات: «أريد أن أشكرك لإنقاذي من يوم سبت أعلم أنَّه كان سيصبح كئيباً جداً».

«كلا، كلا، أنا التي يجب أن أشكرك. إذا انتهينا من هذه اليوم، أستطيع

أن أحملها إلى الطابعة في صباح يوم الاثنين باكراً. بل لقد حصلت على وجبة غداء من هذه الصفقة. إذا وجدت نفسك في ورطة مشابهة من جديد، فقط أعلميني. سيسعدني أن أستقبلك في العطلة الأسبوعية. هناك دائماً أكوام من الأشياء الصغيرة التي تحتاج إلى تنفيذ».

ذهبت سايوكو إلى المطبخ وفتحت البرّاد. كانت قد جاءت طلباً للشاي المثلّج، لكنّها لمحت بعض عبوات البيرة قريبة المنال خاصة بشوجي، ورأت أنّها ستعجب آوي أكثر.

«وو–هوو! شاي مع رغوة!» وصفّقت آوي بيديها عندما جلبت سايوكو عبوة طويلة من البيرة وكأسين صغيرتين إلى الطاولة.

تناولت آوي رشفة من الكأس الذي صبّته سايوكو لأجلها، وأمالت رأسها إلى أحد جنبيه وراحت تستطلع الغرفة.

«أنت حقاً السوبر ماما، أليس كذلك، يا رئيسة؟».

«ماذا تقصدين بهذا؟»

«الغسيل المرفرف على الشرفة، وكؤوس باردة من البيرة، وجعل أكاري تنام هكذا. من الصعب تصديق أنّك وأنا في سنٍّ واحدة».

«أوه كفاك. إنَّ أيّة امرأة تستطيع أن تفعل هذه الأشياء. من المستحيل أن أفعل ما تفعلين – تقومين باتصالات مع النصف الآخر من العالم لتستأجري الحافلات وتعدّين رحلات سياحية مرفهة وكبيرة».

«لكنّك تقومين بعمل، أيضاً. أنت تعملين خارج المنزل ومع ذلك تحافظين على المنزل نظيفا ومرتّباً. إنّني أرفع لك قبّعتي بوصفي امرأة. لا يوجد طبق وسخ في المغسلة، ولا كؤوس حساء فارغة على النضد».

«حسن، قد يكون لدي عمل، لكنّني لست مضطرة إلى القيام بعمل إضافي، وهو ليس عملاً ذهنياً. لست مضطرة إلى العمل باجتهاد دائم طوال الوقت

كما تفعلين أنت».

قالت آوي، وهي تصفعها على ظهرها: «أوه، كفى. نبدو مثل عجوزين في جمعية لتبادل عبارات الإعجاب».

صبّت سايوكو المزيد من البيرة في كأسها وتناولت رشفة. كانت باردة ومنعشة.

وبرز فجأة سؤال في ذهنها لم يكن قد خطر لها أن تطرحه على آوي من قبل. قالت: «هل لي أن أسألك سؤالاً؟ هل أنت من اللواتي لا يؤمنّ بالزواج؟».

«أنا لا أقول هذا. كلُّ ما في الأمر أنّه تصادف أنّني لا أجد شخصاً مناسباً الآن. في الحقيقة، كنت أخرج مع شاب في العام الفائت، لكنّه تركني في أثناء قيامنا برحلة معاً». ملأت آوي كأسها حتى الزبى ومن ثم رشفت رشفة أخرى قبل أن تتابع: «أتعلمين ماذا قال عندما تركني؟ قال إنّني رخيصة جداً في سلوكي، أينما ذهبنا. وكان يتصرّف كأنّه آخر المبذّرين الكبار، ويوزّع الإكراميات المفرطة على كلّ شخص نقابله. وادّعى أنّ الدليل قال إنّ هذا ما يفترض بنا أن نفعل. كنا نأكل في مطعم صغير لا يزيد حجمه عن حجم كشك في شارع فيترك إكرامية ضخمة. وفي الفندق كان ينفح الإكرامية لأشخاص لم يكونوا حتى يلمسون حقائبنا، لمجرد أنّهم يجيبون عن سؤال. ولم أتدخّل إلا عندما بدأ يعطي إكرامية لسائق سيارة أجرة حتى بعد أن غالى في الأجرة وهو يصخب. أعني، والله، لم نطلب من البوّاب أن يدبّر لنا بطاقات لحضور أوبرا نفدت في مسرح الميتروبوليتان أو ما شابه. وماذا أحصل مقابل فتحي فمي الثرثار؟ يصفني بأنّني بخيلة».

انفجرت آوي ضاحكة. جلست سايوكو، غير واثقة مما إذا كان ينبغي أن تنضم إليها، وحرّكت رأسها إلى أعلى وأسفل في إيماءات صغيرة.

تابعت، وقد اتّخذت نبرة صوتها حدّة جديدة: «اللعنة على بعض الناس

وكتبهم المرشدة. اللعنة! هل سبق لك أن ذهبت في رحلة جماعية سياحية؟ يعطون تلك الكتيبات الصغيرة المملوءة بلوائح ما ينبغي وما لا ينبغي لهم فعله - ومقدار الإكرامية التي يجب أن تتركها في هذا المكان وذاك، ونوع المحال التجارية الواجب تجنُّبها، وما شابه. لقد سمعت مؤخراً عن جولة سياحية في جنوب شرق آسيا أعطوهم في خلالها كتيبات تقول لا تأكلوا من أكشاك الشوارع، ولا تشربوا المثلجات، ولا تأكلوا الخضراوات غير المطبوخة، وما إلى ذلك - وحتى أدق التفاصيل. ومع ذلك، في الوقت الحر، قرَّر بعض الأشخاص أن يجرِّبوا الأكل في كشك الشارع، فمرضوا جميعاً، من دون استثناء. وطبعاً، ستتصورين أنَّ المكان يعاني من مشكلة في الإجراءات الصحيَّة. لكنَّني في الواقع أعتقد أنَّ السبب هو قوة الإيحاء. وكأنَّ الناس يتخلَّون عن عقولهم المفكِّرة عندما تعطيهم دليلاً لكي يتَّبعوه. وعندما يتوقَّفون عن التفكير، لا يعودون يرون الأشياء، أو يختبرونها بأيِّ شكل حتى تثبت في أذهانهم. أعني، الإكراميات مثلاً، لن تتذكري لمن تعطيها، ناهيك عن مقدارها. أما التجارب التي تجعلك تقولين: «شكراً لك، شكراً لك، شكراً لك من أعماق قلبك - هذه لا تنسينها أبدا».

عندئذ كانت آوي في ذروة خطبتها. وحدَّقت سايوكو من خلال الأبواب الزجاجية إلى الغسيل يرفرف في وجه النسيم وهي تصغي:

«من وجهة نظري، يمكن تقسيم السفر في الأساس إلى نوعين حسب ما إذا كنت تبغين المشاهدة أم العمل. فهل تقومين بالسياحة لتشاهدي الآثار والمتاحف وما إلى ذلك في المنطقة، أم لتشاركي في أمر يجري هناك، كمهرجان؟ إلا أنَّ القاعدة الأساسية في كلا الحالين يجب أن تكون هي بحثك عن لقاءات جديدة. ومن دون هذا، ما الفائدة من الذهاب إلى أي مكان؟ فكل بلد مختلف. والكلام المتفائل ذاك كلُّه الذي تسمعين حول أنَّنا نفهم أحدنا الآخر وأنَّ النَّاس

في الأساس متشابهين في كلّ مكان، ما هو إلا هراء. كلُّ إنسان مختلف. وإذا لم تدركي هذا، فلن تختبري أيَّ شيء جديد حقاً. تستطيع الكتيبات وكتب الإرشاد أن تقول لك «افعلي هذا» أو «لا تفعلي ذاك»، ويمكنها أن تشرح لك العادات المحليّة، ولكن فيما عدا ذلك، أعتقد أنَّها في الواقع تقف حائلاً دون جعلك تتواصلين مع شيء مختلف عن نفسك».

سكتت آوي. طرفت بعينيها وكأنَّها فوجئت بما قالت والتفتت إلى سايوكو.

قالت بارتباك: «آسفة، لم أقصد أن أتدفّق بالكلام هكذا. أعتقد أنَّني أفعل هذا كثيراً. إنَّ تاكيشي والآخرين دائماً يضايقونني بهذا الشأن»، ومدَّت يدها لتتناول آخر نسخ الإعلانات، التي كانت قد انتهت طباعتها منذ وقت طويل.

كان الإصغاء إلى آوي وهي تتكلّم بلا توقُّف، بالنسبة إلى سايوكو، أشبه بالإصغاء إلى بائع جوّال يستعرض من دون توقُّف مزايا آخر ما صنع من غسّالات حديثة الطراز. وكلُّ ما فهمته حقاً كان أنَّهما مختلفتان. ما تريان عندما تنظران إلى العالم من حولهما، وما تتوقان إليه، وحتى ما تسعيان إليه في الحياة في المطلق - كلُّ شيء من حولهما كان مختلفاً. ولكن إذا قبلنا بما قالت آوي توا، فسنرى أنَّ تلك الاختلافات بالذات هي التي تجعل تلك الجلسة وذلك الحديث ممتعاً.

لاحظت أنَّ كأس آوي قد فرغ وهمَّت بالبحث لترى إن كانت قد تبقَّت أيَّة عبوة أخرى، وإذا بها تسمع مفتاحاً يدار في الباب الأمامي. أجفلت، وهرعت إلى الرواق بدلاً من ذلك، فوجدت شوجي يدخل.

انفجرت قائلة: «ماذا تفعل هنا؟».

قال، وهو لا يقلُّ عنها دهشة: «وماذا عنك أنت؟ ظننت أنَّ لديك

عملاً».

«نحن نعمل هنا».

قال شوجي: «هنا؟ وماذا تفعلان؟»، ثمَّ أضاف: من تقصدين بـ «نحن»؟» وانساب متجاوزا سايوكو وفتح الباب المؤدي إلى غرفة الجلوس والطعام. اندفعت سايوكو بسرعة خلفه:

«هذه الآنسة ناراهاشي، رئيستي في العمل. آسفة على الفوضى. لم أكن أتوقع عودتك باكراً هكذا».

قالت آوي بودّ: «يسعدني أن أقابلك أخيراً. أريد منك أن تعلم كم كانت زوجتك مفيدة لنا في بلاتينوم بلانت. هذا ما كنا نعمل عليه اليوم – إعلانات للمغامرة الجديدة التي تعدُّها لنا. سوف ندشّنها جدياً في الأول من الشهر». كانت تقابل الرجل للمرة الأولى، ومع ذلك تكلّمت باتّزان وبألفة سلسة، وهي تحوّل المطبوعات إليه ليشاهدها.

«آه، نعم، بكل سرور». بدا أنَّ شوجي هو الأكثر ارتباكاً عندما لم يبد إلا استجابة مقتضبة، ثم اندفع متجاوزاً سايوكو الواقفة عند الباب وانتقل إلى الرواق متوجها إلى غرفة نومهم. وتناهى من غرفة التاتامي صوت تذمُّر: بدا جلياً أنَّ الضجيج أيقظ أكاري.

«بما أنَّ زوجك عاد إلى المنزل، أعتقد أنَّه من المستحسن أن أرحل». ونهضت آوي واقفة على قدميها: «سوف أرتِّب الأمور قليلاً»، وجمعت مطبوعاتهما العديدة على شكل ركام واحد وأغلقت حاسوبها.

قالت سايوكو: «لا فكرة لديَّ عن سبب عودته المبكِّرة جداً، ولكن لا حاجة حقاً إلى إسراعك في الذهاب. أرجوك ابقي كما تشائين».

«على أيّة حال لقد انتهينا. سوف آخذ هذه النسخة الأخيرة إلى محل الطابع في صباح يوم الاثنين باكرا». كان بكاء أكاري يزداد حدَّة: «كما ترين، يا

رئيسة. يبدو أنَّ هناك شخصاً يحتاج إليك».

بينما ازداد علوُّ نبرة بكاء أكاري، ذهبت سايوكو لكي تحملها. وعندما رجعت، عادت إلى الإلحاح على رئيستها في العمل كي تبقى، لكنَّ آوي أسرعت بحزم حاسوبها وحملت عبوة البيرة الفارغة والكأسين إلى مغسلة المطبخ.

استقلَّت سايوكو المصعد لتهبط مع آوي، وهي تحمل أكاري، ورافقتها حتى الدرج عند واجهة البناء.

بعد أن أغلق الباب الآلي خلفهما، قالت آوي: «يجب أن نقوم حقاً بنزهة الينابيع الحارة تلك في وقت ما، ألا تعتقدين؟»

أومأت سايوكو، وقالت بنبرة كئيبة: «نعم، سوف نفعل».

أسرعت آوي خطاها تحت أشعة الشمس الحارقة. وبعد أن قطعت مسافة قصيرة التفتت لتلوِّح بذراعها من فوق رأسها. كانت أكاري لاتزال تمرُّ بنوبات وطفرات من البكاء، لكنَّ سايوكو رفعت يد الفتاة الصغيرة ولوحتها نيابة عنها، وهي تقول لها: «باي باي».

هتفت: «شكراً لك!».

كانت الأشجار تحفُّ بالمدخل إلى البناء من جانبيه وتستمر على طول الشارع، ملقية ظلالاً داكنة على الرصيف المتوهِّج. راحت بلوزة آوي البيضاء تدخل الظلال وتخرج منها وهي تسرع على البعد. وقفت سايوكو تتابعها ببصرها حتى لم تعد ترى خفق ضوء الشمس على القماش.

في الطابق العلوي وجدت سايوكو شوجي على الأريكة يتصفَّح إحدى المجلات.

نخر قائلاً: «ماذا كان ذاك؟ مجموعة النشاط الخاصة بطالبتك؟».

مشت سايوكو وتجاوزته من دون أن تتفوَّه بكلمة وأجلست أكاري على

أرضيَّة غرفة التاتامي. كانت الطفلة لاتزال تشهق، بعد تفويتها فرصاً عدَّة لإكمال بكائها.

أضاف: «كأنَّك تعدّين ملصقات من أجل احتفال في الجامعة».

«لم أتوقع عودتك باكراً هكذا. كيف حال أمّك؟».

تشبَّثت أكاري بظهر سايوكو عندما ركعت لتجمع الكتب المصوَّرة المبعثرة على الأرض:

«ما فائدة ذهابي وحدي؟».

بوغتت سايوكو: «ألم تذهب؟ أين كنت طوال ذلك الوقت؟».

«ليس في مكان معيَّن. فقط أتجوَّل بين المحال التجارية بجوار المحطة».

«ولكن ألم تكن أمُّك تتوقع وصولك؟»

لم يجب شوجي، ولا يزال يقلِّب صفحات المجلَّة. بدلاً من ذلك قال: «لا توجد بيرة في البرّاد».

تنهَّدت سايوكو ورفعت أكاري المتشبِّثة بين ذراعيها.

«ما رأيك في اصطحاب الماما للتسوُّق، يا حبيبتي؟ إنَّ مزاج البابا سيئ لأنَّ البيرة فرغت من عندنا».

«ما معنى هذا؟».

«أنا في حاجة إلى التسوُّق من أجل العشاء على أيَّة حال، لذا أنا ذاهبة الآن في الأحوال كلِّها».

انعطفت إلى الرواق باتجاه الباب الأمامي.

هتف شوجي بفتورٍ خلفها: «أتريدين أن أرافقك؟»، لكنَّها تظاهرت بأنَّها لم تسمع.

سألت أكاري سايوكو، وهي تساعدها في لبس حذائها، مرات عدة: «هل سنخرج، يا أمي؟».

قادت سايوكو دراجتها وهي تتساءل إن كان في استطاعتها أن تدرك آوي في طريقها إلى المحطة. راحت تراقب ظلال الأشجار أمامها بحثاً عن أيِّ أثر لها، ولكنّها لم تر غير أمهات أخريات مع أطفالهن الصغار وبعض الأطفال الأكبر سناً عائدين من بركة السباحة.

‒8‒

سافرت آوي وناناكو من إيزو إلى إيتو، ومن إيتو إلى أتامي، ومن أتامي إلى أوداوارا، كانتا تترجلان من القطار حيثما تشعران برغبة في ذلك في أثناء رحلتهما إلى يوكوهاما. لم تشاهدا أي شخص ذاهب في إجازة في أيِّ مكان، وكان سكون نهاية الصيف المضجر يخيِّم فوق أي مكان تصلان إليه. وفي أثناء انتقالهما من بلدة إلى أخرى، كانتا تجدان فنادق رخيصة تمكثان فيها مقابل 3000 ين من دون وجبات، وانجرفت أفكار آوي باستمرار إلى اليوم الذي قامت فيه بزيارة منزل ناناكو قبيل بدء إجازة الصيف.

قال الناس إنَّ ناناكو وعائلتها يعيشون في شقَّة من غرفتين في مشروع سكني في الولاية، ولكن اتَّضح أنَّه مجمَّع قديم أنشأته شركة بناء يابانية. تألَّفت أبنيته من أربعة طوابق صغيرة المساحة بنيت بصفوف منتظمة، تفصل بينها حدائق عامة متهالكة للَّعب بدا جلياً أنَّها لم تستقبل أيَّ طفل منذ وقت طويل. كانت صناديق الرمال مبعثرة مع أكياس رقائق البطاطا الفارغة وعبوات الصودا؛ والأراجيح الخشبية ذات المقاعد العفنة تتدلَّى من سلاسل يكسوها الصدأ؛ وزجاجات المشروب المقوّي البنيَّة وأعقاب السجائر مبعثرة هنا وهناك على الأرض.

فكَّرت آوي، وهي تمشي خلف ناناكو بمقدار نصف خطوة، في الصورة التي رسمتها في خيالها في أثناء حديثها معها عبر الهاتف. عندما كانت تضع سماعة الهاتف في الصالة على أذنها، وتصغي إلى إيقاع أنفاس ناناكو على الطرف

المقابل من الخط، تخيَّلت منزلاً فسيحاً ومرتَّباً. لكنَّ المجمَّع السكني الذي تدخلانه الآن بدا أقرب شبهاً إلى الوصف الذي انتشر في أرجاء المدرسة.

سلكت ناناكو الطريق إلى المبنى الذي خطَّ على جانبه الحرف E كبيراً. ارتقت آوي الدرج المظلم والضيِّق وعيناها مثبَّتتان على ظهر صديقتها. حيث وصلنا الشقَّة التي تقع في الطابق الثالث.

للباب الذي أدخلت ناناكو فيه مفتاحها دهان أزرق يقشر وليست عليه رقعة تحمل اسماً. قالت بفظاظة، وهي تفتحه وتدخل من دون أن تنظر إلى آوي: «ادخلي».

لن تنسى آوي أبداً انطباعها الأول عندما خطت إلى داخل شقَّة ناناكو. لم تكن تشبه أيَّة شقَّة أخرى شاهدتها في حياتها. هذا لا يعني أنَّ الغرف كان ينقصها النظام أو النظافة. كانت ببساطة لا تشبه مكاناً يمكن للمرء أن يتخذه مسكناً. بعد الباب مباشرة المطبخ الذي لا يكاد يتَّسع لأكثر من طاولة طعام صغيرة، وبعده غرفتا تاتامي بفرشتين مقاس أربعة أمتار ونصف، جنباً إلى جنب. كانت أرضية من النوع الذي تراه في كلِّ مكان تقريباً، ولاشك في أنَّ هذا المثال يتكرَّر في كلِّ وحدة سكنية، ومع ذلك فالمساحة بين جدرانه الأربعة تفتقر إلى الإحساس بأنَّه منزل. كانت أقرب شبهاً بغرفة انتظار في محطة قطار في مكان ما، أو بحديقة ألعاب مقفرة مرَّت بها هي وناناكو وهما في طريقهما إلى المجمَّع السكني. ذهلت آوي، ثم انتابها قليل من الخوف، مما شاهدت.

بدل ألفة العيش داخل منزل، كانت تتَّصف بجو عار، مؤسساتي. امتلأت المغسلة ومنصب الأطباق حتى آخرهما بأكواب الحساء الفوري، وعلب وجبات الغداء، وعبوات العصير والبيرة – ولا يرى طبق واحد للعيان. وحشد من الذباب الصغير يحوم حول أكياس القمامة السوداء المتراكمة في الركن. وفيما خلا البرّاد، لم يكن المطبخ يحتوي أياً من الأدوات أو القطع الأخرى:

لا طاولة، ولا خزانة الأطباق، ولا خوان، ولا مايكروويف، ولا طبّاخ للأرز. ومن منتصف السقف المنخفض تدلّى مصباح ضوء عار واحد.

دخلت ناناكو حتى وصلت طاولة الطعام في المعتاد وانتقلت إلى غرفة التاتامي جهة اليسار. تبعتها آوي. هذه الغرفة، أيضاً، كادت تكون مجرّدة، فعلى الجدار البعيد كانت نافذة تسمح بدخول قليل من أشعة الشمس، والفضل في ذلك إلى قرب البناء المجاور. وتحت النافذة طاولة كتابة تاتامي منخفضة، وهي قطعة الأثاث الوحيدة من أي حجم في الغرفة. وجهاز كاسيت، وبعض المجلات النسائية، وجهاز هاتف أسود اللون، وحذاء داخل علبة مكشوفة، وجهاز تلفاز 14 بوصة، وحقيبة للرياضيين مبعثرة أفقياً فوق التاتامي المتهالكة والباهتة.

قالت ناناكو، ولاتزال تحجم عن النظر في عينيّ آوي وهي تضع حقيبة كتفها الصفراء على طاولة الكتابة: «هل أحضر لك شيئاً تشربينه؟» عندما لم تجب آوي بشيء، عادت إلى المطبخ وفتحت البرّاد لترى ماذا لديها.

استغلّت آوي الفرصة لتلقي نظرة على غرفة التاتامي. كانت هناك وسادة وغطاء ذو وبر ملقين بلا انتظام على الأرض، وتشكيلة متنوعة من الأثواب المبهرجة الألوان تزيّن الجدار بأكمله. ومحتوى نصف كيس من رقائق البطاطا وعدد من عبوات الألومنيوم المسحوقة المنتثرة على الأرض.

عادت ناناكو من البرّاد عبوتين من عصير البرتقال.

قالت: «هناك غرفة أخرى خلاف ما يظنه الجميع». نظرت إلى آوي للمرة الأولى منذ ولوجهما الشقة وابتسمت، ثم تابعت ما كان بالنسبة إليها نبرة صوت متحدية بصورة غير اعتيادية: «والآن وقد شاهدت منزل الفقراء حديث الجميع. هل أنت سعيدة؟».

لكنّ آوي لم تعتقد أنّ للفقر صلة بالشعور المضطرب، بل والغريب، الذي

انتابها من الشقّة. كان شيئاً محيّراً ومربكاً بالنسبة إليها تفكيرها في الحياة التي عاشتها ناناكو وهي تقيم في تلك الغرف – أو أيّ حياة تعيشها فيها الآن. كيف تمضي أيامها هنا، ومع من – في تلك الغرف التي بدت عصيّة على الترتيب بوجود الوجبات العائلية والشمل الملتئم.

تذكّرت آوي انطباعها الأولي عن ناناكو، بأنّها شخص يعيش بين أشياء جميلة فقط، يحميها أبوان محبّان ويحرصان الحرص كلّه كي لا يعرّضانها للجانب الأسوأ والقبيح من الحياة. هذا ما حسبت. ولكن يا للسخرية. كان هذا هو العكس مباشرة. لقد عاشت ناناكو في هذا المكان وحدها عملياً، لا يحميها أحد وهي معرّضة حتماً لأشياء لا حصر لها ما كان ينبغي أن تشهدها. وقفت آوي مصعوقة.

قالت ناناكو، وهي جالسة على أرضية التاتامي وترشف من عصيرها: «أعلم أنّ الناس يتهامسون عني بشتى أنواع الكلام، لكنه لا يزعجني».

سألت آوي، متذكّرة ما كانت ناناكو قالته من قبل: «ألأنّ ما يقال في المدرسة ليس هو المهم بالنسبة إليك؟»

«وهذا أيضاً، لكنّ الأمر يتجاوز ذلك، إنّ ما يقوله الناس عني الآن، هو ليس عني في الحقيقة، بل عنهم. إنّه لا يخصّني لأحمله. لماذا أرغب في حمل عبء الجميع وأعاقب نفسي بسبب مشاكلهم؟ لست كبيرة القلب إلى هذه الدرجة».

لم تفهم آوي فحوى هذه الكلمات. وكما حدث عندما أعلنت صديقتها أنّ لا شيء يخيفها، افترضت أنّها مجرد تبجُّح.

ران الصمت على كليهما وهما جالستان ترشفان العصير. وفجأة سمعت قرقعة مفتاح في الباب الأمامي، ودخل عدد من طالبات المرحلة الثانوية، يرتدين زياً رسمياً لم تكن آوي قد رأته من قبل، مع تنانير وصلت حتى كواحل

أقدامهن، كالكيمونو، ويضعن مساحيق تجميل سميكة كما تفعل ممثلات المسرح.

دخلت الفتيات الضاحكات بضجيج حشداً إلى غرفة التاتامي المجاورة، متجاهلات آوي وناناكو، ثم عدن بعد ذلك ببضع دقائق وهن مرتديات أثواب الخروج المبهرجة وخرجن من الباب من جديد. راقبتهن آوي يغادرن، وهي فاغرة فاها، وتستنشق العطر القوي الذي خلَّفنه وراءهن. كادت تتساءل إن كانت ناناكو تسمح للغرباء باستخدام شقَّتها غرفة لتغيير الملابس.

شرحت ناناكو مطلقة قهقهة صغيرة، وهي تحول نظرها بعيداً: «هذه أختي الصغيرة وصديقاتها. هل رأيت البنت القبيحة التي تضع أثقل مساحيق على وجهها وجعَّدت شعرها؟ هذه أختي».

انطلقت آوي إلى منزلها في الوقت الذي تحوَّل فيه لون الجدار الإسمنتي المشقق الذي يقابل النافذة إلى البرتقالي تحت تأثير نور المساء. اصطحبتها صديقتها حتى محطة الحافلة ووقفت معها حتى وصولها. وفي أثناء وقوفهما، تبادلتا المزاح والضحك وتحدَّثتا في أمور شتى تماماً كما كانتا تفعلان دائماً. وكأنَّ آوي لم تطأ قدمها منزل ناناكو. وكأنَّ آوي لم تر شيئاً، وأنَّ شيئاً لم يتكشَّف لها. ومنذ ذلك اليوم كفَّت آوي عن محاولة معرفة المزيد عن حياة ناناكو الخاصة، وسواء أكان ما قالته زميلاتها في الصف صحيحاً أم لا فإنَّها، على الأقل، صمَّمت على أن تبقي نظرها مثبَّتاً على ناناكو التي تراها بعينيها هي.

بمرور الأسابيع، بقيت آوي عاجزة عن تبديد التباين بين الفتاة المبتسمة الواقفة أمامها والمنزل الذي قامت بزيارته في ذلك اليوم. ولم تبدأ بفهم صورة ناناكو وهي تعيش في تلك الشقَّة التي تشبه البؤرة الخربة إلا بعد مغادرة إيزو. لقد أدركت أنَّها في الواقع لم تكن تعرف أيَّ شيء عن ناناكو الحقيقية.

كانت آوي قد أخبرت والديها أنَّها ستعود إلى المنزل في 24 من شهر آب، ولكنَّ ذلك اليوم واليوم الذي كان مقرراً أن تفتح المدرسة فيه أبوابها مرّا من دون أن يظهر على ناناكو أقلَّ أثر من قلق. يبدو أنَّه لم يتبدَّ لها أنَّه يمكن أن يقبض عليهما بتهمة الهروب من المدرسة، أو يمكن أن يشاهد أحدهم صورتيهما في نشرة الأشخاص المفقودين ويبلِّغ عنهما رجال الشرطة. وبعيداً عن حمل هذه الهموم، بدا أنَّها تكتسب حيوية جديدة مع انقضاء كلِّ يوم.

اقترحت ناناكو المكوث في فنادق الحب[1]. بما أنَّ غالبية الأنزال[2] تتقاضى مقابل كلِّ شخص، حتى أرخص الأماكن كانت دائماً تتقاضى من ستة إلى سبعة آلاف ين في الليلة الواحدة، كما قالت، أما فنادق الحب فكانت تتقاضى منهما مقابل الغرفة، لذا يجب أن تتمكنا من النزول مقابل أقل بكثير من ستة آلاف، خصوصاً إذا استفادتا من الفترة المناسبة. بالإضافة إلى أنهم يزوّدون الغرف بأشياء لا تقوم بها أماكن أخرى. وعندما سألت آوي عن الفترة المناسبة، شرحت ناناكو بطريقة واقعية أنَّه بعد وقت معيَّن من الليل، عادة نحو الساعة العاشرة، يمكن للمرء أن يمكث حتى الساعة التاسعة أو العاشرة من صباح اليوم التالي مقابل السعر نفسه الذي يدفعه مقابل «الاستراحة» مدة ساعتين.

عندما ترجلتا من القطار في أويزو، وجب عليهما أن تمشيا مسافة طويلة قبل أن تصلا أخيراً إلى مجموعة من فنادق الحب على طول الطريق السريعة رقم 1، على حواف الخط الساحلي. كانت تغلِّف المنطقة كلَّها هالة من التحريم، وتعثَّرت خطوات أوي وهي تكافح نوبة مفاجئة من النرفزة لم تعرفها من قبل.

(1) فنادق الحب: في الأصل كانت منتشرة في بلدان شرق آسيا وجنوبها، ثمَّ انتشرت بعد ذلك في الولايات المتحدة (يسمونها موتيل) وبلدان أميركا الجنوبية. وكما يبدو من لقبها، تستخدم لمن يرغبون في ممارسة الجنس من الأزواج بعيداً عن الأنظار، ويبدأ العمل فيها بعد الساعة العاشرة ليلاً. هناك تخفيضات لمن يلجؤون إليها نهاراً. وتسمّى أيضاً «استراحة»، إلا أنَّها في النهاية ليست إلا بيوت دعارة. – المترجم

(2) الأنزال جمع نزل وهو مكان عام للمبيت وتناول الطعام. – المترجم

لكنَّ ناناكو انتقت فندقاً وولجته مباشرة من دون أقلّ تردُّد. راحت تتفحَّص، متصنِّعة هيئة الخبيرة، اللائحة التي تبيِّن الغرف المتاحة، وضغطت زراً، وتناولت مفتاحاً من الشق. وقفت آوي وحدَّقت، كأنَّها تراقب شخصاً غريباً من أرض مجهولة.

في غضون أقلّ من أسبوعين غادرتا نزل ميكي أند ميني، وكانت آوي قد لاحظت مع رعب متزايد مدى السرعة التي تختفي بها النقود فقط التي تنفق على الطعام والمأوى، لذا كانت الكلفة المنخفضة والخدمات الإضافية التي رافقت الغرفة تغييراً مرحَّبا به. والفنادق الرخيصة التي لجأتا إليها في السابق لم تكن تزوِّدهما حتى بالشامبو، أما فنادق الحب فتزودهما نموذجياً ليس فقط بالشامبو والغسول بل بما يغسل الوجه وبمستحضر تجميلي، وبفوط صحيَّة، وبماسحات قطنية، وحتى برقائق البطاطا المقلية والقهوة.

كانت آوي معجبة بذكاء ناناكو وشجاعتها، وشعرت بالشكر لكليهما، لكنَّها في الوقت نفسه شعرت أقوى من أي وقت مضى بحضور فجوة لا يمكن اجتيازها كالتي أحسَّت بها في محطة إيميهاما. وكانت شجاعة ناناكو تنطوي على عنصر مكبوح، ذاتي، ذكَّر آوي بصورة ما بالشقَّة التي شاهدتها، بجوِّها الذي يتَّصف بكلِّ شيء ما عدا كونه مهجوراً.

أثارت الفجوة التي لمحتها آوي في ناناكو لديها مشاعر خوف واهنة، ولكن أيضاً كانت لها جاذبية قوية بالنسبة إليها. كان فراغها المظلم، العميق، أشبه بفضاء أسود يستطيع حقل جاذبيته القوي أن يمتص كل خوف وقلق وبليَّة وتردُّد وضجر وحقد - وأيَّ نوع آخر من الطاقة السلبية التي تلفُّ هذا العالم - وجعلها تشعر بالارتياح.

«أتدرين، يا ناناكو؟».

في حمّام أحد فنادق الحب واسمه «دروس غير روتينية» في تشيغازاكي بعد

ذلك ببضعة أيام، رفعت آوي صوتها لكي تسمع حيث ضجيج المياه الجارية. كانت ناناكو تشطف البيروكسايد عن شعرها في منطقة الشطف المكسوة بالزجاج المجاورة لمغطس الاستحمام، وجسمها مدثَّراً بمنشفة.

قبل يومين من ذلك أصيبتا بالخوف، عندما تصرفت إحدى النساء كأنَّها ضابط التغيُّب وتقدَّمت منهما وهما في السوبر ماركت في البلدة، وقادتهما من أجل إجراء بعض التعديلات. وبما أنَّ حقائب النايلون الكبيرة التي تحملانها تجذب أكثر مما ينبغي من الانتباه، اختصرتا محتويات أمتعتهما إلى أدنى مستوى، برمي ملابسهما الزائدة كلِّها، كالمناشف، وملابس السباحة، ومضادات أشعة الشمس، وكل ما لا تحتاجان إليه، في حاوية القمامة في محطة القطار. الشيء الوحيد الذي تمسّكتا به كانت مساحيق التجميل التي أعطتهما إياه ريوكو، ووضعتا منه لكي تبدوا أكبر سناً. وقبل ذلك بقليل كانتا قد اشترتا زجاجة بيروكسايد من الصيدلية لكي تبيّضا شعرهما.

طغى على جواب ناناكو ضجيج مجفِّف الشعر «ماذا؟».

قالت آوي، وهي تستند إلى جدار منطقة ارتداء الملابس: «عندما أكون معك، أشعر أنّني أستطيع أن أفعل أيَّ شيء».

أدارت ناناكو مقبض الدش فساد الصمت.

أتاها جوابها الشديد الثقة في النفس: «طبعا نستطيع أن نفعل أيَّ شيء».

لم تعد آوي تشعر بالتوتر العصبي أو التردُّد لدى اقترابهما من الباب الثقيل والمنجّد. كانت تعلم أنَّ صالات الرقص كلَّها في الأساس متشابهة.

وهناك عند حافة المنطقة التجارية إلى الشرق من محطة يوكوهاما يتدفق نهر صغير أقيمت على طول ضفَّتيه أكشاك الطعام. وتذكَّرت آوي بإبهام والدها وهو يحذِّرها في مرحلة الأحداث العليا أن تبتعد عن ذلك الجزء من المدينة لأنَّه ليس آمناً. لم تكن تعلم أنَّ هذا هو المكان الذي قصده والدها إلى أن قامت هي

وناناكو بزيارات متعددة إلى صالات الرقص في المنطقة.

دفعتا الباب ودخلتا وإذا بالظلام يكتنفهما مع الضجيج الذي يصمُّ الآذان والأضواء الملوَّنة تومض باستمرار. كانت أرض الحلبة مزدحمة بالراقصين كقطار النقل الداخلي في ساعة الذروة. عثرت آوي وناناكو على طاولة في الركن، حتى من دون أن تلقيا نظرة سريعة على حلبة الرقص. وتناوبتا على مراقبة أغراضهما عندما كانت الأخرى تملأ طبقها من المائدة المفتوحة. بقيت قائمة الطعام هي نفسها في الغالب على مرِّ الأيام: طبق المعكرونة بالجبن الدسم، ومعكرونة الباستا الجافة، ودجاج مقلي كثير الدسم، ومقليات شديدة الملوحة. واليوم وجدتا أيضاً زلابية مبخَّرة، وشرائح البيتزا، وكرات الأرز المحمَّصة. جلست الفتاتان إحداهما قبالة الأخرى وأمامهما طبقان عامران، تأكلان بنهم وجبتهما اليومية الأساسية من دون أن تنطقا بأيَّة كلمة. ألقت آوي نظرة خاطفة على انعكاس صورتيهما على الجدار المكسو بالمرايا. ها هي ناناكو جالسة، ولون شعرها أشقر صارخ؛ وأمامها آوي، التي تعلَّمت من خطأ ناناكو وصبغته باللون البني المناسب. بدتا لها غريبتين. وعلى حلبة الرقص كان الراقصون الآن يتلوون على ضجيج إيقاع الكاجاغوغو.

«هذا اليوم أفضل حتماً من ذاك».

«تقصدين «لوف كوين»؟ لا. ذاك كان رديئاً».

«هل أحضر بعض الصودا؟».

«دعينا ننتظر. قد نجد من يشتري لنا ويسكي حامضاً أو ما شابه».

كان ذاك الأسبوع الثالث من شهر أيلول. ومنذ أسبوع وهما تتجولان في أرجاء يوكوهاما، تقيمان في فنادق الحب القريبة من محطات مثل هيرانوماباشي و شين-يوكوهاما و هيغاشي-كاناغاوا. في أثناء النهار تفتشان عن عمل، وتخرجان من دون تناول الغداء، وفي المساء تجدان صالة للرقص تقيم ليلة

للسيدات أو تستخدمان بطاقات التخفيضات وتملآن بطنيهما من موائد مفتوحة. وعندما يجانبهما الحظ، كان يأتي طلاب الجامعة أو عمال شبان ليتحدَّثوا معهما وليقدِّموا الشراب لهما، وفي إحدى المناسبات تواعدوا للتقابل بعد ذلك ببضعة أيام وأدلى الشبان باعترافاتهم.

في أثناء تناولهما الطعام، اقترب منهما رجل يرتدي ملابس رجال الأعمال وحبات من العرق تبرز على جبينه.

«ألا ترقصان أيتها الفتاتان؟ إذا استمررتما في الأكل هكذا، سوف تصبحان أشبه بالخنازير».

ألقت آوي نظرة مختلسة على ناناكو، التي رمتها بنظرة. لقد وصلتها الرسالة، فتجاهلت الرجل وتابعت غرز شوكتها وتدويرها في المعكرونة.

«عاهرتان قذرتان». وبصق وهو يبتعد.

تغيَّرت الموسيقى إلى إيقاع أغاني فرقة إرث، ويند أند فاير وتفجَّر المرح من حلبة الرقص.

آوي نفسها لم تتمكَّن من تمييز الفرق بين هذا الرجل وعامل المكتب ذي الأعوام العشرين من العمر الذي قدَّم لهما وعاء من الرامن في الليلة السابقة، ولكن يبدو أنَّه كان لناناكو حاسَّة سادسة تخبرها ما إذا كان الرجل آمناً أم لا. ولم يكن هناك من سبيل يدعو آوي إلى التيقُّن من عدد المرات التي تصيب فيها صديقتها، ولكن على الأقل حتى الآن، لم يوقعهما اتِّباع غرائزها في المشاكل.

لم يكن قد مرَّ أكثر من ثمانية عشر شهراً على مغادرة آوي يوكوهاما، لكنَّها لم تشعر بأيِّ شيء لدى عودتها إليها: لا حنين ولا كره. وكأنَّها وصلت إلى مدينة لم ترها من قبل، وفوجئت إذ وجدت أنَّها مكان يضجُّ بالحيوية. ولا شك في أنَّ ردَّة فعلها ستكون هي نفسها لو أنَّها ذهبت إلى إيزوغو وارد، حيث كانوا يعيشون فعليا. قبل كلِّ شيء، كلُّ ما فعلته طوال تلك السنين هو

أخذ جانب الحذر؛ لم تتح لها فرصة لترفع بصرها إلى السماء من فوقها أو إلى البنايات واللافتات من حولها. فإذا لم تكن قد توصَّلت أبداً إلى معرفة المدينة التي عاشت فيها حينئذ، فلماذا تكنُّ لها أيّة مشاعر الآن؟

لقد جاءتا إلى يوكوهاما على أمل أن تعثرا على عمل. وعندما غادرتا نزل ميكي أند ميني، كان في حوزتهما النقود التي كانتا تحملانها منذ البداية مع مدخرات اليوم الأسود التي أعطتها إياها أمُّها، بالإضافة إلى الأجر الذي تلقتاه من ريوكو - وتبلغ معاً 450 ألف ين. ولكن على الرغم من إقامتهما في فنادق الحب، وغسل ملابسهما بأيديهما، وقطع المسافة سيراً على الأقدام إذا لم يكن المكان بعيداً، والخروج من المنزل من دون تناول وجبات الإفطار والغداء بالإضافة إلى الوجبات السريعة التي تقع فيما بينها، كانت نقودهما تنفد بصورة مرعبة، وبعد مرور أقلِّ من شهر لم يبق منها غير 200 ألف ين. وبدأت آوي تسجل الحسابات في الدفتر الذي كانت تستخدمه في دراسة اللغة الإنجليزية، آملة أن تكتشف بعض المصروفات غير الضرورية التي يمكنها إلغاؤها، لكنَّها وجدت أنَّهما لا تنفقان إلا على الضرورات. التبذير الأكبر الذي ارتكبتاه كان عندما اشترت كلٌّ منهما ثوباً واحداً طويل الكمَّين لدى وصولهما إلى يوكوهاما.

كانتا في حاجة إلى التعامل بجدية أكبر في مسألة البحث عن عمل، لذا قامتا ذات ليلة في فندق في تاناتشي بملء استمارات ملخصات، وملأتاها بمعلومات زائفة في كل شيء ما عدا اسميهما، وفي اليوم التالي بدأتا القيام بجولات البحث في لوحات الإعلانات الموجودة في الممرات في المتاجر العامة الواقعة تحت الأرض وفي أبراج التسوُّق مثل «بورتا» و «جويناس» و «مورس» و «لوماين»، وتقدِّمان الطلبات في كلِّ فرصة ملائمة تتاح لهما. وعند الضرورة، كانتا تفترقان، تبحث إحداهما عن قوائم جديدة وتذهب الأخرى لإجراء

المقابلات. ولكن سواء بدت استماراتهما مشبوهة أم لأنَّ شعرهما المبيَّض أعطى الانطباع الخطأ، كانت طلباتهما دائماً تلقى الرفض يوماً بعد يوم. وفي تلك الفترة، كان التردُّد إلى أماكن الرقص يمنحهما شيئاً مقابل النقود. كانت الموائد المفتوحة مباحة، وكانت لديهما فرصة جيدة للعثور على من يشتري لهما مشروبات أو يقدِّم لهما وجبة خفيفة متأخِّرة.

في تلك الليلة تجمَّع آخرون حول المائدة، لكنَّ ناناكو طردتهم جميعاً. وبعد أن تجاوزت الساعة العاشرة، نهضتا وغادرتا. كانوا يعزفون لحنا بطيء الإيقاع، والأضواء الوردية تتحرَّك جيئة وذهاباً عبر الراقصين المتمايلين والمتعانقين على أرض الحلبة.

أضاءت مصابيح كهربائية عارية أكشاك الطعام التي تصطف على ضفة النهر، وانعكاس صورتها يخفق على صفحة المياه. وكان يسمع هدير سيل لا ينتهي من السيارات تنطلق مارة على الطريق السريع فوق الرؤوس، والأضواء المنبعثة من البنايات في كل مكان تنير سماء الليل. ترنَّح سكيران في منتصف عمريهما مارَّين جنباً إلى جنب، يغنيان بلا تناسق كلمات أغنية نشاز ويكادان لا يستطيعان السير باستقامة. واقترب عاشقان متشابكي الذراعين، وغائبين في نشوتهما الخاصة، وانساب صوت مادونا من باب مقهى مفتوح، وزحفت سيارة تسير ببطء مارة ونوافذها مفتوحة وموسيقى التكنو تلعلع من مكبِّرات الصوت.

لم تكن آوي، حتى مجيئها إلى هنا مع ناناكو، قد شاهدت حقاً أيَّ جانب من حياة يوكوهاما الليلية. وجدتها مدهشة وصاخبة ومرحة، وخالية من أي ظل في أيِّ مكان. أو لعلَّ الحماسة التي أحسَّت بها، كما اعتقدت، نبعت ليس من مفاتن يوكوهاما ذاتها بل فقط من وجودها مع ناناكو.

بينما آوي استقبلت لون ليل يوكوهاما وصخبها، تذكَّرت أمَّها. شعرت

برثاء حقيقيٌ وعميق لها – للمرأة التي ضلَّت في الحياة الفخمة التي كانت تعيشها في هذه المدينة، ولم تتمكَّن من الكفِّ عن ازدراء كلِّ شيء منذ انتقالهم إليها. لابد أنَّ أمَّها حانقة منها الآن. لقد ألمحت أكثر من مرة إلى أنَّ على آوي أن تلوم نفسها فقط لتعرُّضها للمضايقة. وبعد أن جلبت آوي هذا كله على نفسها وأجبرت العائلة بأكملها على الانتقال بعيداً عن البلد فقط إكراماً لها، هربت مرحة لا تلوي على شيء – أصبح مما لا ريب فيه أن أمَّها رأت أنَّها اختفت، ولم تسامحها أبداً على ذلك، تلك المرأة المسكينة، ولعلَّها ستمضي ما تبقى لها من عمر في تلك البلدة التي مقتتها، تشتكي بلا نهاية، وهي تنظر إلى ما حولها بكل ما تستطيع حشده من احتقار، وتنتقل بتعاسة من عمل كئيب إلى آخر.

قالت ناناكو: «كنت آمل أن نجد من يأخذنا إلى بنغوين بار من جديد، لكنَّنا لم نقابل أيَّ شخص ثري اليوم».

«أإلى هذا الحدِّ أحببت هذا المكان؟».

«تقريباً، في اعتقادي. أعني، لقد أمضينا وقتا ممتعاً عندما أخذنا ذلك الرجل إلى هناك في ذلك اليوم».

«حسن، بعض الأيام تكون سيئة. لديك مفتاح خزانتنا، أليس كذلك؟».

«نعم، معي. إلى أين تريدين الذهاب اليوم؟ إلى ذلك الفندق الذي يقع بالقرب من ميتسوزاوا؟ أنا أحب ذلك المكان، ألا تحبينه؟».

«أتقصدين البلو مون؟ نعم، هيا نذهب إلى هناك. ليت فنادق الحب تلك تدعنا نمكث أكثر من ليلة واحدة كلَّ مرة».

عثرتا على خزانتهما، واستعادتا الحقيبة التي تحتوي ممتلكاتهما المشتركة وانطلقتا إلى الجانب الغربي من المحطة. مرَّت بهما عدة فتيات في مثل عمريهما في الاتجاه المعاكس، وتفحَّصنهما بعيونهن في أثناء ذلك. لم تعرهن ناناكو أيَّ انتباه، وبدأت تغني مقطع الجوقة من أغنية سمعتها مع آوي تنساب من باب

المقهى المفتوح القريب من مكان الرقص.

كالعذراء، أوووه، أوووه...

في الفندق، تقلّبت آوي على بطنها فوق السرير المزدوج وفتحت دفترها. وبعد أن طرحت نفقات اليوم من ميزانية اليوم السابق تبقّى لهما مبلغ دون الـ 200 ألف ين للمرة الأولى:

«اللعنة. النقود تنفد منا جديّاً».

سألت ناناكو من مكانها على الأريكة، حيث كانت تشاهد عرضاً غنائياً في التلفاز: «كم تبقّى معنا؟».

«192 ألفاً و175 يناً».

التفتت من جديد نحو التلفاز وراحت تهمهم اللحن مع سايكو ماتسودا: «يبدو لي مبلغاً كبيراً».

قالت آوي، وهي تعتدل في جلستها: «في الواقع، هو ليس كبيراً جداً، إذا فكّرت فيه جيداً. نحن ننفق يومياً ما يعادل 10 آلاف ين، وهذا يعني أنّه لم يتبقّ لنا إلا تسعة عشر يوماً كهذا. وفي خلال أقلّ من شهر سنكون مفلستين تماماً».

كفّت ناناكو عن الهمهمة والتفتت لتنظر إلى آوي على السرير. تقابلت عيونهما، ولم تتحرّك أيٌّ منهما وبدا أنّ ناناكو تفكّر في شيء ما برهة.

قالت ناناكو بهدوء: «غداً سأحصل على بعض النقود».

مضت بضع لحظات وآوي تتساءل عما يجول في ذهن صديقتها. أخيراً سألتها: «ماذا تقصدين؟».

«أعني بأسهل طريقة. لم أخبرك، ولكنّني أعرف إلى أين أذهب. في ذلك اليوم حين افترقنا وكنت أبحث عن المحال التجارية التي تبحث عن موظفين، وجدت ذلك المكان الذي ترتاده الفتيات لكي ينتقيهن الشبان. وقد حاول

أحد الشبّان أن ينتقيني، أيضاً. الأمر ليس مربكاً، بالنسبة إليَّ، لذا إذا احتجنا إلى نقود –».

قاطعتها آوي: «ولكن ألست عذراء؟» قالت في نفسها حالما خرجت الكلمات من فيها، يا له من قول أحمق، وشعرت أنّها سخيفة جداً:

«اسمعي، الأمر أشبه بما قلت عن ذلك الهراء كلّه بشأن المدرسة. لا يمكنني أن أبدي اهتماماً بشيء لا أهميّة له. هناك فقط شيء أو شيئان لهما أهمية بالنسبة إليَّ، ولا شيء غيرهما يستحق قلقي عليه. لا يخيفني. لا يؤذيني».

كانت تقابل تحديق آوي وهي تقول هذا، بصوت هادئ تماماً.

أرادت آوي أن تقول، هذا هراء وأنت تعلمين هذا، لكنّها ظلت تحدّق في ناناكو، عاجزة عن فتح فمها. وأدركت أنّها في الواقع جادّة فيما قالت، سوف تفعلها، سوف تقف على ناصية الشارع من دون أن ينتابها أيُّ خوف أو شك وتنطلق مع أي رجل ممّن يختارها، وسوف تعود من دون أدنى شك وهي سليمة لم ينلها أذى، أيضاً. لأنَّ ما يمكن أن يؤذيها سوف يبتلعه ذلك الفراغ العميق والمظلم.

تساءلت آوي ولاتزال تحدّق في صديقتها، لماذا نفرت ناناكو في ذلك اليوم في إيميهاما من العودة إلى بيتها إلى تلك الدرجة. لقد تخيّلت أنَّ السبب هو أنَّ ناناكو لم تستطع احتمال التفكير في أن تنتقي من جديد، ولأنّها كرهت تلك الشقّة الشبيهة بالصدفة الفارغة التي تعيش فيها. وشعرت كأنّها تختنق لأنّه لم يلح لها أيُّ مستقبل في الأفق، أو أيّة خيارات. ولكن لم يسع آوي إلا أن تعتقد الآن أنَّ صديقتها لم تأبه حقاً بأيٍّ من تلك الأشياء. على أيّة حال، لماذا إذن توقّفت وراحت تصرخ وهي تبكي قائلة إنَّها لا تريد أن تعود إلى المنزل؟ ما الذي جعل من العودة إلى المنزل شيئاً يدعو إلى الغمّ بالنسبة إليها؟

سرت الرعشة في جسم آوي. لقد شعرت فجأة كأنّها واقفة على حافة

جرف والمنحدر عمودي نحو الأسفل. كان إحساسها بالواقع – بوعيها بمكان وجودها، في غرفة فندق – يفارقها بسرعة.

قالت: «كلا، يا ناناكو». بدا رنين صوتها كأنّه قادم من مكان بعيد. بقيت عينا ناناكو مثبّتتين عليها، لا تطرفان، وتابعت، تتكلّم بتأن شديد: «لديّ فكرة. نستطيع أن نحصل على النقود من زميلاتي في المدرسة، وإذا لم يكن في حوزتهن ما يكفي منها، نستطيع أن ندفعهن إلى الحصول على المزيد. أعرف أين يقمن». بدا أنّ صوتها لايزال يأتي من مكان بعيد جداً، وظلّ إحساسها بالواقع يتلاشى باطراد، وعلى الرغم من هذا، أو ربما بسببه، بدأ الخوف الذي تملّكها قبل لحظات ينحسر: «علينا فقط أن نحصل على سكين. إذا وجدناهن وحدهن نلوّح بالسكين في وجوههن، سيتولاهن الخوف، وسيرمين بالنقود بكل معنى الكلمة نحونا، خصوصاً عندما يشاهدن شعرك الأشقر، سوف يخرجن من جلودهن». حينئذ هدأت. كانت ناناكو تحدّق إليها، ولايزال تعبير وجهها جامداً. وسط ذلك التعبير الجامد كان الفم فاغراً. قالت آوي في نفسها وهي تواجه تحديقها، لا ريب في أن هكذا بدا أيضاً وجهها هي. أبقت عينيها مثبّتين على ناناكو وكأنّها تنظر في مرآة، ومن مكان بعيد جداً كانت أنغام فريق التشيكرز العذبة تتدفق من جهاز تلفاز.

كانتا على سطح بناء دوميل إيزوغو المؤلّف من أربعة طوابق تشرفان على المدينة. البناء الذي كانت آوي تقطن فيه. كانت الشمس قد بدأت تغوص خلف خط أفق المدينة، ملقية وهجاً برتقاليّ اللون على كلّ ما يقع عليه النظر. وهنا وهناك كان المشهد الجانبي الرمادي الطويل لناطحات السحاب التي تبرز من مشهد المدينة العام كخناجر تخترق السماء، وبينها برزت أيضاً مدخنة نحيلة، يكسوها السخام، لحمّام عام، تنفث دخاناً أبيض نحو السماء البرتقالية نفسها، وقبل أيام قليلة فقط، كان النسيم لايزال ملمسه على الجسم دافئاً، أما

الآن فأصبح يجلب معه البرودة. ولم يعد يكفي ارتداء قميص طويل الكمَّين لدرء البرد.

تساءلت ناناكو بصوت عال: «ماذا في اعتقادك تعني كلمة «دوميل»؟».

أجابت آوي: «لا أعلم»، وكانت تقول في سرِّها: «ما هذا السؤال في مثل هذا الوقت؟» ثمَّ أضافت، قبل أن تدرك أنَّ جوابها لا يقلُّ حمقاً عن السؤال: «ولكن أستطيع أن أخبرك ما تعنيه كلمة «أميغو»».

قالت ناناكو: «عمَّ تتحدَّثين؟ إنَّ كلمة «أميغو» لا صلة لها بكلمة «دوميل»». وانفجرت تضحك.

قبل بضع ساعات، قامتا بأول عملية ابتزاز. ضحيتهما كان يمكن أن تكون في الواقع أيَّ شخص، ولكن ما حدث هو أنَّ آوي لمحت كوميكو تعمل في أحد محال ماكدونالد على الجانب الغربي من المحطة قبل بضعة أيام.

كانت هي وكوميكو قد درستا في المدرسة الابتدائية معاً، وفي الصف الخامس والسادس كانتا في الصف نفسه، وكانت كوميكو قد أخبرت آوي أنَّ رائحتها كريهة، ورمت وجبة غدائها على الأرض، وضربتها على رأسها بممحاة السبورة، ورفعت تنورة آوي عالياً وضحكت كالمجنونة مع الشبان. وكانتا من جديد في الصف نفسه في الصف الثامن. كانت كوميكو الأكبر منها سناً قد تخلَّت عن تلك الحركات القديمة، لكنَّها أصبحت تبتعد عنها وتتجنَّب الحديث معها، بل إنَّها حتى تجنبت أن تتقابل عيونهما، لأنَّها كما بدا لم ترد أن تعترف بوجود آوي بأيِّ صورة من الصور، ولكن هذا لم يعن أنَّ كوميكو كانت خسيسة معها. فبنات صف آوي كلهن عاملنها بصورة أو بأخرى بالطريقة نفسها، لذلك لم تحمل أية ضغينة معيَّنة ضد كوميكو بوجه خاص. وكانت مستعدة أن تنتظر بالطريقة نفسها شيتوس هارا أو هيديمي ماتسوكاوا لو أنَّها شاهدت إحداهما تعمل في محل ماكدونالد.

بعد أن اشترنا مطواة من مخزن كيتسوكوشي الشامل، انتظرنا عند الباب الخلفي لمحل ماكدونالد خروج كوميكو. فظهرت مرة وهي لاتزال بزيّها الرسمي لكي ترمي بعض القمامة، وراقبت آوي وناناكو من منعطف زاوية المبنى.

بعد رأس الساعة ببضع دقائق، خرجت من جديد مع عاملة أخرى. فلاحقتهما ناناكو وآوي عن بعد، وحرصتا على ألا تلاحظاهما في انتظار أن تتفرّقا، وعندما وصلتا إلى الحافلة على الجانب الغربي من المحطة، لوّحت لها رفيقتها مودّعة وذهبت في طريقها، وتابعت كوميكو طريقها فهبطت الدرج المؤدي إلى المخزن التجاري تحت الأرض. رمت آوي ناناكو بنظرة وتحرّكتا. لحقتا بكوميكو عند أسفل الدرج، وقبضتا عليها من ذراعيها من كلا الجانبين وجرّتاها إلى منطقة الخدمة خلف مطلع الدرج. طلبت ناناكو منها: «هاتي نقودك». فتحت كوميكو كيس نقودها على عجل وأخرجت منها المحفظة، ووفرت على آوي الحاجة إلى التلويح بسكينها الذي دسّته في جيب بنطلونها الجينز. أخرجت منها، بأصابع مرتجفة، بضع أوراق مالية ووضعتها في يد ناناكو تحت نظر آوي. بضعة آلاف ين. قالت ناناكو: «هاتي المزيد»، فأجابت رفيقة آوي السابقة بصوت رفيع لا يكاد يسمع. «آسفة، هذا كل ما بحوزتي»، وتوتّر وجهها بتعبير الخوف وتحوّلت عيناها. كان وزنها قد ازداد منذ مرحلة الأحداث العليا؛ وثُقبت أذناها؛ وظهرت البثور على وجنتيها وذقنها. أدخلت ناناكو النقود في جيبها وحرّرت ذراع كوميكو من قبضتها. ترنّحت كوميكو وتراجعت إلى داخل المخزن ثم فرّت هاربة.

في خلال جزء من الثانية وقبل أن تستدير وترحل، نظرت كوميكو مباشرة إلى وجه آوي، لكنّها لم تبد أي دلالة على أنّها تعرّفت إليها. راقبتها آوي بنظرة جوفاء وهي تختفي داخل الجمع العابر. لم يبد لها أي مما حدث حقيقياً. وبفضل

هذا، لم تشعر بأيِّ خوف، أو أيِّ توتر، وظلّت تسمع رنيناً في أذنيها حتى أنّها تمنّت لو تبتعد.

لم تفرح آوي لجمع 7000 ين؛ بل شعرت، ويا للغرابة، بألم يتزايد في أعماق معدتها. شعرت كأنّها أجبرت على ابتلاع شيء مرّ وصعب الهضم، ولم تشعر بأيِّ تعثُّر في خطوة ناناكو وهما تتابعان طريقهما في المتجر التحت–أرضي.
قالت ناناكو بصوت ناعم لدى اقترابهما من مدخل المحطة: «أتعلمين، يا أوكينز؟ أحبُّ أن أرى أين كنت تقيمين». وهكذا وصلتا إلى دوميل إيزوغو.

قالت آوي، وهي تقبض على الحاجز المحيط بسطح المبنى بيديها: «كوميكو لم تتعرّف إليّ». شعرت ببرودة السطح الإسمنتي تحت منطقة المقعد من سروالها الداخلي.

بيّنت ناناكو السبب: «قد يكون للشعر البني والمساحيق صلة بذلك».

امتدت غيوم بتدرجات مختلفة من اللون الوردي ببطء عبر السماء. كانت هناك لافتة من النيون الأحمر والأبيض تعلن «*إذا أردت ساكي*[1]، *عليك بأوزاكي*» تومض بلا توقُّف على البعد.

كان هناك ساكن جديد في شقّة الطابق الثالث حيث كانت آوي تقيم ذات يوم، وفي خلال الفترة الأولى لوصولهما إلى قلب مدينة يوكوهاما، لم تشعر أوي بأيِّ عاطفة خاصة عندما ترجّلتا من القطار في محطة إيزوغو، ولا عندما وصلتا إلى شارع المحال التجارية الصاخب الذي كانت تتمشى فيه جيئة وذهاباً في كلِّ يوم، ولا عندما وصلتا إلى المبنى السكني الذي يحتوي منزلها منذ أن كانت في الروضة. لم تشعر بالحنين ولا بالامتعاض. كان الأمر أشبه بالاقتراب من بناء لم تره من قبل في مدينة لم تزرها أبداً.

سألت ناناكو، وهي تخرج علبة صغيرة من السكاكر من جيب بنطلون

(1) ساكي: شراب كحولي ياباني، يصنع من الأرز المخمّر ويقدّم حاراً عادة. – المترجم.

الجينز: «أتحبين السكاكر؟» خرجت الأوراق النقدية التي كانت قد أدخلتها في الجيب نفسه وبدأت هبَّة قوية من الريح تحملها بعيداً. وثبت آوي واقفة على قدميها وراحت تلاحقها. عندما التقطت النقود، شعرت بوخز عميق من الإحساس بالذنب يخترقها، لا يشبه أيَّ إحساس انتابها من قبل. دسَّت، وهي تشيح بوجهها، مجموعة الأوراق المالية في جيبها هي وجلست على الإسفلت حيث كانت من قبل.

قالت: «كنت أفكِّر في أن أسألك عن شيء».

«أحقاً؟ وما هو؟».

سألت، وهي تراقِب السماء البرتقالية تتحوَّل ببطء إلى اللون النيلي: «كيف أصبح اسمك «طفلة السمك»؟ لم أسمع قط بكلمة في لغة الكانجي لمعنى «سمك» وتقرأ «*نانا*»». رمت بقطعة من السكر إلى فمها.

«إنه مستمد من معنى النسج. أنت تعلمين أنَّ مدينتنا مشهورة بالمنسوجات، أليس كذلك؟ ويبدو أنَّ هناك ذلك النسيج الغالي حقاً ويسمونه «نسيج ناناكو» ويكتبونه هكذا. جدَّتي هي التي اختارت الاسم لي».

«ألك جدَّة؟».

«لم تعد موجودة. لقد توفيت عندما كنت في المرحلة الابتدائية». أخذت ناناكو تزيل بعناية الورقة التي تغلِّف قطعة السكر ووضعتها على لسانها: «صدِّقي أو لا تصدِّقي، كنا خمسة في تلك الشقَّة الصغيرة نفسها. ثم أصيبت جدَّتي بالسرطان واضطرت إلى اللجوء إلى المستشفى، لكنَّ الأمر الغريب أنَّه لم يشعر أحد بأدنى حزن لأجلها، وطفقوا بكل سعادة يقتسمون المكان. حصلت أختي الصغيرة على الغرفة اليسرى، وتقاسمت أنا وأمي الغرفة اليمنى، وحصل أبي على فسحة في المطبخ. كان تصرُّفا أحمق. وأخذوا يرمون حوائج جدَّتي يميناً ويساراً – دولاب أدراجها، ونبيذ الخوخ والمخلَّل الذي كانت تحبُّ أن

تصنعه، وأشياء أخرى كثيرة».

أخذت أضواء الرواق تخفق في المجمّع السكني بشكل منحرف نحو جهة واحدة. وتردَّد صدى نفير بوق سيارة عبر الغروب. كانت قطعة السكر في فم آوي تتضاءل بسرعة وهي تمضغها.

تابعت ناناكو: «ولكن لا يحقُّ لي أن أنتقد. لقد كانت صحة جدَّتي تتدهور بسرعة، ولم أكن أقوى على رؤيتها، في الواقع، لذلك لم أذهب لزيارتها أبداً في المستشفى، وذات يوم أخبروني أنَّها ماتت، وهبط عليَّ شعور بالارتياح الهائل. وقلت في نفسي، اللعنة، أيَّة حمقاء قاسية القلب أنا؟ أنا باردة جداً وخسيسة، لابد أنَّني لا أحمل أي قلب على الإطلاق.

كانت ناناكو تمضغ قطعة السكر وهي تتكلَّم، ثم سكتت ونظرت بتركيز إلى آوي الجالسة إلى جوارها.

قالت: «أخبريني بصدق، هل تريدين أن تعودي إلى المنزل؟ هل تعبت؟ أم لعلَّك ربما تتمنَّين العودة إلى المنزل؟».

بادلتها آوي التحديق. لاحظت للمرة الأولى كم أصبح الظلام حالكاً. وعمّ وجه ناناكو الغموض في الجو الكئيب.

قالت: «كلا، لا أتمنّى العودة إلى المنزل».

عندما غادرتا إيزو، كانت قد اقتنعت بأنَّه ينتظرهما مستقبل عظيم، على المدى البعيد. كانت موقنة من أنَّ الأمور ستنتهي إلى مستقرها المناسب، وأنَّها مع ناناكو يمكنهما أن تبلغا ذلك المستقبل معاً. في الحقيقة، لاتزال تؤمن بهذا. ليتهما فقط تعثران على عمل، وسوف يبدأ دولاب الحظِّ بالدوران لصالحهما. ولكن منذ وصولهما إلى يوكوهاما، بدأت تتساءل إن كان له وجود أصلاً، أينما ذهبتا. وكما أنَّ الحياة الطيبة التي تتذكَّر أمُّها أنَّها عاشتها في يوكوهاما لا وجود لها، ربما المكان الذي يمكن أن يجمعهما هي وناناكو، والمستقبل الزاهر

حيث ستسير الأمور على هواهما، لا وجود له في أيّ مكان أيضاً.

كرّرت القول: «لا أتمنّى العودة إلى المنزل، لكنّني حتماً أشعر بالتعب». وحالما نطقت الكلمات، بدا أنّ ضجرها يتزايد، وأخذت تحصي في ذهنها الأشياء التي عليهما أن تفعلاها: الحصول على ما يؤكل بالمبلغ الذي في حوزتهما، العثور على فندق حب آخر يمكنهما أن يقضيا فيه الليل، الاستلقاء على السرير وإدخال نفقات اليوم إلى دفتر حساباتها. والتفكير في كيفية كسب بعض المال، ومتابعة ملاحقة ذلك الحلم المتملّص، وأصابها الدوار من طول التفكير في هذا كلّه. شعرت بأنّها مرهقة إلى أقصى حد، حتى لم تعد قادرة إلى الآن على الوقوف على قدميها.

وفجأة تمثّلت في ذهنها صورة. على طريق ريفية تمتد مباشرة داخل المدى يهرع عدد من تلميذات المدارس، يلتفتن ليلوّحن بأيديهن، ثم يتابعن الركض وتتطاير أطراف تنانيرهن حول ركبهن. شعرت كأنهّ مشهد سبق لها أن شاهدته قبل وقت طويل، طويل، في أعماق الماضي.

قالت ناناكو بهدوء: «أنا أيضاً متعبة».

التفتت آوي لتنظر عبر امتداد المدينة من جديد. لقد حلّ الظلام. آلاف الأضواء الكبيرة منها والصغيرة تنقّط الظلام العميق، النيلي، الذي يلفّ المدينة. وبينما تحدّق إلى سماء الليل الممتدة أمامها، تذكّرت الأضواء البرّاقة التي بهرت عينيها في قلب يوكوهاما. ارتعشت أضواء النيون التي لا تهدأ في وجه ظلام لا حدود له. والآن، كما في الأمس، شعرت كأنّها تحدّق ليس عبر مدينة باهرة، بل إلى لجّ مترام وشاسع حتى أنّها لا ترى حدوده.

قالت ناناكو، وكلماتها غير واضحة كأنّ أحداً يحاول يائساً أن يبقى يقظاً: «أتدرين، يا أوكينز؟».

سألت آوي بدورها، معتقدة أنّها ربما تتكلّم بالطريقة نفسها: «ماذا؟».

«يبدو دائماً أننا نسير، ولكنّنا لا نصل إلى أيّة غاية».

كان هذا بالضبط ما تفكّر آوي فيه من دون أن تتمكّن من صياغته في كلمات.

أومأت آوي إيجاباً: «نعم، أتمنّى لو نتمكّن من الذهاب إلى مكان ما أبعد قليلاً».

كرّرت ناناكو بنبرة صوت رتيبة ومملة: «إلى مكان أبعد كثيراً». ثمّ شدّت قبضتها على السياج بكلتيّ يديها ومالت لتضع وجهها عليه، وقالت: «ربما علينا أن نتماسك بالأيدي ونقفز، بعد أن أعدّ حتى ثلاثة».

قالت آوي في نفسها، قبل أن تستوعب مضمون كلمات ناناكو: «عندئذ قد نصل أخيراً إلى مكان ما». إلى مكان لا تشعران فيه بمثل هذا التعب. إلى مكان لا تضطران فيه إلى العثور على فندق آخر تمضيان فيه سحابة الليل، أو تقلقان حول كيفية الحصول على النقود التي تحتاجان إليها. إلى مكان تسير فيه الأمور بالضبط كما تريدان.

بقيت آوي تشعر، ببراءة الطفولة، كأنّ في مقدورها أن تفعل أيّ شيء في المطلق وهي مع ناناكو.

«إذا... أردت... ساكي... عليك... بـ... أوزاكي». ظلّت الكلمات تضيء بشكل متسلسل على لافتة النيون الضخمة. حدّقت آوي إلى الكلمات إلى أن أغشت بصرها ولم تعد تميّز ما تقول، وبعد قليل أدركت أنّ الرنين الملحّ في أذنيها قد تلاشى أخيراً.

-9-

«اهمدي، أكاري! يكفي!».

أجفلت سايوكو من قوة صوتها الخاص. قبل فترة قصيرة كانت تكفي نظرة واحدة صارمة منها لأكاري لكي تنفجر في البكاء، أما الآن فلا تنزعج مهما خاطبتها أمُّها بحدَّة، وليس هذا فقط، بل إنَّها تردُّ عليها بصوت عال، مصمِّمة على أن تجري الأمور على هواها.

«لكنّني أريد أن ألعب! أريد أن ألعب!».

«إذا توقَّفت عن العمل لألعب معك، فلن أتمكَّن من إعداد عشاءك».

«لست جائعة».

كانت سايوكو لاتزال تشعر بالفخر في كل مرة تدرك أنَّ ابنتها تجري حواراً حقيقياً معها. ولكن حالما سمعت الإبريق يغلي على الموقد، أصبح الحوار مصدر سخط لها.

وهتفت، وهي تهرع إلى المطبخ لكي تطفئ النار من تحته: «ماذا أفعل بك؟» وحاولت أن تعود لكي تصنع كرات اللحم التي كانت منهمكة فيها عندما قوطعت، لكنَّ أكاري أتت من خلفها وهي تصدر صوتاً رفيعاً وتقهقه، وتجرها من ساقها وترفع نفسها نحو الأعلى.

ناشدتها: «فوق! فوق!».

«ألا تذكرين يا حبيبتي؟ أنت أردت كرات لحم».

«لا أريد كرات لحم!».

«لن يستغرق الأمر أكثر من دقيقة، لذا أرجوك اذهبي وشاهدي التلفاز إلى أن أنتهي، أوكيه؟»

«لا أريد أن أشاهد التلفاز!».

صعدت الطفلة فوق حافة النضد واقتربت بدرجة خطيرة من لوح التقطيع، الذي تستقر عليه سكين مطبخ كبيرة. أسرعت سايوكو بإبعاد اللوح عنها، ولكن في أثناء هذه العملية سقط وعاء اللحم المفروم المجاور إلى الأرض. أطلقت أكاري صرخة. نظرت سايوكو إلى الأسفل، إلى مزيج كرات اللحم المنتثر على الأرضية المشمَّعة، شاعرة أنّها سئمت تماماً صنع اللحم وغسل الأطباق وكلَّ شيء آخر:

«إكراما لله، يا أكاري، لقد نفد صبري معك!».

قبضت على ابنتها من ذراعيها وبين حملها وجرّها أخرجتها من المطبخ عندما دخل شوجي:

«ألا تعتقدين أنّك يجب أن تهدئي قليلاً؟».

أسقط حقيبته والمجلة على الطاولة ونظر إلى زوجته وكأنّه يكاد لا يصدِّق ما يرى.

«أنت لا تفهم، يا عزيزي. لقد كانت تقبض على الأشياء، وكان يمكن أن تؤذي نفسها، وكان يجب أن أخرجها من المطبخ».

رمت أكاري برأسها إلى الخلف وانفجرت تبكي، مادة ذراعيها نحو والدها، وبدلا من أن يرفعها ليواسيها، اكتفى بفك ربطة عنقه وأدار مفتاح التلفاز.

قال: «تبدو أمّك غاضبة جداً».

عادت سايوكو إلى المطبخ وجلست القرفصاء على الأرض لكي تزيل

الفوضى، وبعد أن قدَّرت الوضع، قرَّرت ببساطة أن تقدِّم كرات اللحم التي أعدَّتها لأكاري وشوجي واستعاضت عنها لنفسها بالأرز، وحساء البقول، والمخلَّل. تنهَّدت.

قالت: «إنَّني لم أصل إلى المنزل حتى قرابة الساعة السابعة، وسأحكي لك ما حصل. أرادت أكاري أن تأكل كرات اللحم، وأصرَّت على ألا تأكل أيَّ شيء آخر، ولما كان مزيج لحم البقر والخنزير قد نفد من السوبر ماركت، اضطررت إلى قطع المسافة حتى دكان اللحام على الجانب الآخر من المحطة. ثمَّ ما إن وصلت إلى المنزل وباشرت في إعداد وجبة العشاء، حتى اتصلت أمُّك ولم تتركني إلا بعد ما يقارب الساعة، أرادت أن تعرف متى سننجب طفلاً آخر، وانهالت عليَّ بوجوب تركي العمل والالتفات إلى أمور أكثر أهمية، وأخيراً عدت إلى المطبخ قبل قليل، لكنَّ أكاري ترفض الآن أن تدعني أطبخ».

تابعت الكلام بينها وبين نفسها: «***وهذا ليس كلَّ شيء. إنَّني أكاد أقع صريعة من شدَّة الجوع. لقد عملت طوال الوقت من دون تناول الغداء، ومن ثمَّ كان لابد من أن أقطع المسافة كلَّها إلى المحطة ركضاً، وأكافح زحام ساعة الذروة على متن القطار، وقدت الدراجة كالمجنونة لكي أحضر أكاري في الوقت المحدَّد، وهكذا لم أتناول لقمة واحدة طوال النهار***».

فجأة انتبهت إلى أنَّ غرفة الجلوس يسودها هدوء غريب، فرفعت بصرها. كان جهاز التلفاز مفتوحاً، لكنَّ شوجي غير موجود، وأكاري التي كفَّت عن البكاء جالسة مفتونة بإعلان ميكي ماوس التجاري.

صاحت، بصوت عال يسمعه شوجي وهو في غرفة النوم حيث افترضت أنَّه ذهب ليبدِّل ملابسه: «سيكون العشاء جاهزاً في غضون خمس عشرة دقيقة».

عندئذ فقط عاد زوجها إلى الظهور مرتديا قميصاً رياضيا. قال: «لقد

تناولت الطعام اليوم». دخل المطبخ وتجاوز سايوكو ليصل إلى البرّاد.

قالت سايوكو بحدَّة، على شفا نوبة هيستريا: «لماذا لم تتصل عندما قرّرت أن تأكل في الخارج؟ ما نفع هاتفك الجوّال إذا لم تستعمله؟».

تناول شوجي عبوة من البيرة، وألقى نظرة سريعة عليها لكنّه أمسك لسانه وعاد إلى غرفة الجلوس. تراخى على الأريكة وفتح صحيفة المساء.

بدأت سايوكو تسقط كرات اللحم في مقلاة مملوءة بصلصة البندورة التي تغلي. قالت، وهي تبذل أقصى جهدها للتحكّم في صوتها: «حبيبي، إذا كنت لا تفعل شيئاً، هلا أعددت لأكاري حمّاماً سريعاً؟».

نهض شوجي واقفاً على قدميه ورفع أكاري بين ذراعيه. قال: «انتبهي، يا كيدو، أعتقد أنّنا يجب أن نبتعد عن أنظار الماما هذه الليلة. هيا بنا نأخذ حمّاماً»، وخرج من الباب. علقت فرقعة لسانه المنخفضة التي لا تخطئها وسمعتها سايوكو عندما نهض واقفاً بأذنيها كصمغ من إصبع غراء لزج.

قال شوجي، عندما عادت سايوكو إلى غرفة نومهما بعد وضع أكاري في السرير: «في الواقع، إذا كان العبء ثقيلاً على كاهلك، يمكنك أن تتوقفي عن العمل وقتما تشائين».

نظرت إلى شوجي، من مجلسها أمام طاولة الزينة، عبر المرآة. إنّه جالس على السرير يقلّب صفحات مجلة:

«إذا كان العبء ثقيلاً عليّ؟ أترك ماذا؟».

أجاب بسرعة: «عمل مدبرات المنزل هذا. يبدو أنَّ الأمور خرجت عن نطاق السيطرة قليلاً في المنزل. أنت متوتّرة في كثير من الأحيان، وأحياناً أرى أنّك تقسين كثيراً على أكاري. لا أعتقد أنَّ عملك شيء سيئ، ولكن لا معنى له إذا كان يشكل عبئاً ثقيلاً عليك».

«إنّه ليس كذلك».

«تلك المرأة التي قابلتها في ذلك اليوم، تمتلك مصنعاً، أليس كذلك؟ إنّ مجيئها إلى هنا في عطلة نهاية الأسبوع فيه شيء من الجرأة. يعتقد المرء أنّه ينبغي أن تتصف بقدر أكبر من مراعاة الآخرين. أراهن على أنّها أحد أصحاب العمل الذين يثقلون عليك بالعمل إذا فتحت لهم المجال. إذا أردت رأيي، لا أعتقد أنّها مناسبة لك».

باشرت سايوكو بالقول: «الأمر ليس...»، لكنّها أطبقت فمها. لم تتمكّن من إخباره أنّها هي التي طلبت من آوي أن تأتي لكي تتملّص من الذهاب لزيارة أمّه.

«ألا يقولون إنّ تطوُّر الشخصية يعتمد كثيراً على مقدار الوقت الذي تقضيه مع أمّك قبل سنّ الثالثة؟ أعني، لقد بلغت أكاري الثالثة هذا العام، وحتى الآن أمضت معظم وقتها في المنزل معي، لذلك لعلّها ليست فكرة جيدة أن ترميها خارج العش هكذا فجأة. لم لا ننتظر أن تعودي إلى العمل إلى أن تصبح أكبر قليلاً؟ لا ضير في تنظيف منازل الناس، ولكن يبدو غير منتج إذا كان يعني أنّ عليك أن تهملي أشياء أكثر أهمية في المنزل».

فتحت سايوكو فمها لكي تجيب، لكنّ الردود التي ودّت أن تقدّمها تراكمت بسرعة إلى درجة جعلت رأسها يصاب بدوار. ولما لم تعرف من أين تبدأ، أجابت ببساطة: «إنّك تفكّر مثل أمّك».

«أمي تلازم المنزل دائماً، لذا من الطبيعي أن تعتقد أنّ هذا أفضل».

«هل تعي حتى أنّ أكاري قد تغيّرت؟ هل كنت تنتبه؟ لقد تعلّمت أن تعقد صداقات، وأصبحت تتكلّم أكثر بكثير مما كانت تفعل».

أضافت قائلة لنفسها، وقد انزعجت من مدى تبلّده: «*وهذا ينطبق عليّ، أيضاً – وليس فقط على أكاري. لماذا لا تفهم؟*»

قال: «لا أقول إنّ عليك ألا تعملي؟ في الحقيقة، إذا كنت تذكرين، لقد

بقيت ألحُّ عليك مدة طويلة في الواقع لكي تعملي، قبل أن تولد أكاري. لكنَّك فضَّلت أن تمكثي في المنزل، والآن فجأة، تقررين أن تعودي إلى العمل، وتبدأ الأمور تختل بالنسبة إليَّ وإلى أكاري، وحتى بالنسبة إليك. هذا كل ما أقول. ثمَّ، إنَّ عملك الحالي لا يشبه عملك الآخر، حيث كنت تتنكبين مسؤولية حقيقية وتقيمين مشاريع وحدك. أعني، لن يتوقَّف أيُّ شيء مادمت موجودة، أليس كذلك؟ لهذا أعتقد فقط أنَّه ربما عليك أن تتركي هذا العمل، خذي فترة استراحة، ومن ثمَّ عندما تعودين في نهاية المطاف إلى السوق، أعط نفسك كل ما تحتاجين إليه من وقت لكي تجدي شيئاً يستحق العناء أكثر، كالعمل الذي تولَّيته من قبل».

توقَّفت سايوكو عن وضع الكريم على وجهها واستدارت لتنظر إليه: «يستحق العناء أكثر؟».

كانت تحاول جاهدة أن تبقي صوتها بعيداً عن الارتعاش حتى أنَّ الكلمات خرجت منها همساً حلقياً.

من الواضح أنَّ شوجي لم يسمع: «فقط فكِّري في الأمر، أوكيه؟»، ورمى المجلة على الأرض وأغمض عينيه.

جلست سايوكو تدلِّك الكريم بسرعة على بشرتها، وحدَّقت إلى نفسها في المرآة برهة، ثم التفتت لترفع المجلة التي رماها على الأرض وانطلقت على طول الرواق، بدلاً من أن تأخذ المجلة مباشرة إلى المنصب في غرفة الجلوس كما كانت تنوي، وضعتها على الطاولة وولجت المطبخ وصبَّت لنفسها كوباً من الشاي المثلَّج.

عادت من حيث جاءت وجلست في عتمة طاولة الطعام، التي لا يضيئها إلا النور المتسرِّب من المطبخ، وبعد قليل مدت يدها لتقرِّب المجلة منها وتبدأ بتصفُّحها بحركة آليَّة صفحة صفحة من دون أن تنظر بوعي إلى أيٍّ منها.

وسرعان ما بدأت عيناها تتغرغر بالدمع، وتغشى الكلمات والصور التي تمرُّ أمامهما بسرعة. سقطت دمعة من عينها اليمنى، فأسرعت بمسحها. قالت في نفسها، هذه حماقة. لا شيء يستحق البكاء.

تذكَّرت بوضوح أنَّها أخبرت شوجي أنَّ حكاية الزوجات العجائز التي كرَّرها من دون نقاش حول الأطفال دون الثالثة من العمر لم تعد سارية المفعول اليوم، وأنَّه لا أساس علمياً لها على الإطلاق. وكانت قد حدَّثته أكثر من مرة عن مدى كونهم محظوظين لأنَّهم حصلوا على مكان لأكاري في مدرسة للحضانة في مثل ذلك الوقت من العام، وأيضاً عن فلسفة المدرسة التعليمية وجو الصف الدراسي. وبدا دائماً أنَّ موقفه هو أنَّ تلك ليست مشكلته، وبما أنَّه صحيح أنَّ كلَّ شيء نشأ من قرار سايوكو بالعودة إلى العمل، وطَّنت نفسها على أنَّ هذا هو واقع الأمر.

تابعت ببطء تقليب صفحات المجلة التي لم تكن تهتم بقراءتها.

عندما عثرت على عملها، أخذت سايوكو عهداً على نفسها أشياء عديدة لكي لا تواجه أية مشاكل. فمهما انشغلت، سوف ترعى شؤون منزلها. ولن تضع طعاماً جاهزاً من مخزن المعلبات على مائدة الطعام. وتدع الأطباق الوسخة تتراكم في المغسلة. ولن ترسل الملابس التي تحتاج إلى كيٍّ إلى محل التنظيف. بالنسبة إليها، حافظت على هذه العهود. لكنَّها بدأت تتساءل ماذا كسبت منها. منزلا مرتَّباً، ووجبات أعدَّت في البيت بصورة كاملة، وأدراجاً ممتلئة بالملابس المكوية بأناقة تمثِّل ما يسلِّم به شوجي بداهة – نقطة الصفر. كان يكفي أن تدع شيئاً واحداً يخفق، مهما كان ضئيلاً، حتى تصبح في الحال في منطقة سلبيَّة. ومهما أسرعت في وتيرة عملها، ومهما أولت عائلتها من انتباه محب، فلن تضيف أشياء، بل فقط تضاعفها، ومهما ضاعفت الصفر، فلن تحصل مع ذلك إلا على الصفر؛ لن تحصل أبداً على رقم موجب.

انتقلت سايوكو إلى صفحة أخرى وتوقفت. رفعت المجلة قليلاً لكي تحصل على مزيد من الضوء الآتي من المطبخ ومالت نحوها لتلقي نظرة أقرب. بدت لها الصورة مألوفة. كان التعليق يقول بحروف كبيرة مزخرفة على امتداد صفحتين «اجعل العام الجديد في فردوس استوائي». وعلى طول حافة الصفحة اليمنى كان وصف لفنادق غاردن غروب، وفي أسفلها تعليق يقول «لمزيد من المعلومات، اتَّصل بشركة بلاتينوم بلانت». وأدركت أنَّها صورة سبق أن شاهدتها في المكتب- لقطة رائعة من تحت البحر لأسماك مرجانية واستوائية في مياه زرقاء بلون التوركواز تحبس الأنفاس. وفي غرفة الجلوس المظلمة، تابعت سايوكو التحديق إلى الصورة وكأنَّ ذلك يسمح لها باختراق الصفحة إلى البحر المذهل وراءها.

أشرف شهر آب على الانتهاء، وانتهت فترة التدرُّب مع نوريكو ناكازاتو. حتى النهاية المريرة، فقد استمرت نوريكو في إزعاجها بشأن خروجها من تحت جناح مرشدتها؛ لكنَّ جزءاً آخر منها تنفَّس الصعداء. وفي اليوم الختامي، اصطحبتها نوريكو إلى مركز كبير للأدوات المنزلية، وهناك استعرضتا أدوات تحتاج إليها لمهام مختلفة للتنظيف، بدءاً بالدلاء مروراً بقطع الكشط وعيدان الأكل وانتهاء بمعاول تكسير الجليد وغيرها، واشترت سايوكو الأدوات كلَّها التي أوصت بها. وكانت هناك اتفاقية معدَّة من أجل نوريكو لكي تزوِّد شركة بلاتينوم بلانت بعاملات تنظيف والمكانس الكهربائية بالجملة. وكل ما بقي كان انتظار صدور أوامر البدء بالعمل.

كانت أمامها ثلاثة مراكز أعمال لتنتقي من بينها، من أناس لهم صلات بصورة أو بأخرى مع شركة بلاتينوم بلانت. الأول كان شقَّة في وسط البلد حيث رغبت اثنتان من العجائز في تنظيف حمامهما ومرحاضهما، وأيضاً غرفة مكتب كانت تتحول إلى مخزن. والثاني كان شقَّة من غرفة واحدة

استخدمت غرفة مكتب خاص. والأخير كان مرحاضاً ومغسلة في حانة لا تبعد أكثر من مسير خمس دقائق من مركز شركة بلاتينوم بلانت. ولم يكن أي من هذه الأعمال من المهام الكبيرة، لذا قامت سايوكو بتنفيذها بنفسها. ربما لأنَّ الزبائن كانوا من معارفها، ولم تتلق أيّة شكاوى، لكنّها أيضاً لم تتلق أيَّ ثناء مقابل عمل تمَّ تنفيذه جيداً.

كانت آوي وباقي فريق عملها يسوّقون الخدمة الجديدة على شبكة الإنترنت وعبر البريد المباشر منذ بعض الوقت في شهر آب، ولكن لم ترد أيّة طلبات أخرى مع إتمام تلك الأعمال الثلاثة الأولى. لذلك بدأت سايوكو تقضي أيام عملها الثلاثة في الأسبوع في توزيع منشورات الإعلانات. بل إنَّها، نظراً إلى مدى لطف آوي في رسالة الاستخدام وفي جدول مدرسة الحضانة، قامت في أيام أخرى لدى مرورها بشقق ومجمعات سكنية في طريقها لإحضار أكاري من المدرسة، بملء صناديق البريد.

في هذا اليوم بالذات، كانت سايوكو تركِّز بشكل أساسي على سيتاغايا وارد. راحت تتجوَّل في شبكة شوارع حي سكني، والخريطة في يدها، بحثاً عن مجمَّعات سكنية وأبنية شقق. وكلَّما وصلت إلى إحداها، تتوجَّه مباشرة إلى مجموعة صناديق البريد عند المدخل وتقحم نسخة من منشورها في كلِّ شقة. كان اليوم الأول من أيلول شديد الحرارة، وبعد عدَّة ساعات من التجوال، شعرت بدوار في رأسها. وبينما تشقُّ طريقها في خليط متراصٍّ من أبنية مخصَّصة لعائلة أو لعدد من العائلات على الجانبين، بدا الزقاق المزدحم أمامها كأنَّه يتمايل إلى الأمام والخلف تحت الشمس الحارقة.

ماذا سيجلب الغد معه؟ لاح المستقبل أمام عيني سايوكو شارعاً تحت حرِّ الظهيرة. كانت توزِّع تلك المنشورات لتجلب المزيد من العمل، ولكن كانت هناك حدود لما في استطاعتها أن تنجزه وحدها. لقد أوضح شوجي بصورة لا

لبس فيها أنّه لن يقدّم لها أي عون أساسي أو تشجيع كمدبرة منزل. وإذا بدأت الأعمال تتوافد وتدور، تستطيع أن تعتمد على ميساو وماو للتدخُّل، وإذا لم يكن هذا كلُّه كافياً فسوف تكون آوي مستعدة ولا ريب لتوظيف واحدة أخرى، ولكن هل ستتمكّن سايوكو أبداً من وضع المزيد من الطاقة في العمل أكثر مما تفعل الآن؟

انعطفت عند زاوية الشارع. كانت المنازل التي بدت وكأنّها قدّت من القالب نفسه تبدو كأنّها صور منعكسة في مرآة على جانبيّ الشارع. بدت كأنّها تمتد إلى ما لا نهاية، تخفق في الحر.

عندما عادت سايوكو وهي تترنَّح إلى المكتب شاعرة برغبة في الانهيار، وجدت هيئة الموظفين وتاكيشي كيهارا مجتمعين كلهم حول مائدة العشاء مع آوي. لم تسمع شيئاً من المزاح المعتاد والضحك، لذا اعتقدت أنّه اجتماع جادٌّ من نوع ما.

لم يلق أيٌّ منهم أي نظرة على سايوكو لدى دخولها عليهم؛ كانت عيونهم كلُّها مثبّتة على يوكي ياماغوتشي، التي كانت تقرأ من وثيقة تمسكها بيدها. مشت سايوكو على رؤوس أصابع قدميها، محاولة ألا تثير أيَّ ضجيج، واجتازت الجمع إلى طاولة مكتب ماو في غرفة الهيئة ثم انهارت على الكرسي. وضعت حقيبتها على الأرض، وأخرجت زجاجة من شاي التنين الأسود[1] المثلّج كانت قد اشترته من أجل الغداء وتناولت جرعتين كبيرتين وفاترتين منه.

«ماذا حصل لتلك الترقية السياحية التي دار الحديث عنها من قبل؟».

«أخفقت في الأساس».

«يجب أن تفهمي أنَّ هذا كان سيصبح مغامرة تستمر عشرة أعوام أو

(1) شاي التنين الأسود: شاي مخمّر جزئياً قبل تجفيفه، ويجمع خصائص الشاي الأسود والشاي الأخضر معاً. — المترجم

عشرين. لا تستطيعين أن ترتبطي بشخص حتى لا تعرفينه من أجل هذا النوع من الالتزام من دون بعض الحوافز القوية؟».

«إننا في وضع حرج وتماحك حول الحوافز؟».

«انتظري لحظة. لا أحد قال إننا في وضع حرج».

ركّزت سايوكو انتباهها على التقرير اليومي، ولم تصغ إلا جزئياً إلى الكلام يتردد جيئة وذهاباً عبر مائدة العشاء. ولكن فجأة جذب نظرها شيء على طاولة مكتب ماو. كان مصنوعاً من قماش أسود ومطوياً بأناقة. مدت يدها لتفتحه واكتشفت أنّه مئزر، طرّزت على جزئه الأعلى «خدمة بلاتينوم للتنظيف»، بحروف بيضاء، وشعار الشركة الشبيه بزحل مطبوع تحتها.

تساءلت، لم لم أعرف بهذا. عاودها إحساس الدوار الذي كان قد انتابها تحت شمس الظهيرة. سمعت صوت شوجي يتردّد في أذنها وكأنّه يقف فوق كتفها مباشرة، لن يتوقف العمل إذا تغيّبت، أليس كذلك؟ فرفعت بصرها إلى أعلى بحركة غريزية:

«ما رأيك، أيّتها الرئيسة؟ هذا نموذج لزيّك الرسمي الجديد».

اخترق صوت آوي القادم من غرفة الطعام أفكار سايوكو وكأنّها قرأت ما يجول في رأسها. التفتت سايوكو لتجد هيئة الموظفين جميعها تنظر إليها من خلال الباب المفتوح.

أضافت آوي مبتسمة ابتسامة فخر: «في رأيي إنّه أنيق».

قالت بنزاهة: «حسن، نعم، يبدو فعلاً شديد الأناقة، ولكن لا أعتقد أنّني سأختاره مئزراً».

سألتها آوي، وقد تلاشت الابتسامة: «أحقاً؟ ولم لا؟».

«تقضون الكثير من الوقت راكعين على أيديكم وركبكم وتقومون بالتنظيف، لذلك فإنّ مئزراً كهذا سيعيق حركتكم. إنّ شيئاً كالقميص الرياضي

سوف يكون عملياً أكثر، أو ربما مئزر قصير جداً. وقد يبدو ما سأقول غير منطقي، ولكنَّ اللون الأسود سوف يجعل القذارة في الواقع تبرز أكثر. فلون الغبار والشحم يتحول على الفور إلى الأبيض أو إلى بقع لامعة».

في أثناء كلامها، شعرت سايوكو بتعبها يتلاشى. واستمتعت لأنَّه طلب منها إبداء رأيها.

«أوه، اللعنة، لم أفكر في هذا أبداً. أعتقد أنه كان ينبغي أن أسألك أولاً».

نهضت آوي عن الطاولة وولجت غرفة مكتب الهيئة وحملت المئزر بين يديها. لاحظت سايوكو تغيُّراً مرهفاً طرأ على الجو المخيِّم على طاولة العشاء؛ فقد سكت نقاشهم السابق، وبدا على الجميع شيء من الارتباك؟ وبدأت تندم لأنَّها تكلَّمت، لكنَّ آوي بدت مصمِّمة على التشديد على المسألة عندما قامت بحركة سريعة بربط المئزر حول عنقها.

قالت: «هل نستطيع إذن أن نقصِّره من هنا؟ أم من الأفضل أن نبدأ بواحد جديد؟ ما رأيك، أيَّتها الرئيسة؟».

قالت ميساو فجأة: «لا داعي لهذا الآن، آنسة ناراهاشي. نحن في حاجة إلى أن نبقي تركيزنا على ما كنا نتحدَّث عنه قبل ذلك».

قالت جنكو: «هذا صحيح. بما أنَّ التدبير المنزلي ليس اهتمام عملنا الرئيس ولا نعرف حتى ما هي الإمكانيات، يجب أن نخفِّف المصاريف في كلِّ الأحوال». كان جلياً من نبرة صوتها أنَّ صبرها كاد ينفد من آوي.

ردَّت تاكيشي: «ولكن من يدري، قد يكون التدبير المنزلي السبب في إنقاذنا، لذلك نحن في حاجة إلى أن نتناوله بجدية ونولي أقوال الرئيسة اهتمامنا».

التفتت آوي إليهم وهي تحلُّ رباط المئزر: «اسمعن جميعاً، الساعة شارفت على الخامسة، وأنا أعلم أنَّ ماو، على الأقل، لم تتناول طعام الغداء. فما رأيكن

في حمل نقاشنا إلى موقع آخر؟».

قالت تاكيشي مازحة: «ها قد بدأنا من جديد. أضيفي البيرة وحرّكي. هذه وصفة للاجتماعات لضمان إخفاقها».

«لكنّ من الجلي أنّ جلوسنا هنا وتبادل النظرات الكئيبة لن يوصلنا إلى أيّة نتيجة. لهذا لم لا نقلّب التفكير في المسألة على مائدة العشاء؟ سوف يمنح الجميع دفعة، ولن نشعر بأنّنا على عجل. ما الذي تبقّى لدينا بالضبط لم نناقشه بعد، يا يوكي؟».

«الأعلام الحمراء في تماثيلنا التي عمرها عام».

«صحيح، صحيح. الأعلام الحمراء. من يريد أن يواجه شيئاً شديد الرصانة كذاك؟ هيا بنا، هيا بنا. دعوا الأمر لي».

نهضت الباقيات عن الطاولة وهنّ يتبادلن النظرات السريعة ويبتسمن بتوتر. راقبتهن سايوكو بشرود وهنّ يشققن طريقهن عبر الباب بكثير من الهرج.

«إذن أيّتها الرئيسة، الخطة هي أن نواصل اجتماعنا في مكان آخر. ربما يستمر حتى وقت متأخر، ولكن يمكنك أن تستأذني في أثناء ذلك إذا شئت. لم لا تأتين؟».

تمنّت سايوكو لو كان في وسعها أن تفعل. سوف ترحّب بفرصة الحديث أكثر عن زيّهن الرسمي، حتى وأن كان ذلك يعني الانتظار حتى ما بعد معالجة مسألة مكان وضع الأعلام الحمراء، بالإضافة إلى مناقشة وجهة النظر العامة من مغامرة تدبير شؤون المنازل. كان يمكن تأتي لكي تستمتع بالتعبير عن وجهات نظرها ومناقشة الأمور مع آوي والأخريات. لكنّها نظرت في ساعة يدها.

قالت، وهي ترسم ابتسامة قسراً: «أخشى أنّه ليس لديّ متسع من الوقت».

«حسن، آسفة، دائماً أنسى كم هم صارمون بشأن استلام الأطفال في

مدرسة الحضانة. لا عليك. الاجتماع ليس على قدر كبير من الأهمية. سوف أحرص على مناقشة أمر المئزر، أيضاً. إذا وجدنا أنّنا نستطيع أن نتدبّر الأمر، سوف أخطط لإعادة تصميمه – وفي هذه الحال سأتصل بك. نقصّره، ونغيّر اللون إلى... ممم، ما رأيك؟».

«أعتقد إلى الرمادي، أو ربما الأزرق».

«فهمت. حسن إذن، من فضلك ضعي المفتاح في صندوق البريد عند الإقفال، واتركي مكيّف الهواء موصولاً بالتيار الكهربائي»، ثمّ أضافت «باي!» منغّمة، وانطلقت باتجاه الباب الأمامي.

أصغت سايوكو إلى تكّة المزلاج. المئزر يستلقي كشبح حيث تركته آوي يسقط عند قدميها.

عندما فتحت الباب بعد ذلك بقليل لكي تغادر، كادت ترتطم بتاكيشي.

قالت، وقد رفعت بصرها إليه مندهشة: «أوه، مرحباً، هل نسيت شيئاً؟».

«نعم، هاتفي المحمول. هل أنت متوجّهة إلى المنزل؟ هل أوصلك؟» خلع حذاءه وذهب لكي يفتّش بين الفوضى التي تعمّ الطاولة بحثاً عن هاتفه المحمول.

«توصيلة؟».

«إذا أخذنا الطريق السريعة، سنصل أسرع من القطار».

عثر تاكيشي على الهاتف ودسّه في جيبه. راقبته سايوكو من دون أن تفهم وهو يستدير ويعود إلى الباب.

«ماذا عن الاجتماع؟»

«في الأساس سيكون حفل شراب. ثمّ إنّني لست مستخدماً وآرائي لا وزن لها. فما رأيك؟ على أيّة حال أنا ذاهب في هذا الاتّجاه اليوم، لذا ليس في ذلك أيّة مضايقة لي. سنقطع المسافة في نحو ثلاثين دقيقة، حسب تقديري».

ألقت سايوكو نظرة سريعة إلى ساعة يدها. إنَّ أيَّ شيء يوصلها إلى مدرسة أكاري حتى قبل الوقت المحدّد بخمس دقائق فقط أهلاً به.

قالت: «إذا كنت موقناً من أنَّه لا بأس في ذلك».

«من دون أدنى شك»، راسماً ابتسامة كبيرة كشفت عن أسنانه، ومتناولاً المفتاح منها لكي يوصد الباب.

ناور تاكيشي السيارة برشاقة على طول الأزقّة السكنية الضيقة في حيّهم التي تؤدي إلى الشارع العام. وأشرقت الأوراق الخضراء فوق كلا الرصيفين نضرة وخضراء تحت أشعة الشمس. وبقيت المدينة في قبضة فصل الصيف في ذلك اليوم من شهر أيلول.

قالت سايوكو من مجلسها على مقعد الراكب: «شيء جميل. هل أنت واثق من أنّني لا أتطفّل عليك أو أضايقك؟».

«لا، حقاً، إنَّ الطريق هو في اتّجاهي، لذا لا بأس من ناحيتي على الإطلاق. ولكن أخبريني، كيف يسير أمر الإعلانات؟ لا شكَّ في أنَّ السير في مثل هذا الحرّ شيء صعب».

«على المرء أن يقوم بواجبه. إذا لم نبدأ بتلقي الطلبات قريباً، فسوف يتّضح أنّني فشلت في عملي فشلاً ذريعاً».

«هذه هي مشكلة آوي. تثب إلى الأشياء من دون أن تضع أيّة خطة واضحة».

كانت حركة المرور على الطريق السريعة خفيفة. نظرت سايوكو إلى ساعة يدها من جديد لترى كيف يسير الأمر. في أثناء قيادته، مدَّ تاكيشي يده نحو الأسفل ليلتقط قرصاً مدمجاً كان قد وقع على الأرض:

«هل فكّرت مرة في أن تعملي في المجال الأساسي للشركة؟ جانب السفر؟».

«إذا طلبت مني الآنسة ناراهاشي ذلك، فسوف يسعدني أن أفعل. لكنَّها استخدمتني من أجل خدمة المنازل، لذا..».

«حسن، إنَّ خطوة ما تؤدي إلى أخرى، إنَّ عملية خدمة المنازل تتقدَّم الآن رسمياً، ولكن صدقاً، لاتزال لديَّ شكوك. في حفل الشراب أو لقاء العمل الذي كان يجري قبل قليل، سمِّه ما شئت، تولَّد لديَّ إحساس بأنَّ الناس ليسوا مستعدين لها بعد. ما رأيك أنت، أيَّتها الرئيسة؟ ما شعورك بالطريقة التي تعالج بها آوي المسألة؟ في الأساس، الآن، أنتِ لا تختلفين عن أي أجيرة ساعية استخدمت لتوزيع الإعلانات. ألا ترين هذا شيئاً مقلقاً؟».

كانت علبة الأقراص المدمجة في حجر تاكيشي تقرقع. لم تدرك سايوكو تماماً فحوى سؤاله أو ما يرمي إليه، فقد بدأ يزعجها. لكنَّه واصل الكلام من دون أن ينتظر جواباً، مستمداً متعة ظاهرة من انتقاد أسلوب آوي في الإدارة. فالمرأة لم تخلق للإدارة، إنَّها مفرطة في الفوضوية والتهوُّر، كما قال، وتسخر من أشياء مختلفة وتتندَّر على نفسها. كان في انتقاداته شيء من الواقعية وبدا أنَّها تتخذ سمة الحميمية، لذلك شعرت سايوكو بأنَّها مضطرة إلى الضحك من وقت إلى آخر. لكنَّ الحقيقة هي أنَّها لم تجد تعليقاته مضحكة كثيراً.

«وعمل الخدمة المنزلية هذا، كما أراه، لعلَّه كان فكرة ومضت في ذهنها في أثناء حديثها مع السيدة ناكازاتو في وقت من الأوقات، وقررت بخفَّة أن تجرِّبها. ولكن من الصعب تصور أنَّها ستنقذ شركة بلاتينوم بلانت قريباً».

قاطعته سايوكو: «ومع ذلك، المغامرة مستمرة الآن وأنا، من ناحيتي، لا أتعامل معها «بخفَّة» حسب تعبيرك».

نظر تاكيشي إليها. قال، وهو يقطب جبينه:، «طبعاً لا تفعلين. ولكن هذه هي المشكلة بالضبط. ألا تعتقدين أنَّ تعامل آوي مع الأمر باعتباطية له تأثير فظ عليك؟».

«آسفة، أخشى أنَّك لم تفهمني». وأجبرت نفسها على الابتسام لكي تخفي غضبها المتزايد.

«فقط أقول إنَّ لآوي طريقة في تناول الأشياء بسرعة، وفي غالبية الأحيان تدفع هيئة الموظفين الثمن على الأرض. عند هذه النقطة تبدو عملية خدمة المنازل كما هي، بما أنَّك في الأساس تتعاملين معها وحدك، وقد تساءلت عن شعورك حيال ذلك».

«من أنت – قسم الشكاوى؟» حاولت أن تجعل كلامها يبدو مزاحاً، لكنَّها سمعت النبرة اللاذعة في صوتها.

رمى تاكيشي برأسه نحو الخلف وضحك. قال بغموض: «أعتقد أنَّ هذا لا يبتعد كثيراً عن الهدف».

مع ذلك ظلَّت سايوكو لا تعرف من يكون تاكيشي كيهارا، أو لماذا يحوم دائماً حول المكتب أو ما يحاول بالضبط الحصول عليه منها في تلك اللحظة. لقد ترك فيها تأثيراً سيئاً.

أعلن قائلاً: «الحقيقة هي أنَّني من أكبر المعجبين بآوي. قد تكون أعمالها كثيرة، لكنَّها تقوم ببعض الأشياء المثيرة حقاً للاهتمام، وأعتقد أنَّني أستطيع أن أتعلَّم الكثير منها».

باشر تاكيشي، وهو خلف المقود، خطابا آخر طويلاً، لكنَّ سايوكو لم تكن تدلي إلا بكلمة مبهمة بين الحين والآخر وعينها تكاد لا تفارق ساعة يدها. ومهما حاول أن يوضِّح الأمور، إلا أنَّه، لسبب لم تدركه، بدا أنَّه كان يزيد من شدَّة ضبابيَّتها. وبدأت، وهي تكاد لا تصغي، تكرِّر فكرة واحدة في ذهنها: *قريبا سأكون مع أكاري.*

أخيراً بدا أنَّ تاكيشي لاحظ أنَّها لم تعد تصغي، فسكت عن الكلام ووضع قرصاً مدمجاً في الجهاز.

ردَّدت، *قريباً ساكون مع أكاري*، كانت، وهي تتخيَّل في ذهنها صورة الدرب التي تقود فيها الدراجة من المحطة إلى مدرسة الحضانة، تترقَّب ظهور الإشارة التي تعلن مخرج موساشينو فوق الرؤوس. كان اقتراب لوحة الإعلانات التي تعلو بناء شاهق على البعد يستغرق وقتاً طويلاً، وبدا المشهد خارج النافذة الذي تغمره أشعة الشمس وكأنَّه ثابت لا يتحرَّك.

-10-

زحفت آوي على أطراف أصابع قدميها، وهي تصيخ السمع لتحرُّكات أمّها في الطابق السفلي، متقدّمة من الهاتف في الرواق، ورفعت السماعة، وطلبت الرقم بسرعة. أصغت بنزق إلى رنين الجرس، ولكن، كما حدث من قبل، لم تسمع إلا صوت امرأة عالي النبرة يعلن *«الرقم المطلوب لم يعد في الخدمة»*.

«هل ترغبين في وجبة خفيفة، يا آوي؟ لقد صنعت بعض فطائر الكريمة».

لدى سماع رنين صوت أمّها، أعادت آوي بسرعة سماعة الهاتف إلى مستقرها. كانت أمُّها من دون أدنى شك تراقب جهاز الهاتف في الطابق السفلي: كان ضوء أخضر في أعلاه يومض حالما يصبح امتداده في الطابق العلوي عند الاستخدام. وكان يبدو لآوي أنَّ أمّها تقضي كل دقيقة من وقتها وهي في المنزل في مراقبة الهاتف في غرفة الجلوس.

أجابت آوي، عائدة إلى غرفتها: «كلا، شكراً». جلست على السرير ونظرت من النافذة. لقد حصد الأرز، محوّلاً الحقول إلى امتدادات شاسعة من اللونين الأسود والبنّي. وبعدها، تحوّل لون حقول التوت إلى الأصفر. امتدّت سماء رمادية باهتة فوق الرؤوس بلا نهاية.

لم تنفرد آوي بنفسها في المنزل منذ عودتها إليه. وعلى الرغم من أنَّ السيدة ناراهاشي كانت تودُّ أن تترك عملها وتمكث في المنزل طوال الوقت، إلا أنَّ الواقع الاقتصادي لم يسمح بذلك، لذا جاءت الجدَّة لتعتني بآوي أربعة أيام في

الأسبوع في أثناء غياب أمّها في المخبز. لم تكن الحراسة الدائمة ضرورية أبداً. فلم ترغب آوي في مغادرة المنزل إذا لم يكن هناك مكان تذهب إليه؟

لم تكن قد قرّرت بوعي أنّها تريد أن تموت. كانت فقط تتوق إلى الانتقال إلى مكان آخر غير الذي هي فيه. مكان لا تحتاج فيه هي ونانّاكو إلى ابتزاز مال أحد، ولا حاجة إلى التفتيش عن فندق آخر كلّ ليلة، ولا حاجة إلى القلق بشأن عيون ضباط التغيُّب.

للوهلة الأولى بعد عودتها إلى وعيها وفتح عينيها، لم تر آوي غير البياض، وصدَّقت برهة أنّها في الواقع وصلت إلى ذلك المكان الجديد. هناك لا مزيد من السلب، ولا لغرف الفنادق، ولا لموائد صالات الرقص المفتوحة، ولا لتقصّي مصير آخر ين تنفقانه. ولكن أين ناناكو؟ أدارت وجهها ببطء لتبحث عن صديقتها، فوجدت نفسها بدلاً من ذلك تحدِّق إلى وجه أمّها الباكي. خلفها كان والدها، بوجهه المشدود. كانا يناديانها، يتناهى صوتاهما من بعيد في أول الأمر، ثم اقتربا أكثر تدريجياً، وأدركت آوي أنّها لم تذهب إلى أيِّ مكان. سألت: «أين ناناكو؟»، لكن لم يبد على والديها أنّهما حتى سمعاها؛ استمرا ببساطة في مناداتها مراراً وتكراراً.

كانت موجودة في غرفة خاصة، ولكن لا وجود لجهاز تلفاز أو مذياع. كانت أمها تغيّر الأزهار في المزهرية كل يوم ليلاً. وعلمت آوي لاحقاً أنّه عندما قامت هي وناناكو بقفزتهما، استقرتا ليس على الرصيف أمام المدخل الرئيس بل على سقف ملجأ الدراجة الواقفة على أحد جنبيها. كان سقف القصدير قد خفَّف من وطأة سقوطهما ورمى بهما إلى بقعة طرية من المرج، وسمح لهما بالنجاة مع بعض الرضوض السيئة جداً فقط، وبلا كسر في العظام. ولكن في خلال فترة وجودها في المستشفى، لم تشعر بما يجري من حولها، لماذا يحتفظون بها هناك، وأين ناناكو.

لم يطرح والداها أيّة أسئلة. ظلت السيدة ناراهاشي تردّد، بوجه أشبه بقناع من خشب: «هذا هو المستشفى الذي ولدت فيه، يا عزيزتي. في الواقع كنت أخطط للذهاب إلى بيت جدّك وجدّتك لكي ألدك هناك، غير أنّك قرّرت أن تولدي قبل الأوان بشهرين. وأذكر أنّه كان أحد أشدّ الأيام حرارة في فصل الصيف. ومررت بالمخاض قبل الوقت المتوقّع بكثير، لذا هرعنا إلى أقرب مستشفى هنا، ولم ندر إلا وقد ولدت. وعلمنا أنا ووالدك أنّنا نريد أن نسمّيك باسم زهرة صيفية، ولكن استغرق منا وقتاً طويلاً لنستقر على أحدها. وبما أنّك ولدت قبل الأوان، اضطروا إلى وضعك في حاضنة، وكنت أبكي كلّ ليلة حتى أنام لأنّهم لم يسمحوا لي بحملك. وعندما سمحوا لي أخيراً بذلك، كنت من فرط السعادة حتى إنّني بكيت أكثر من ذي قبل. وأخذت عهداً على نفسي بأنّه مهما يحصل، سوف أقوم بحماية هذه الطفلة. لقد كنت صغيرة إلى درجة مذهلة، ونفيسة بصورة لا تصدّق، حتى الممرضات كنّ يتوافدن ليحظين بفرصة لحملك». كانت والدة آوي تعيد سرد الأحداث نفسها من بدايتها كلّما تذكرت تفصيلاً جديداً.

كان السيد ناراهاشي يعرج مساء كلّ يوم ولكنّه، كعهده دائماً، قليل الكلام. يجلس على كرسي قابل للطيّ ويسألها بابتسامة متواضعة ما إذا كان في وسعه أن يحضر لها أيّ شيء - شيء ترغب في أكله، ربما، أو بعض المجلات الهزلية التي تحب أن تقرأ. ولم يكن هو أو والدتها يجيبان عن أسئلة آوي حول مكان ناناكو.

بالإضافة إلى الفحوص والاختبارات شبه اليومية، كانت تتحدث أيضاً حسب جدول معيّن مع امرأة معالجة. وكانت الجلسات تجري داخل غرفة بيضاء برّاقة، حيث تسألها امرأة بنبرات صوت مهدئة باطّراد إذا كان لها مثل أعلى في فترة المراهقة، وما هي المادة التي كانت تفضّلها في المدرسة، وأي

الأساتذة لم تكن تتجاوب معه، وعن أشياء كثيرة مختلفة لم تكن آوي تأبه لها البتة، وتحاول أن يبدو الأمر وكأنّهما تتجاذبان أطراف حديث ودي. هذه المرأة أيضاً لم تكن تجيب عن أسئلة آوي حول ما حصل لناناكو. وكالأطباء والممرضات، كلُّ ما قالته أنّها لم تسمع أيَّ شيء ولا تعرف شيئاً.

كانت والدة آوي ترافقها أينما ذهبت، سواء لتجري الفحوص أو إلى المعالجة أو إلى المرحاض. وذات مرة عندما خرجت آوي من جلسة علاجها، لم تجد أمَّها على المقعد القريب حيث تنتظرها دائماً. ظنّت آوي أنّها لجأت إلى مرحاض السيدات، فمشت على طول الرواق إلى متجر المستشفى لتشتري بعض العصير. وقفت في الصف لتدفع النقود عند الصندوق، فلاحظت وجود منصب المجلات على الطرف المقابل من الصف وبدأت تستعرض بكسل أغلفة مجلات الفضائح الأسبوعية الجديدة. فقفز أمام عينيها عنوان رئيس لإحداها وكأنه قصّ ووضع بشكل بارز: ***«بنتان من المدرسة الثانوية تقفزان من السطح بعد هروبهما على خلفية قصة حب»***.

خرجت آوي من الصف وسحبت المجلة من المنصب. كانت القصة عنها وعن ناناكو. وكان والداها قد أبلغا عن اختفائها في أوائل شهر أيلول. وأجريت عملية بحث واسعة، وركّزوا بصورة رئيسة على إيزو وطوكيو. ومن الواضح أنَّ والدتها قالت للشرطة إنَّ آوي تكره يوكوهاما بشدَّة حتى أنَّها لا يمكن أن ترغب في الاقتراب منها من جديد. ولكن هذه التفاصيل لم تكن تهم آوي. وتابعت المسح بهياجٍ، بحثاً عن أيِّ شيء يدل على حال ناناكو ومكانها. ولسوء الحظ، قبل أن تتمكّن مِن تعلُّم أيِّ شيء، أسرعت أمُّها وانتزعت المجلة من بين يديها بهياج مسعور. عصفت في وجهها قائلة: «إنَّ جدتك هنا. لقد جلبت لك ذلك الكعك الذي تحبين من هازيغاوا. عودي إلى غرفتك لكي نتناول جميعاً وجبة خفيفة». كانت نبرة صوتها الحادَّة والنظرة الحازمة

المرتسمة على وجهها متنافرتين مع ما كانت تقول. وتركزت عيون من في المخزن كلِّها عليها.

في وقت لاحق من النهار عرض والدها أن يقدِّم لها شيئاً، فطلبت منه آوي أن يحضر لها إحدى المجلات الأسبوعية. ارتسمت على وجهه نظرة ألم في جزء من الثانية حتى حسبت أنّه سينفجر بالبكاء، ولكن عندما ظهر في اليوم التالي جلب لها معه إحدى المجلات المصوَّرة. فانكبت عليها آوي علَّها تجد فيها شيئاً عنها وعن ناناكو من الغلاف إلى الغلاف، وقرأت الرسائل الموجهة إلى الناشر والمقالات الرئيسة وكلَّ شيء، لكنَّها لم تعثر على أي ذكر لهما أو للحادث.

مكثت في المستشفى نحو أسبوعين. وعندما غادرت أخيراً وحملها والدها إلى منزل جدَّتها في سيارة الأجرة خاصته، لم تكن قد تمكَّنت من معرفة أيِّ شيء عن ناناكو. أخبرتها أمُّها في الطريق أنَّ في إمكانها أن تبقى في المنزل من دون أن تذهب إلى المدرسة حتى ما بعد عطلة الشتاء. لم تكن أمُّها تأبه حقاً بهذا، بما أنَّه لم تكن لدى آوي النيّة في العودة إليها في كلِّ الأحوال. كانت تعلم أنَّها لم تعد تحتمل المدرسة الآن. وأوَّل ما فعلت عندما وصلت المنزل كان الاتصال برقم ناناكو. أعلن لها صوت نسائي خال من أيِّ انفعال ***«الرقم المطلوب لم يعد في الخدمة»***.

منذ ذلك الحين ووالداها أو جدَّتها يراقبونها على مدار الساعة. واستمروا في الامتناع عن الإجابة عن أسئلتها ولزم الصمت حول موضوع ناناكو. أمضت آوي يومها في غرفتها في الطابق العلوي، تحدِّق من النافذة وتراقب المشهد الخريفي العام وهو يفسح الطريق لحلول فصل الشتاء.

ولكن حتى وهي في عزلتها، استطاعت آوي أن تبدأ في جمع أجزاء المعلومات معاً. وسرعان ما أدركت أنَّ الرجال والنساء الذين رأتهم يتجمعون

في الخارج طوال الوقت كانوا مراسلي وسائل الإعلام. وعلمت أنَّ ناناكو نجت بحياتها وسقطت من دون أن تصاب بجراح خطيرة، مثلها، لكنَّها أخذت إلى مستشفى آخر. وأخذت تفتِّش خلسة الطابق العلوي برمَّته، متسلِّلة إلى غرفة أبويها ومفتشة في أدراجهما إلى أن صادفت مجلات عدَّة تحكي الحكاية كلَّها مخبّأة في صدر رداء كيمونو أمِّها الذي نادراً ما ترتديه. وفي غرفتها أخذت تقرأها من الغلاف إلى الغلاف.

علمت عدداً من الحقائق الأخرى أيضاً من تلك المجلات، وقد تمَّ العثور على اليوميات التي كانت تدوِّن فيها تفاصيل نفقاتهما اليومية بعد سقوطهما، وعندما كشفت أنَّ الفتاتين المعنيَّتين كانتا تقيمان في فنادق الحب، استخلصت وسائل الإعلام أبسط نتيجة وهي أنهما كانتا عشيقتين، أو أنَّها اختارت عمداً أن تستخلص هذا بسبب قيمته كمادة مثيرة. وهكذا أخذت الحكاية المبهرجة شكلها: لقد عثرت الفتاتان على عمل صيفي معاً في إيزو وفي نيَّتهما منذ البداية أن تفرا بعد ذلك؛ وكانتا تشبعان شهوتهما في سلسلة من فنادق الحب وكانتا تلازمان أماكن الرقص ليلة بعد أخرى؛ ولما يئستا من قبولهما بسبب علاقة الحب المحرَّم بينهما، عزمتا على الموت معاً.

بالنسبة إلى آوي، لا شيء من هذه الحكاية كانت له أيَّة صلة بها. إنَّها تفتقر إلى أقلِّ جزء من الحقيقة. وهذا يعني، أيضاً، أنَّ ما ذكرته المجلات عن ناناكو يجب أن يكون كلُّه زائفاً. فمثلاً، ادَّعت إحدى المجلات أنَّ والدها يخضع لإعادة تأهيل لمعالجته من الإدمان على المخدرات وأنَّ أمَّها كانت تعمل مضيفة في ملهى ليلي، في حين قالت أخرى إنَّ والدها في السجن لارتكابه جنحة وإنَّ أمها عاهرة تجوب شوارع تاكاساكي ولا تعود إلى المنزل إلا في نهاية الأسبوع. وأخرى ادَّعت أنَّ والدها فرَّ مع امرأة أصغر منه سناً، أو أنَّ أمَّها كانت عشيقة موظف كبير في مكان ما. المعلومة الوحيدة في تاريخ حياة ناناكو التي كانت

آوي مستعدة للوثوق فيها هي الشقّة التي شاهدتها بأم عينيها – المكان الشبيه بحفرة سوداء لا تعبّر عن هويّة ساكنيها أو عن حياتهم.

ربما لأنّ الكتّاب الفضائحيين فشلوا في العثور على أيّة تفاصيل خسيسة يزخرفون بها قصة آوي، اكتفوا بتصويرها طالبة رصينة ومجاملة.

في الإجمال، قدّمت المقالات، على الرغم من خلوّها من أيّ أساس من الصحة، قصة صغيرة أنيقة تقدّم ناناكو غاوية تجرُّ آوي من أنفها. وحتى القرّاء الذين يتحلّون بقدر كاف من الذكاء ولا يفتنون بكلّ تفصيل مبتذل معرَّضون لتقبُّل هذا القدر. وهذا أشدُّ ما آلم آوي.

يا لهم من حفنة متخلفين! إنّهم يحولوننا إلى شاذتين. أليس هذا مضحكاً؟ ما الناس إلا بلهاء. أقول، ربما ينبغي أن نظهر دائماً في المدرسة من الآن فصاعداً بذراعين متشابكتين.

حسبت آوي أنّها سمعت صوت ناناكو الساخر فرفعت نظرها، وكاد يتوقف قلبها. ولكن كل ما رأته كان زيّها الرسمي الصيفي الخاص معلّقاً على الجدار المصفر.

قبل هذا، كان والدها نادراً ما يعود إلى المنزل لتناول طعام العشاء، أما الآن فبدا مصمّماً على الانضمام إليهما في مثل تلك الساعة من كل ليلة. وأخذت أطباق آوي المفضّلة تظهر على لائحة الطعام يوماً بعد يوم. شطائر اللحم المشوي والعجّة، والغايوزا والقستر[1] اللذيذ، وشرائح سمك الطون النيء، وغراتان المعكرونة، وما إلى ذلك – وغالباً أطباق عديدة دفعة واحدة من دون الأخذ في الاعتبار تكاملها معاً. وجهاز التلفاز الذي كان دائماً مفتوحاً أصبح صامتاً. وبدلاً من ذلك أخذ والداها يحافظان على سيل مستمر من المزاح وكأنّهما ينتميان إلى ما يشبه فرقة تمثيل مرتجلة هزلية – ويحرصان دائماً على

(1) القستر: مزيج محلّى من الحليب والبيض.

التركيز على المواضيع المفرحة. لم يكن لدى آوي شهية للأكل، لكنَّها كانت تعلم أنَّ عرض مائدة العشاء سوف يتواصل، ويتصاعد في تفاهته إلى أن تنتهي، لذا كانت تجبر نفسها على جعل عوديِّ الأكل في حركة دائمة.

ذات يوم كانت الجدَّة تقوم بعملها والسيدة ناراهاشي خارج المنزل. وكانت هي في غرفة الجلوس تشاهد مسلسل «ميتو كومون»، وهو دراما عن الساموراي كانت مولعة بها، وصوت التلفاز عال لكي تتمكَّن آوي من سماع الحوار في الطابق العلوي. وبينما كانت آوي جالسة تحدِّق من النافذة، مصغية على فترات متقطِّعة، إذا بها تعتدل فجأة في جلستها، وتقفز واقفة على قدميها، ولبست بنطلونها الجينز فوق منامتها السفلية. ولم تكن قد ارتدت ملابسها منذ أيام طويلة. واكتفت بارتداء سترتها من دون معطف، ثمَّ قبضت على كيس نقودها وأخذت تهبط الدرج على أطراف أصابع قدميها. توقف عرض المسلسل من أجل الإعلان التجاري، فتجمَّدت مكانها وظهرها ملتصق بالجدار بالقرب من الأسفل، في انتظار عودة ضجيج المسلسل. عندما انتهى الإعلان التجاري، أخذت نفساً عميقاً وتسلَّلت في الرواق حتى الباب الأمامي. انتعلت خفاً رياضياً، حريصة على ألا تصدر أيَّ صوت، وأدارت ببطء شديد القفل. نظرت خلفها لكنَّها لم تر ما يدل على أنَّ جدَّتها سمعت شيئاً. وكان ضجيج مسلسل «ميتو كومون» يهدر.

فتحت آوي الباب، وتسلَّلت خارجاً إلى البرد. حالما أصبحت خارج البوابة، انطلقت تركض وتسابق الريح بأقصى سرعة متجِّهة نحو موقف الحافلة. كان بعد ظهيرة يوم العطلة الأسبوعية هادئاً، ولا يرى في الأفق أيُّ مشاة. وكان المراسلون الصحفيون ورجال الإعلام الذين تجمهروا في الخارج أمام المنزل قد غادروا مواقعهم ورحلوا إلى مكان آخر. انتظرت وقتاً طويلاً مجيء الحافلة، وهي تضرب الأرض بقدميها بنزق. كانت أنفاسها بيضاء. وتسرَّب الخدر إلى

رؤوس أصابعها. وأدركت المدة الطويلة التي لم تغادر في خلالها المنزل.

اعتمدت آوي على ذاكرتها من المرة السابقة التي قامت فيها بالرحلة فانتقلت إلى حافلة أخرى وركبت حتى الموقف الأقرب إلى المجمَّع السكني الذي تقيم فيه ناناكو. وراحت تنتقل بين صف من الأبنية السكنية بحثاً عن واحد مكتوب عليه حرف **E**، ثم اندفعت تصعد الدرج إلى الباب المألوف وضغطت زرَّ الاتصال المنزلي مراراً. لا جواب. كانت كتفاها لاتزالان تجيشان، فمدت يدها إلى المقبض.

دار. دفعت الباب لتفتحه. مثلت الغرفة الجرداء أمامها.

كانت أكوام حاويات الطعام الفارغة وأكياس القمامة في الركن قد اختفت من المطبخ، كما من البرّاد، والغرفتان الأخريان قد جرِّدتا حتى من فرش التاتامي على الأرض. الشيء الوحيد الذي بقي كما في السابق كان مشهد البناء المجاور، المرئي من خلال نوافذ الغرف المجرَّدة من أثاث التاتامي. وقفت آوي كالمتجمِّدة ويدها لاتزال على مقبض الباب، تحدِّق مصعوقة إلى الخواء الماثل أمامها.

وتساءلت، ولكن ما الذي تغيَّر حقاً. عندما جاءت إلى هنا من قبل، بدت الغرفتان وكأنَّ بشراً لم يسكنهما أصلاً، ولم تنبعث منهما رائحة الحياة اليومية. لم تكونا تختلفان عما هما عليه الآن. أمن الممكن أنَّ ناناكو لاتزال تعيش في هاتين الغرفتين الخاليتين؟

خلعت آوي حذاءها الرياضي ودخلت. كان الجو في الخارج صافياً، ومشمساً، لكنَّ الشقَّة كانت معتمة وكئيبة. صرَّت الأرضية المشمَّعة، المزخرفة هنا وهناك ببقع الطعام وأعقاب السجائر، تحت قدميها. تجوَّلت بين الغرف وهي تستنشق بعمق، علَّها تلتقط نفحة خفيفة من حضور ناناكو. لكنَّها لم تميِّز أيَّة رائحة أبداً. ولم تلتقط أدنى إشارة لذلك الخواء الغامض التي وجدته داخل

شقة صديقتها. شعرت بالأرضيَّة الباردة كأنَّها شفرات حادة تقطع أخمصي قدميها في أثناء سيرها، وتذكرت أنَّها خرجت مسرعة من دون أن ترتدي جوارب. وعندما توقفت عن الحركة على الأرضية الباردة بشكل مؤلم، كان كلُّ ما استطاعت سماعه أنفاسها المتعبة.

قرَّرت أن تحاول الذهاب إلى المكان الذي سمَّته ناناكو مخبأها السرّي. حتى وإن لم تكن ناناكو موجودة هناك أيضاً، بدا ممكناً أنَّها ربما تركت ما يشبه الرسالة في البقعة التي كانتا تقضيان فيها ساعات طويلة معاً بعد انتهاء الدوام المدرسي.

خاب أملها عندما لم تجد أيَّ شيء كهذا على ضفة النهر أو تحت الجسر – لم تجد غير كتل لا لون لها من العشب الذابل يتدلى بتراخ في هواء الشتاء. بحثت في العشب مدة طويلة لترى إن كان في وسعها أن تعثر على الأقلّ على ورقة لف قطعة المثلَّجات أو شيء رمته إحداهما قبل أن تنتقلا إلى إيزو. وكلُّ ما عثرت عليه كان زجاجة مشروب فارغة وصحيفة مصفرَّة الأوراق، ولم تكن قد رأت أيّاً منهما من قبل.

عندما وصلت آوي إلى المنزل وقفت السيدة ناراهاشي في ممر الباب. لم يكن رجوعها قبل مرور وقت طويل متوقَّعاً، ومن الواضح أنَّ الجدَّة لاحظت فقدان آوي فقامت بالاتصال. شقَّت آوي طريقها من دون أن تتفوَّه بأيَّة كلمة متجاوزة إياها وباشرت بارتقاء الدرج.

صرخت أمُّها من خلفها: «ما هي مشكلتك بحق الله؟» استدارت آوي ببطء. رأت الدموع تسيل على وجهها: «لقد طفح كيلي معك! ما مشكلتك؟ ألا ترين كم نحاول جميعاً؟ من أجلك! و لا نفكر إلا فيك أنت! إنَّنا نبذل قصارى جهدنا! ماذا يفترض أن نفعل أكثر؟ ماذا تريدين منا أكثر من هذا؟ فقط أخبريني!».

جاءت الجدَّة عدواً من غرفة الجلوس وطوَّقت ابنتها بذراعيها. قالت بصوت هادئ: «آسفة، يا عزيزتي. إنَّها غلطتي. كنت منغمسة في مشاهدة برنامجي المفضَّل»، ثمَّ التفتت لترمي آوي بنظرة صارمة، وقالت بسخط: «يجدر بك أن تعتذري، أيَّتها الشابة. ألا تعلمين أنَّ أمَّك كانت مريضة من فرط قلقها عليك؟».

زعقت والدة آوي، من دون أن يهدِّئها وضع الجدَّة اللوم على نفسها: «لقد طفح الكيل!» شكَّلت دموعها المنهمرة وأنفها الجاري قطرات كبيرة على ذقنها وسقطت على بلوزتها. حدَّقت آوي بنظرة جوفاء: «إنَّ هذا كثير! ماذا فعلت حتى تكرهينني إلى هذه الدرجة؟ ألا ترين كم أبذل من جهد؟ ماذا تتوقعين أن أفعل أكثر من هذا؟ ماذا تريدين مني أكثر من هذا؟ أخبريني! لا تكتفي بالوقوف هكذا! قولي شيئاً!»

باعدت آوي ببطء بين شفتيها. كانت قد تشكَّلت في خلفية حنجرتها كتلة حارة. حرَّكت فمها لكي تصيغ سؤالاً، ولكن لم يخرج منه أي شيء.

صرخت أمها: «ماذا؟ لا أسمعك! ارفعي صوتك!».

بعد محاولات عدَّة أخرى، خرج أخيراً من عمق حنجرة آوي صوت جاف أجش: «أين اختفت ناناكو، يا أمي؟»

مع استقرار الكتلة في خلفية حنجرتها، كانت آوي واثقة من أنَّها تبكي، لكنَّ عينيها بقيتا جافَّتين كصوتها.

-11-

كان الأطفال ذوو السنوات الأربع من الصف المدهون بلون الدُّراق يؤدون لعبة القفز بالحبل على إيقاع مرح. بينما نجح بعضهم في مواصلة القفز من دون أن يتعثَّروا مرة واحدة، اشتبكت سيقان آخرين واستسلموا مرتمين على الأرض. وعالياً فوق الرؤوس امتدت سماء صافية.

التفتت سايوكو، المرتكزة على ركبتيها على ملاءة النزهة البلاستيكية، عن الكامكوردر[1] التي كانت تعبث بها لتنظر إلى برنامج الإعلان على ركبتيها. استعرضت محتويات البرنامج عدداً لا يحصى من المرات، لكنَّها راجعت نظام الأحداث مرة أخرى. بعد أن ينتهي الأطفال ذوو السنوات الأربع من لعبة القفز بالحبل، سيحين موعد الفقرة التي تجمع الآباء بأطفالهم الذين تقلُّ أعمارهم عن السنتين، تتبعها فقرة رقصة الآباء مع أطفالهم الذين في صفِّ أكاري، ثمَّ يجري ذوو السنوات الخمس حول المضمار، وتنتهي برقصة صفِّ أكاري الأخرى.

كان «يوم الرياضة»[2] في مدرسة الحضانة، حين تنشر رايات متعدِّدة الألوان وأعلام وزخرفات من الورق تزين البوابة الأمامية والباحة، وموسيقى حيوية تلعلع منبعثة من مكبِّرات صوت أعدَّت للمناسبة، واجتمع التلاميذ جميعاً في

(1) كامكوردر: نوع من آلات التصوير تسجل الصورة والصوت على شريط فيديو. - المترجم

(2) يوم الرياضة: يوم تؤدّى فيه الألعاب الرياضية والتمارين. - المترجم

مكان واحد. ارتبكت أكاري من الهرج غير العادي، فتشبثت ببلوزة سايوكو بإحدى يديها، رافضة أن تتركها. حتى عندما جاءت فتاة من بنات صفّها لتسلّم عليها، غاصت مترددة خلف أمّها.

أكمل ذوو السنوات الأربع فصل القفز بالحبل، وأعلنت مكبرات الصوت عن بدء الفقرة التالية، وبدأت أمّهات حاملات أطفالهن الصغار بين أذرعهن بالتجمّع في وسط الحقل وبدا عليهن الحياء. وبما أنّ اليوم هو السبت، حضر أيضاً عدد كبير من الآباء، مما جعله مناسبة عائلية. كان بعضهم يرتدي بدلات. قالت سايوكو في نفسها وهي تدقّق النظر من خلال ضوء الشمس الباهر إلى الوجوه غير المألوفة المجتمعة في الحقل، لعلّ عليهم أن يتوجهوا بعد ذلك من هنا إلى المكتب.

شوجي أيضاً كان يتوق لحضور يوم رياضة أكاري الأوّل. لقد أخرج آلة الكامكوردر الرقمية التي طال إهمالها والتقط بعض اللقطات لكي يتأكّد من صلاحيتها للعمل، بل إنّه راح يتدرّب على رقصة وليّ الأمر والطفل مع أكاري. لكنّه بعد ذلك عاد متأخّراً في الليلة السابقة قائلاً إنّ عليه أن يعمل هذا اليوم.

قالت سايوكو: «أوه، أمر مؤسف!»، وكانت صادقة في أسفها. كان أمراً مؤسفاً حقاً أن يتدخّل عمله في يوم السبت الخاص؛ كان أمراً مؤسفاً حقاً أن يفوّت يوم الرياضة الذي كان يتطلّع إليه بترقّب.

لكنّ شوجي ظنّ أنّها تتهكّم وأجابت بنظرة متألّمة لطفلة تلقّت تأنيباً.

قال: «عملي ليس كعملك، كما تعلمين. لا يمكنني أن أطلب من شخص آخر أن يحلّ محلي كما تستطيعين أنت. فإذا لم أفعل، يتوقّف العمل كلّه».

تذكّرت سايوكو أنّها سمعت هذه المقولة من شوجي من قبل، لذلك يجب أن تكون قد تعوّدتها الآن. ولكنّ وخز الكلمات يرفض أن يزول.

أخيراً تلقّت شركة خدمات بلاتينوم بلانت أوّل طلب مقابل سعر محدّد

هذا الأسبوع. في الحقيقة، لقد حصلوا على طلبين، الواحد إثر الآخر. وكانا من عنوانين من التي جالت عليها سايوكو لتضع نشرات إعلانيّة في صناديقهم البريدية، وقد خرجت بنفسها لتقوم بالتخمين. وكلا الزبونتين تقيمان في مجمعات سكنية ولديهما عدد قليل من الأطفال القاصرين. المرأة الأولى، في منطقة كايودو، لديها صبي في مثل سنّ أكاري تقريباً وذكرت أنّها تغادر إلى العمل في الساعة العاشرة. وفي ساسازوكا، امرأة أصغر قليلاً من أكاري حيّتها عند الباب مع طفل وليد مربوط إلى ظهرها. قالت إنّها تعمل في الرسوم التوضيحية لحساب نفسها.

في كلا الحالين، بينما كانت سايوكو تجري تخمينها للمكان مع زبونتها المحتملة وتتفحص عوامل الوقت والتكلفة وتجيب عن الأسئلة، وجدت نفسها تنساق مع وهم مفاده أنّها والمرأة الجالسة قبالتها صديقتان حميمتان. صديقتان تذمّرتا من زوجيهما، وتشاركتا في قلقهما حول تربية الأطفال، وضحكتا معاً من مشاكل الأقرباء. صديقتان قطعتا عهوداً جدّية أيام المدرسة على أن تهبّ كلٌ منهما لنجدة الأخرى عند الحاجة.

في أثناء مسح سايوكو لمطبخيّ الزبونتين اللتين يعلوهما الشحم، والحمّامين اللذين يغزوهما العفن، وغرفتيّ الجلوس اللتين تغطيهما الدمى والغسيل الوسخ وتتجمّع فيهما كتل الغبار، لم تعد تعاني الحيرة أو الاشمئزاز اللذين أثارتهما تلك المشاهد في نفسها. كان جلّ تفكيرها في لهفتها على أن تنتقيها الزبونتان لتولي العمل بدلاً من شخص آخر. فإذا فعلتا، أرادت أن تقوم بعمليات التنظيف كلّها بنفسها من دون تلقّي أيّة مساعدة من ميساو أو ماو، وتلمّع الغرفتين حتى اللمعان الجميل بيديها هاتين. أرادت أن تمنح شخصاً شعرت بقربها منه لحظة راحة، حتى ولو لفترة وجيزة من الوقت التي يستغرقها كل عمل.

لم تتمكّن من دفع أيٍّ من المرأتين إلى توقيع عقد في الحال. فقالتا إنّهما

ستعودان إليها بعد مراجعة متعاقدين آخرين. ومع ذلك، عادت إلى المكتب وهي تحسّ بالرضا العميق.

تعلم جيداً أنّها لم تنجز أيّ شيء ذي أهمية. ولكنّها أنجزت شيئاً ما. فالمرأة التي كانت ذات مرة غارقة في دائرة يائسة من التنقُّل بين الحدائق العامة قرّرت أنّها تريد أن تتغيّر، أن تنزع قيودها، وتبدأ من الصفر، جعلت من نفسها جزءاً من شيء أكبر منها - تندفع مباشرة إلى المناظرة وترتّب الأمر من المرأتين الأخرين، وتتعلّم من أخطائها بالتجربة وارتكاب الغلط، وتشكّل ببطء ولكن بثقة معالم تجارة التدبير المنزلي. وبالنسبة إلى سايوكو، كان هذا بحد ذاته أشدَّ أهميّة بكثير من الأسئلة التي لا يكفُّ شوجي عن إثارتها - حول ما إذا كان عملها يستحق العناء، أو أنَّ من السهل استبدالها بأخرى.

كانت رن وتشيمي من صف أكاري قريبتين منها، تهرّجان وتتدرّبان على بعض حركات الرقص معاً. وعندما لاحظت النظرات الجانبية التي كانت أكاري ترميها باتجاههما، دعتها والدة رن لتأتي وتلعب، وأخيراً نهضت واقفة على قدميها ومشت تتعثّر لكي تنضم إليهما.

التفتت والدة تشيمي إلى سايوكو: «أمر غريب. أرادت ابنتي الصغيرة أن تعرف إذا كان لديك المزيد من التمرين هذا اليوم؟» فقلت: «كلا، يا عزيزتي، اليوم هو العرض الحقيقي، وليتك رأيت مدى اتّساع عينيها».

قالت سايوكو: «لقد كانت أكاري أوّل من أفاق من النوم في صباح هذا اليوم في منزلنا. لقد وجدتها واقفة هناك ترقص وحدها. كدت لا أصدّق عينيَّ!» وضحكت.

علا صوت الموسيقى من جديد، وبدأ أولياء الأمور بالرقص على الحلبة على الإيقاع وهم يحملون صغارهم بين أيديهم. توقّفت أكاري ورفيقاتها في اللعب عما يفعلن ورحن يراقبن بأفواه فاغرة.

حسبت سايوكو أنّها سمعت أحدهم ينادي: «أيتها الرئيسة!» فنظرت غريزياً في ذلك الاتّجاه. كانت تبتسم بسخرية لنفسها كأنّها تقول لا أحد هنا قد يفكّر في مناداتها هكذا، وإذا بها تلمح آوي تلوّح لها بيدها من الجانب المقابل من البوابة المقفلة. قفزت واقفة على قدميها وهرعت باتجاه البوابة.

هتفت: «ماذا تفعلين هنا؟ كيف عرفت مكاني؟».

لم تفهم. ما الذي يدعو رئيستها في العمل إلى المجيء إلى مدرسة أكاري؟

قالت آوي، بعد أن توقفت لتلتقط أنفاسها: «حاولت أن أتصل هاتفيا». كانت عيناها منتفختين قليلاً، كأنّها لم تنم بالقدر الكافي: «لم أتمكّن من اختراق هاتفك، ولكن كان لديَّ عمل في كيتشيجوجي - وهي قريبة جداً، أليس كذلك؟».

«هاتفي؟ أعتقد أنّني أغلقته».

«حسن. على أيّة حال، كنت في الجوار، وأنا أعرف العنوان، لذا قرّرت أن آتي ببساطة».

«لحضور يوم الرياضة الخاص بابنتي؟».

«في الحقيقة، كلا. ليس لهذا. يتعلّق الأمر بالأعمال التي حصلت عليها في الأسبوع الفائت». سكتت آوي من جديد لكي تلتقط نفساً عميقاً. ثم هتفت: «لقد حصلنا عليهما! لقد اتصلتا في صباح هذا اليوم لتقولا إنّهما تريدان أن تستمرا في الأمر. وتريدان منا نحن الاثنتين أن نقوم بالعمل!».

جحظت عينا سايوكو واتسعتا. كانت حيرتها حول ظهور آوي في مدرسة حضانة ابنتها قد تلاشت.

هتفت، وهي تقفز من فرط الإثارة: «لقد نجحنا!».

قفزت آوي إلى أعلى وأسفل، أيضاً. يييي!».

ضمت سايوكو يديها معاً من خلال قضبان حديد البوابة. كررت: «نجحنا!

واو! نجحنا حقاً!».

على أيّة حال، كان لديّ بعض الأعمال في كيتشيجوجي هذا الصباح، وكيتشيجوجي قريبة جداً، أليس كذلك؟ حسن، أذكر أنّك قلت إنّ اليوم هو يوم الرياضة الخاص بابنتك، لذا فكّرت في أنّني ربما أجدك هنا لأطلعك على النبأ شخصياً، وهرعت مباشرة إلى هنا!»

أومأت سايوكو إيجاباً وهي تصغي، ولاتزال تقبض على يديّ آوي. جرت قطرة من العرق إلى أسفل صدغ آوي.

سمعت سايوكو نفسها تقول: «لم أكن موقنة من أنّ ما أفعله يستحق العناء، أتفهمين؟ لكنّه يستحق، أليس كذلك؟ أعني، حتى وإن لم يكن لديّ أيّة تجربة ومهاراتي الاجتماعية غير مرضية، لايزال لديّ ما أقدّمه، صحيح؟»

«أوه، اخرسي الآن! لقد تعلّمت العمل من الصفر وها أنت الآن قد فزت بعقديك الأوّلين. لا شيء من هذا كان سيتحقق دونك».

عندما تردّدت آوي في وسط الجملة، انتقلت على عجل إلى نبرة هادئة أكثر، وأدركت سايوكو أنّها تبكي. انتهت المقطوعة الموسيقية الخاصة ببنات السنتين، وصفّق الجمهور، وبدأت مقطوعة موسيقية أخرى بإيقاع سريع تنصب من مكبّرات الصوت إلى السماء الزرقاء الصافية. قالت سايوكو في نفسها، *يا لي من حمقاء، ما الذي يبكيني؟ قد أكون فزت بعقدين، لكنّ العبرة في النتائج. إنّني حتى لم أبدأ بعد.*

قالت: «أنا سعيدة جداً!» كانت تبكي وتشهق وتبتسم معاً في وقت واحد.

قالت آوي مازحة: «هيه! هلا قرّرت إذا كنت ستبكين أم ستبتسمين؟ ولكن قبل أن تفعلي هذا، ما رأيك أن تفتحي البوابة وتدعيني أدخل؟».

«أوه، يا إلهي، أنا شديدة الأسف. في الواقع، من المفترض أن أرقص

مع أكاري في أيِّ دقيقة. فإذا كان لديك الوقت الكافي، أحبُّ أن تبقي وتشاهدي».

فتحت سايوكو البوابة، وهي تمسح عينيها وأنفها بظاهر يدها كطفلة.

مكثت آوي حتى نهاية البرنامج. بل إنَّها تبرَّعت بتشغيل آلة الكمكوردر، فصوَّرت أولاً سايوكو وأكاري في رقصة الطفلة والأم، ثم شقَّت طريقها بين الآباء والأمهات من أجل الحصول على أفضل الزوايا للتصوير عندما رقصت أكاري وزميلاتها في الصف وحدهن. وعلى الرغم من تدرُّبها حتى اللحظة الأخيرة في صباح ذلك اليوم، وقفت أكاري لا تبدي حراكاً كدمية عندما بدأت الموسيقى بالعزف؛ وحدها عيناها كانتا تتحركان جيئة وذهاباً، تتبعان حركات باقي الأطفال من حولها.

«ارقصي، يا أكاري! تستطيعين أن تفعلي!».

في أول الأمر حاولت سايوكو وآوي أن تبهجانها، ولكن بدا منظرها مضحكاً وهي واقفة هناك، فانطوتا على نفسيهما من فرط الضحك.

قالت سايوكو في أثناء استعداد آوي للالتقاط الصور من جديد، «أتعلمين؟ عندما أكون معك، أشعر بأنَّني أستطيع أن أفعل أيَّ شيء».

التفتت آوي وثبَّتت عينيها على سايوكو برهة. كاد قلب سايوكو يتوقَّف عن الخفقان عندما شعرت كأنَّ العينين تخترقانها بالأسئلة، تقولين إنَّك تشعرين بأنَّك تستطيعين أن تفعلي أيَّ شيء، ولكن ماذا تأملين بالضبط في فعله؟ بماذا تفكرين؟ ومضت الأسئلة في رأسها، ولكن قبل أن تتمكَّن في التفكير في إعطاء أيَّة أجوبة، رسمت آوي ابتسامة عريضة ولكزت سايوكو بمرفقها.

نخرت: «دعينا لا نعطي هذا الأمر أكثر من حجمه الآن. إنَّ قبولهما لعرضك لا يعني أنَّ العمل قد تم».

هتفت، وهي تعيد آلة الكمكوردر إلى موضعها: «هيا، يا أكاري!»

بأعلى صوتها.

قالت آوي مبتسمة ابتسامة خبيثة لطفلة توشك أن تفعل شيئاً تعلم أنّها لا تستطيع القيام به: «كنت أفكّر». كانتا تعبران البوابة بعد انفراط عقد الحشد وانتهاء آخر فقرة في برنامج اليوم: «فوزك بأول عقد يستدعي الاحتفال. ما رأيك في أن نقوم بالرحلة إلى الينابيع الحارة التي تحدّثنا عنها؟».

سألت سايوكو: «متى؟».

أجابت آوي بهدوء: «الآن وفوراً».

رفعت سايوكو حاجبيها وقالت: «الآن؟».

«أهاه، الآن في الحال. نحن الثلاثة. أنت وأنا والصغيرة أكاري. غداً يوم أحد، لذلك فالتوقيت ممتاز».

سألت من جديد: «الآن؟».

دفعت الأمّهات دراجاتهن وأطفالهن مربوطون إلى مقاعد الأطفال وتدافعن خارج البوابة، وهنّ يتكلّمن ويضحكن بأصوات عالية، ولاتزال حماسة اليوم تضجُّ فيهن. لوّحت عدة نساء بأيديهن لسايوكو وقلن وداعاً وهن يتوجهن إلى منازلهن.

«إنَّ الساعة لم تبلغ بعد الثانية، لذا يمكننا أن نذهب إلى أيِّ مكان نشاء تقريباً، ولكن أعتقد أنّنا يجب ألا نبتعد. ولكن إينوشيما قريبة أكثر مما ينبغي. ما رأيك في أتامي؟ أعرف مكاناً عظيما يمكننا أن نذهب إليه في أتامي. يمكننا أن نتأمّل المحيط، ونستمتع بالأطعمة اللذيذة، ونغوص في المياه».

تكلّمت آوي بصوت منخفض، كأنّها تميط اللثام عن غرض نادر ومكنوز. بادلتها سايوكو التحديق فاغرة فمها. أنبأها حسُّها العالي في الحكم، لا مهرب، لكنّ جزءاً آخر منها كان يلحُّ عليها، ولم لا؟ شعرت بالضجر لدى تفكيرها في الأمسية التي تنتظرها في حال رفضت: شوجي يعود إلى المنزل من دون

أن يبدي أدنى تعليق حول الانتصار الذي أحرزت، وهي تحيّيه وكأنَّ شيئاً لم يحدث وتشاهد فيلم الفيديو الذي صوَّرته آوي معه. ويظل زوجها يحبط ما تفعل وكأنَّ أيَّ شخص يمكن أن يحلَّ محلها في إنجازه في حال غيابها، لكنَّ حقيقة الأمر هي أنَّه لا يستطيع أن يعدَّ لنفسه وجبة جيدة دونها، وشعرت كأنَّها تلقّنه درساً صغيراً.

جلست آوي القرفصاء لكي تصبح موازية لأكاري: «أنت أيضاً ترغبين في الذهاب يا حبيبتي، أليس كذلك؟» قهقهت الطفلة بعذوبة وهي تنسلُّ خلف ساقيّ سايوكو. بدا أنَّها أصبحت أكثر ارتياحاً مع آوي اليوم.

غمغمت سايوكو: «ربما سأوافق».

ضمَّت آوي أكاري بين ذراعيها وحكَّت وجنتاها بوجنتيها: «رائع! هذه هي الروح العالية!».

قهقهت أكاري من جديد وحاولت أن تتملَّص وتتحرَّر: «كفى -ى-ى-ى! اتركينيي!».

خرجن من المحطة، واجتزن الساحة التي تعجُّ بحركة المرور وسرن في شارع ضيّق تحفُّه فنادق عتيقة. وفي نهاية الشارع انفتح المشهد العام فجأة وامتدَّ البحر أمامهن.

هتفت سايوكو، وقد توقَّفت: «واو!».

جلست آوي بسرعة على كفليها لكي تستريح. وكانت قد جرعت، في مزاج مرح، عبوتين من البيرة، تبعتهما بكوبين من الساكي بتسلسل سريع وغاصت في نعاس متكاسل على متن القطار المتوجِّه إلى طوكيو. والآن بعد أن ترجَّلت، عاد إليها مفعول الكحول:

«أووف! أشعر أنَّني لست على ما يرام. أعتقد أنَّني أسرفت».

«انظري إلى هذا! ها قد وصلنا! إنَّه المحيط!» أمسكت سايوكو بيد أكاري

وهرعت تجتاز بها الشارع، متجاهلة الضوء الأحمر، وتسلقتا حاجز الحرس، ووصلتا إلى الرمال. تلألأ سطح المياه الهادئ برّاقاً، بأشعة الشمس التي لاتزال في كبد السماء. كان الشاطئ يعجُّ بالرواد. وعلى أحد الجانبين كشك لبيع الطعام يضع شارة تصوِّر كوزاً ضخماً من الذرة.

باشرت سايوكو بالاتجاه نحو المياه لكنَّها شعرت بأكاري تجرُّ قدميها جراً. نظرت إلى أسفل:

«ما الأمر، يا حبيبتي؟».

وقفت أكاري وقدماها مثبّتتان بقوة في الرمال، وتشدُّ يد سايوكو إلى الوراء وبقوة مذهلة. كان وجهها شاحباً وكامل جسمها متوتراً بفعل الخوف.

أدركت سايوكو الوضع: «أوه، هذا صحيح. أنت لم تري المحيط من قبل»، وهي تضحك من مشهد ابنتها وقد تحوَّلت إلى كتلة من الحجر، جلست القرفصاء بجوار أكاري وحاولت أن تطمئنها: «لا بأس، يا حبيبتي. اهدئي. لا شيء يستدعي الخوف. لقد سبق أن ذهبت إلى الشاطئ مرة عندما كنت طفلة صغيرة، بالقرب من منزل الجدِّ والجدَّة في تشيبا، ولكن أعتقد أنَّك لا تتذكَّرين. أعدك بأنَّه لا داعي للخوف. أليس جميلاً؟».

وقفت أكاري تحدِّق بخوف إلى الامتداد اللامتناهي للمياه، وشفتاها مغلقتان بخط صارم. وأخيراً لحقت آوي بهما، لاهثة الأنفاس:

«من أين لكما هذه الطاقة كلها للجري بهذا الشكل، يا رئيسة؟».

قالت سايوكو، مشيرة إلى أكاري مع قهقهة: «أتصدِّقين هذه الطفلة؟ إنَّها ترى المحيط للمرة الأولى وإذا بها تتجمَّد».

«واو! ألم تري المحيط من قبل؟ إذن ستكون هذه تجربة للذكرى!».

يبدو أنَّ آوي نسيت كم كانت تلهث، فضمَّت الفتاة الخائفة بين ذراعيها واندفعت إلى الماء. صرخت أكاري وكأنَّما وضعت على نار. هرعت سايوكو

في إثرهما، والرمال تقبض على قدميها.

بما أنّها كانت لاتزال تحتفظ بملاءة النزهة البلاستيك من يوم الرياضة، مدَّتها سايوكو على الشاطئ، وجلست هي وآوي مع الطفلة الناشجة بينهما. لا شيء يقف في طريق الشمس، وشعرت كأنَّ الصيف قد عاد.

قالت «حقاً لا أصدِّق هذا».

قالت: آوي، وهي تتمدَّد على ظهرها: «ماذا؟».

«كوني هنا. يبدو صعب التصديق».

حدَّقت آوي إلى السماء: «بحق الله، كأنّنا طرنا إلى فرنسا أو مصر. إنّنا فقط على مسافة من طوكيو يمكن قطعها برحلة بالقطار مقابل مبلغ لا يزيد عن 2000 ين».

«أعلم».

لم تكف أكاري عن البكاء، لذا فتّشت سايوكو في حقيبتها بحثاً عن قطعة من السكاكر ووضعتها في فم ابنتها. ظلَّت الفتاة تنشج بين حين وآخر وهي تمتصها، وتتشبَّث بشدَّة بأمّها، لكنّها أيضاً التفتت الآن ورمت البحر بنظرة فضولية. تدحرجت أمواج واطئة على الشاطئ مشكِّلة رذاذاً من الزبد الأبيض، ثم تركت آثارها البيضاء على الرمال في أثناء تراجعها. وبلغ صوت تحطم الأمواج آذانهن بعد ذلك بجزء من الثانية. وحامت طائرة من الورق عالياً فوق الرؤوس.

«لقد جعت. سأعود في الحال».

قفزت آوي واقفة على قدميها ومحفظتها في يدها وانطلقت نحو كشط بيع الأطعمة. بعد بضع دقائق عادت بكوزين مشويين من الذرة وعبوتين من البيرة. أعطت واحدة من كل منها إلى سايوكو، وجلست على الأرض القرفصاء وقضمت نصيبها من الذرة. ملأت منخري سايوكو نفحة من صويا المحترقة

المنبعثة من صلصة التطرية، وغرزت أسنانها في قطعتها الدافئة المحمَّصة. وأخيراً، جفَّفت أكاري دموعها، ومدت يدها نحو نصيب سايوكو من الذرة، راغبة في التذوُّق.

قالت سايوكو: «هذا يذكِّرني بأيام المدرسة الثانوية». فعندما كانت في السنة الأخيرة من المدرسة الثانوية، أمضت فترة من الزمن بصحبة صديقتها الحميمة حينذاك، تتردَّدان إلى الشاطئ في رحلات قصيرة على متن القطار انطلاقاً من أماكن سكنهما. تجلسان على الرمال وتتحدَّثان ساعات من دون توقُّف. لم تعد تتذكَّر ما تحدَّثتا عنه، لكنَّها تذكَّرت مدى حزنها كلما بدأت الشمس بالمغيب:

«كنت أكره العودة إلى المنزل، لذا كنا نبقى في المكان أطول مدة ممكنة، إلى أن تغمر الظلمة السماء بأكملها. ذلك أنَّنا حالما نعود إلى المنزل يتبع ذلك آلياً مجيء الغد، صحيح؟ أعتقد أنَّ هذا هو الجزء الذي كنت أكره أكثر من أيِّ شيء آخر».

قالت آوي: «هذا يذكِّرني أيضاً بالمرحلة الثانوية». جلست القرفصاء، تحدِّق إلى الأفق.

«أنت أيضاً كنت تعيشين بالقرب من المحيط؟»

لم تجب آوي. بدلاً من ذلك قالت بتأمُّل: «هناك شيء منعش في الشاطئ، أليس كذلك؟ من السهل كثيراً إرجاء الأمور، تأجيلها من يوم إلى يوم، ولكن سرعان ما تجدين أمامك ركاماً هائلاً من الأشياء التي تجثم على كاهلك، أووف، وتتطلَّب منك أن توليها اهتمامك الفوري. وفجأة تشعرين بثقل ذلك الركام، وبأنَّك ستنهارين تحت ثقله. ولكن من ثمَّ تأتين إلى الشاطئ، وإذا بذلك الركام يتلاشى. قد يكون ذلك مجرد وهم، ولكنَّني لطالما شعرت بذلك الارتياح الهائل بصورة ما».

نظرت سايوكو إلى آوي. لم يكن هناك من سبيل لتعرف ما يمكن أن تتضمنه عبارة «ركام كامل من الأشياء» الذي يثقل كاهل امرأة تدير تجارة برمّتها. ولكن بات من الصحيح تماماً الآن أنَّ ركامها الخاص من الأشياء - التوترات المتراكمة على مدى الأيام، الحنق المكظوم ولا سبيل إلى تحريره، الشك الملح بشأن المستقبل - يبدو أنّه يتلاشى كالزبد على الشاطئ.

قالت سايوكو: «ربما عندما نتقدَّم في السّن، سنبني لأنفسنا منازل على شاطئ البحر، ونقضي أيامنا نحتسي الشاي ونشاهد توافد الأمواج على الشاطئ».

قالت آوي: «هذا هو الكلام المعقول! لا تتخيّلي كم مرة حلمت بشيء كهذا. مع مجموعة كاملة من الأرواح اللطيفة التي تقيم متجاورة، كما تعلمين».

عندما قالت آوي هذا، لم يعد يبدو مجرد أوهام؛ بل بدا أقرب إلى برنامج عمل متكامل لحلم قريب المنال.

قاطعتها أكاري بصوت عال، مادة يديها عالياً لأمّها لتراها: كانتا ملوّثتين بصلصة الذرة، «ماما!»، ثمَّ أردفت بنبرة حزينة، كأنّها توشك أن تبكي من جديد «أنا دبقة».

هتفت آوي، وهي تضع جانباً نصيبها نصف المأكول من الذرة: «أعلم هذا! هيا بنا نغسلهما في المحيط!» ورفعت أكاري وراحتا تتسابقان نحو الأمواج المتكسّرة. عندما وصلتا إلى حافة الماء، انفجرت أكاري في البكاء من جديد، صارخة بأعلى صوتها. مالت آوي لتبلّل يديّ الطفلة بالماء، ثم هربت مبتعدة عن موجة تقترب مع نوبات من الضحك. ضيّقت سايوكو عينيها وهي تراقبهما وهما تكرّران الحركات نفسها مرة بعد مرة. ارتفع معطف آوي الأحمر مع الريح. بدأ صراخ أكاري يشبه الضحك كما البكاء. وتراقص ظلُّ صورتيهما

الجانبي المحاط بلون الذهب على حافة الماء أمام البحر المتلألئ خلفهما.

انحدر قرص الشمس على صفحة السماء وكأنَّ قوَّة خفيَّة تجرُّه نحو الأفق. امتدت حزمة من الضوء البرتقالي إلى منتصف البحر كقماش ثوب كيمونو يفرش على الأمواج.

أرهقت أكاري من فورة الصراخ والصخب والضحك والذعر، خاصة بعد إثارة يوم الرياضة الخاص بها، وازدادت تراخياً بين ذراعي سايوكو. نعست قليلاً، ثمَّ انتفضت وعادت إلى اليقظة. قالت، محاولة وهي ناعسة أن تشترك في الحديث: «ماما، أتعلمين؟» وبعد بعض التربيت الرقيق على الظهر غفت من جديد.

وصلت الشمس الغاربة إلى خط الأفق وبدأت تغوص بسرعة، صابغة البحر بالضوء الأرجواني. وفوق الرؤوس، كانت السماء قد أظلمت توّاً بلون نيلي باهت.

ارتعشت آوي: «برررر، الجو يزداد برودة. اللعنة! لقد أدركت توّا أنَّني نسيت أن أحجز غرفاً. المكان الذي كنت أفكِّر فيه يقع على قمة التل خلف المحطة مباشرة. دعونا نذهب ونرى ماذا سيقولون». نهضت واقفة على قدميها ونفضت الرمل عن ملابسها: «وبعد أن نغوص في الينابيع هنا هذه الليلة، يمكننا أن نذهب إلى هاماماتسو في الصباح لنأكل طبقهم الشهير من لحم الأنقليس، ونذهب بعدها إلى ناغويا بحلول المساء لتناول أجنحة الدجاج وشرب البيرة. هل يعجبكما هذا؟ إذن بعد قفزة أخرى، ثم طفرة، ويمكننا أن نملأ بطوننا حتى نبدو بلهاء من طعام أوساكا في الليلة القادمة».

أخرجت نبرة صوت آوي الناعمة الضحك الطلق من سايوكو. وكادت تقول ساخرة، *وفي اليوم الذي يلي، نقول، انتبهي يا كوبه، ها قد جئناك!*، ولكن بدلاً من ذلك تلاشت الابتسامة عن وجهها. وفجأة تساءلت: إلى أين تعتقد أنَّها

ذاهبة؟ ماذا لو أنَّها ليست فقط ذاهبة إلى هاماماتسو أو ناغويا أو أوساكا، بل إلى مكان ما أبعد – بعيد إلى درجة أنَّها لن تتمكَّن من معرفة طريق العودة؟

عندما أكون معك، أشعر أنَّ في استطاعتي أن أفعل أيَّ شيء.

بينما تردَّد صدى الملاحظة التي أدلت بها في وقت مبكِّر من ذلك اليوم في أذنيها، امتثل وجه شوجي أمامها. هذا هو الرجل الذي لم يرفع إصبعاً قط ليساعدها في تربية الطفلة أو في الأعمال المنزلية الروتينية ونظر إلى عملها صراحة بعين الاحتقار، وانتابتها رعشة برودة لإدراكها أنَّ وجودها مع آوي يجعلها حقاً تشعر بأنَّ في استطاعتها أن تفعل أيَّ شيء. فلماذا تستمر في مداراة شكاواها؟ لم لا تهجر زوجها الناكر وتعيش حياتها مع أكاري؟ لقد كان وجودها مع آوي يمنحها، بصورة ما، وهم كونها قادرة على فعل ذلك؛ وقدرتهما على الاستمرار في العيش. تماماً كما جعلها تقرِّر أن تأتي إلى أتامي.

لكنَّ قلق سايوكو تفاقم حول قضاء الليلة. لقد انطلقت في رحلة ليلية ممتعة معتقدة أنَّها ستكون مثل صفعة خفيفة على معصم شوجي، ولكنَّها فوجئت بأنَّ ابتعادها عن المنزل ليلة واحدة فقط يمكن بسهولة أن يتضخَّم ليغدو شيئاً أكبر بكثير. ألم يكن هناك عمل أشدُّ حيوية بكثير بالنسبة إليها تقوم به بدلاً من قضاء الليل في أتامي؟ فإذا كان لديها وقت لتستحم في ينابيع حارة، أما كان يجدر بها في خلاله أن تواجه زوجها وتخرج مصادر سخطها وتذمُّرها وشكوكها كلِّها إلى العراء؟

قالت سايوكو عندما اجتازت رفيقتها سياج الحرس الذي يفصل الشاطئ عن الطريق العامة: «أتدرين؟» التفتت آوي لتنظر إليها: «ما دمت لم تحجزي أماكن، ما رأيك في أن نعود إلى المنزل اليوم؟ وربما نجد أولاً مكاناً جميلاً نأكل فيه، ومن ثم نعود إلى المنزل».

قالت بيسر: «لماذا تقولين هذا؟ إذا كنت قلقة بشأن التكاليف، لا مشكلة. أنا سأدفع التكلفة». ظنّت سايوكو أنّها أضحت تتعوّد أساليب آوي السلسة، لكنّ الكلمات أتخمت أذنيها.

قالت سايوكو: «الأمر ليس هكذا. إنّني لم أجلب ملابس لأغيّر لأكاري، والنوم في مكان غريب قد يجعلها تبلّل السرير أو تبقى يقظة وتبكي».

قالت آوي بمرح: «ليست هذه مشكلة. إذا كانت في حاجة إلى ملابس نظيفة، سنذهب ونشتري بعضها. أنا واثقة من قدرتنا على العثور على مخزن لبيع ملابس للأطفال في مركز التسوُّق. ولن أنزعج إذا بلّلت السرير أو بكت».

في أثناء إصغائها إلى هذا، اتّضح لسايوكو فجأة مدى اختلاف عالميهما. فهل ستخرج آوي محفظتها وتعرض أن تدفع ثمن ملابس الأطفال من جيبها من جديد؟ هل ستبقى حقاً شديدة الهدوء وهي تراقب سايوكو تغيّر بانزعاج شديد المفارش المبلّلة أو تحاول أن تهدّئ بكاء الطفلة؟

قالت سايوكو، وهي تجبر نفسها على الابتسام: «كنت أودُّ أن أذهب إلى هاماماتسو أو أوساكا أو أينما كان، ولكنّ الهروب لن يوصلني إلى أي هدف، كما تعلمين. ثمّ إنّني سأعود في يوم بعد غد إلى العمل من جديد. حان وقت مصارعة المسؤوليات من جديد. نحن لم نعد تلميذتي مدرسة يمكنهما أن تقضيا أيامهما تمرحان على الشاطئ».

تلاشت الابتسامة عن وجه آوي وانتشر مكانها تعبير جامد أجوف. تمتمت بصوت كاد لا يسمع: «هروب؟».

لما شعرت سايوكو بالرعب من التغيُّر المفاجئ في صوتها، أسرعت إلى الشرح، قالت: «كنت أفكّر في أنّني ربما أستطيع أن ألقّن زوجي درساً في الهروب لليلة من دون موافقته، ولكنّني أدركت أنّ مجرّد الهرب من مشاكلي بهذه الطريقة لن يوصلني إلى أيّة نتيجة. والحقيقة هي أنّني أشعر حقاً وكأنّ في

استطاعتي أن اذهب معك إلى أوساكا، أو إلى آخر الأرض، وعلى هذا الأساس يمكن أن ينتهي بي الأمر إلى هجران زوجي إلى الأبد».

في المعتاد، تتوقَّع سايوكو منها أن تكتفي بالضحك وتدلي بتعليق خفيف عن الزوجات الهاربات. وبدلاً من ذلك، قالت بصوت هزيل ورفيع، وبوجه خالٍ تماماً من أي تعبير: «هل قال أحد لك شيئاً؟».

لم تفهم سايوكو، فقالت: «عفواً؟».

تلوَّت شفتاها لترسما ابتسامة من جديد: «ما الذي تخشين أن أفعل لك؟»، لكنَّها كانت ابتسامة مختلفة عن سابقتها - ابتسامة متهكِّمة، مشوَّهة.

عندما لم تتمكَّن سايوكو من فهم فحوى قول آوي، لم تفكِّر إلا في أنَّها لابد قد جرحت مشاعرها برفضها دعوتها. وقد دهشت عندما اكتشفت أنَّ آوي حساسة، ولكن ذلك هو التفسير الوحيد الذي يمكن تصوُّره للتغيُّر المفاجئ الذي لاحظت.

ثم فهمت الأمر: آوي لم تفهم حقاً أنَّ هناك أناساً في هذا العالم لديهم ظروف مختلفة عن ظروفها. هذه امرأة برهنت بكل سلاسة أنَّ الجميع مختلفون، وأنَّ الفروق هي التي تجعل للقاءات معنى، ومع ذلك بدت عاجزة عن أن تتصوَّر بأيِّ قدر مهما صغر معنى هذا بالنسبة إلى ربَّة منزل مسؤولة عن منزل تغيب سحابة الليل من دون إخطار أحد - أو الحريق الذي يمكن أن يثيره حتى إذا ذهبت إلى المنزل في ذلك الوقت.

تململت أكاري بين ذراعيّ سايوكو ورفعت رأسها.

سألت وهي ناعسة: «أين نحن، يا ماما؟»، ونظرت إلى هذه الناحية وتلك: «أريد أن أذهب إلى المنزل. أريد أبي». وضغطت وجهها على صدر أمِّها في حالة استعداد للبكاء. وكأنَّها عبَّرت عمّا يجول في رأس سايوكو.

ثم التفتت إلى آوي: «أنا موقنة من أنَّك ستكتشفين عندما سترزقين بعائلة

خاصة بك، أنّك إذا لم تخططي للأشياء مقدّماً، فستتخبطين في أنواع الفوضى كافة. فماذا تعني ليلة واحدة، قد تقولين، وهذا ما أعتقد، أيضاً. ولكن ينبغي لي حقاً أن أفكّر في طفلتي الصغيرة».

كانت أكاري قد بدأت تنشج. فربتت سايوكو على ظهرها بلطف.

قالت آوي: «طبعاً». كانت الابتسامة المشؤومة قد تلاشت الآن: «آسفة لأنّني قبلت الكثير من الأشياء بداهة. ولكنّني لاأزال حرّة وخالية من الهموم، ولا أحد ينتظرني في المنزل، لذلك ما دمت موجودة هنا أعتقد أنّني سأبقى وأستمتع قليلاً. المحطة تقع في هذه الجهة». مدّت يدها إلى جيب معطفها لتخرج هاتفها وطلبت رقماً بسرعة.

قالت سايوكو، محاولة أن تجذب انتباهها: «هناك أمر واحد»، لكنّها كانت تضع أذنها على الهاتف ورأسها منكّس وتجاهلتها. أصبحت أكاري تبكي برصانة الآن، وتردّد صدى صوتها في الظلام فوق الأضواء المنبعثة من محلات بيع الهدايا على طول الشارع.

جرى الاتّصال وأضاء وجه آوي: «مرحباً، هذه أنا. أعلم أنّها مفاجأة، ولكن هل يصادف أنّك حرٌّ هذه الليلة؟ ما رأيك في الفوز بقضاء ليلة ممتعة في مدينة أتامي التاريخية؟ الصديقة التي كان من المفترض أن آتي معها خذلتني، لكنّني وصلت إلى هنا، ويبدو مؤسفاً أن أعود من حيث أتيت، كما تعلم؟ ها ها ها، هذا صحيح. إذا كنت مشغولا، سأفكّر في شخص آخر. أحقاً؟ أأنت متأكد؟ عظيم! سوف أتمشّى، لذلك اتصل بي عندما تصل إلى هنا. وإياك أن تأكل أيَّ شيء في الطريق. سيكون في انتظارك عشاء عامر. أهاه. أراك لاحقاً».

ضغطت على الزر السفلي والتفتت إلى سايوكو وكأنّها لاحظت للمرة الأولى أنّها واقفة هناك:

«أوه، المبلغ اللازم للوصول إلى طوكيو هو 1،950 يناً، أليس كذلك؟ هل ينقصك المال؟ هل تريدين مني أن أدفع نيابة عنك؟».

«كلا، معي ما يكفي».

«أعتقد أنّني سأبدّد بعض الوقت هكذا إلى أن يأتي تاكيشي. إلى اللقاء»، قالت هذا على عجل وأعطت ظهرها لها وهرعت مبتعدة نحو مركز التسوُّق في الجهة المقابلة من المحطة.

تاكيشي؟ آوي اتصلت بتاكيشي؟ اختارت تاكيشي كيهارا ليحلَّ محلَّ سايوكو التي «تخلَّت عنها»؟

حدَّقت سايوكو، في حال من عدم التصديق المصعوق، في قامتها المبتعدة.

كانت أكاري تنتحب بين نوبات النشيج قائلة: «هل سنذهب إلى البيت، ماما؟ أريد أن أذهب إلى البيت!».

«نعم، يا عزيزتي. ها نحن ذاهبتان». لاحظت سايوكو وجود ارتعاش في صوتها وهي تحاول تهدئتها.

اشترت صندوقي غداء من كشك داخل المحطة قبل أن ترتقي الدرج إلى الرصيف. كان الرصيف المعتم خالياً. أجلست سايوكو ابنتها على المقعد وجلست إلى جوارها، ولكن سرعان ما بدأت أكاري تصخب لكي تحملها من جديد.

قالت سايوكو: «الماما متعبة».

صخبت الفتاة، محاولة أن ترتقي حضن أمِّها: «احمليني! احمليني!».

الصديقة التي كان من المفترض أن أكون معها خذلتني... آسفة لأنّني قبلت أشياء كثيرة بداهة... هكذا تردَّد صوت آوي في أذنها. *هل ينقصك المال؟ هل تريدين مني أن أدفع نيابة عنك؟*

بدأ كلُّ نسيج النهار الذي أمضته يتغيَّر شكله ببطء في مخيلة سايوكو. في

الواقع ما أتت آوي لكي تنقل لها الخبر الجيد عن الأعمال؛ لقد جاءت لكي تتطفَّل على يوم أكاري الخاص في المدرسة. وما دعتهما إلى أتامي للاحتفال؛ بل لكي تساعداها على الترويح عن نفسها.

في خلال محاولة أكاري الجلوس في حضن سايوكو، رفست بلا قصد غداءهما وأسقطته عن المقعد على الرصيف. وفي الحال جمدت في مكانها ترقُّباً للتقريع، محدِّقة بحذر إلى وجه أمِّها. رمت سايوكو علبة البلاستيك البيضاء المستلقية على الأرض الإسمنتية بنظرة جوفاء. أعلن مكبِّر الصوت عن أنَّ القطار المتوجه إلى طوكيو يقترب وبعد بضع لحظات هدر داخل المحطة. نهضت سايوكو ببطء واقفة على قدميها، ثم انحنت لترفع الصندوق.

قالت أكاري، ولاتزال متوترة بالترقُّب: «آسفة، ماما. آسفة».

لم تكن العربة مزدحمة كثيراً، لذا توافر لسايوكو وأكاري مقصورة من أربعة مقاعد لهما وحدهما. جلستا جنباً إلى جنب وأكلتا وجبتيهما. وبعد الانتهاء، وضعت أكاري رأسها على حجر سايوكو واستغرقت في النوم. حدَّقت سايوكو إلى انعكاس صورتها على زجاج النافذة.

كان تاكيشي، بأسلوبه الخالي البال، في طريقه الآن إلى أتامي، حيث سيقابل آوي ويمضي الليل معها في نزل الينابيع الحارة. قالت سايوكو في نفسها، ما أشدَّ ابتذال آوي، *ما أشدَّ ابتذالها بلجوئها إلى أمثاله.*

لكنَّها أدركت بعد برهة أنَّ سلوكها لم يكن أفضل. فلعلمها أنَّ آوي سوف تدعمها عند الحاجة، رافقتها بمرح إلى أتامي – قبل أن تعود إلى رشدها وتتوجَّه إلى المنزل، متخلِّية عن مكانها لتاكيشي. لقد سمحت لنفسها بكل غباء أن تصدِّق أنَّ في إمكانها أن تتبع آوي وتفعل ما تريد.

ذكَّرها التعبير المرتسم على وجهها والسابح في الظلام خارج النافذة بنفسها وهي طفلة بعد أن تلقَّت تقريعاً من جديد لأنَّها تقضم أظافرها.

-12-

عندما قالت آوي إنَّها تريد أن تذهب لحضور مراسم انتهاء السنة الدراسية لم يعترض أيٌّ من والديها. ظنّت آوي أنْ أمّها يمكن أن ترافقها، لكنها لوَّحت لها بيدها مودّعة عند الباب.

في المدرسة، بدا كلُّ شيء نائياً. تجنَّبتها زميلاتها في الصف، وابتعدن عنها في أثناء التحدُّث فيما بينهن. فإذا اعتقدت أنَّها سمعت إحداهن تنادي اسمها والتفتت، يتوقَّف الحديث في الحال وترتسم الابتسامات المرتبكة على الوجوه كلِّها. وبدا لها أنَّ التجمُّع الكبير في يوم الإغلاق والرسميات في غرفة التفقُّد تجري على الجانب الآخر من جدار خفيٍّ يكتنفها من كلِّ جانب.

كانت آوي تأمل في حضور ناناكو أيضاً، ولكن عندما دقَّقت النظر في غرفة صفّها وجدت مقعدها خالياً. سألت زميلات ناناكو إذا كانت إحداهن تعرف مكانها، فقلن، آسفات، ولكن لم يخبرنا أحد بشيء أيضاً، فجأة بدت أصواتهن دافئة. هذا الجواب، أيضاً، بدا كأنَّه قادم من وراء حاجز خفيٍّ، سميك.

بعد انتهاء المراسم، خرجت آوي من البوابة تحت سماء شتوية غائمة. كانت هناك سيارة أجرة متوقفة في موقع قريب.

«آوي!».

عندما لمح السيد ناراهاشي ابنته، أسقط سيجارته عند قدميه ونادى عليها بتلويح مرح من يده.

قال مع تكشير واسع بعد أن استقرَّت آوي في مقعد الراكب: «قلت في

نفسي إنّنا ربما نذهب إلى إيسيزاكي - أنت وأنا فقط. لن نخبر الماما. عيد الميلاد على الأبواب، ونستطيع أن ننتقي شيئاً كهدية لك لعيد الميلاد. سأبتاع لك أيَّ شيء ترغبين فيه. ضمن حدود المعقول، طبعاً - لا يكون باهظاً بشكل فادح».

كان ثرثاراً على غير عادته في أثناء قيادة السيارة مجتازاً نهر واتاراسه نحو منطقة تكتظ الشوارع فيها بالمحلات التجارية الصغيرة، ثم ينعطفان يميناً إلى الطريق العامة المؤديّة إلى خارج المدينة:

«أتذكَّر أوَّل انتقالنا إلى هنا، وكيف أمضينا وقتاً عصيباً في أثنائها، لم أكن أعرف الشوارع أو مكان أيِّ شيء. وكثيراً ما اضطررت إلى سؤال الركّاب عن الاتجاهات، وذات مرة انهال عليَّ أحد الركاب مؤنّباً: «إذا كنت سأدفع لك لتوصلني إلى هدفي، فلماذا بحقِّ الله أنا مضطر إلى القيادة؟» لقد كان غاضباً حقاً. لكنَّ هذا أصبح من الماضي الآن - مضى أكثر من عام. وهذه الأيام يسميني الناس أفضل سائق سيارة أجرة في غونما».

أطلَّت الشمس من خلال صدع في الغيوم السميكة، ناشرة أشعتها الضعيفة على الأرض تحتها. كانت عبارة «جنوب الهادئ» التي تزيِّن السيارة وتعوَّدت آوي رؤيتها قد أزيلت. وأزيل عقد الزهور الذي كان يتدلى من الخلف. وأزيلت الوسائد المزخرفة بالزهور المبهرجة عن المقعد الخلفي. وأزيلت العريشة البلاستيكية التي تكسو خلفية المقعد الأمامي.

قالت آوي، شاعرة بقليل من مشاعر الرثاء تجاه والدها لأنّه مضطر إلى التحدُّث مع نفسه طوال الطريق: «أرى أنَّك أزلت تلك الزخرفات الغريبة كلَّها».

«نعم. أمُّك قالت إنّني يجب أن أفعل. لقد رأت أنَّها في حالة مزرية. في الحقيقة، لقد أخبرني عدد كبير من الركّاب أنَّها تعجبهم. ولكن الناس الذين

يركبون في وقت متأخِّر من الليل بعد أن يكونوا قد سكروا يخافون أحياناً. يعتقدون أنهم يهلوسون أو ما شابه ذلك».

انفجر ضاحكاً. تساءلت آوي إن كان ما كتب في المجلات له صلة بنزع الزينة.

قالت، محاولة أن تضحك قليلاً، «أنا سعيدة لأنّك تخلّصت منها، يا أبي. لقد كانت مبتذلة».

«أحقاً؟ أتظنينها مبتذلة؟» وضحك من جديد.

كانت امتيازات بيع الأطعمة السريعة ومطاعم العائلات تملأ الطريق. لدى رؤيته لها من خلال النافذة، سألها: «ما رأيك في تناول طعام الغداء، يا آوي؟ هل الدوام القصير يعني أنّك لم تأكلي في المدرسة؟

«لست جائعة».

«حسن، أخبريني عندما تجوعين. أعرف محلاً عظيماً لتقديم الرامن».

«لا أتوقّع ما هو أقلّ من أفضل مطاعم غونما».

التفتا لينظر كلٌّ منهما إلى الآخر وضحكا.

ظلَّ المشهد خارج النافذة يتبدَّل، لبعض الوقت، في الغالب بين المواقع السكنية العالية والمنخفضة وحقول الأرز. وهنا وهناك ارتفعت منشآت صناعية فوق مستوى المنازل. أصبحت الشمس تظهر أكثر الآن، وخط حواف سلاسل الجبال أضحى مرئياً على البعد مع انحسار الغيوم. تركت عينا آوي المشهد العام العابر، وراحت تعبث بأزرار معطفها. لقد سمحت أنظمة المدرسة للتلميذات الاختيار بين نمطين – الوحيد الصدر أو المزدوج. غالبية رفيقاتها في الصف اخترن المفرد، لكنَّ ناناكو وآوي اتّفقتا على الحصول على ذي الصدر المزدوج مع بداية عامهما الأول.

قال والدها: «إيسيزاكي وميتشي لديهما الكثير من مراكز التسوُّق، لذا

يمكنك أن تنتقي أيّة هدية تشائين. دمية محشوة. قطعة ملابس. أيَّ شيء مهما كان».

إذن هل نذهب إلى مركز نيتشي للتسوُّق؟ هكذا تخيّلت آوي ناناكو تسألها من المقعد الخلفي بصوت مرح. ألقت نظرة خلفها، ولكن طبعاً لم يكن هناك أحد - لا شيء غير مقعد مغسول حديثاً ومكسوٌّ بغطاء أبيض ناصع حتى ليتساءل المرء إن كان يجرؤ على الجلوس عليه.

قالت آوي، رافعة عينيها من جديد: «لا يخطر على بالي أيُّ شيء، حقاً».

نظر والدها إليها. كان يحمل تعبير الوجه المرسوم نفسه الذي حمله عندما طلبت منه أن يجلب لها مجلة وهي في المستشفى.

أردفت بسرعة، آملة أن تطمئنه: «أعني، ليس من أجل عيد الميلاد. ولكن هناك شيئاً أودُّ أن أحصل عليه في عيد مولدي التاسع عشر».

قال: «أتمزحين؟ إنّه لن يحل قبل مرور وقت طويل. ولكن ما هو؟»

«خاتم من الفضة».

«خاتم؟ إنَّها رغبة جديرة بشخص بالغ جداً. طبعاً، حاضر. سأشتري لك خاتماً. لا حاجة إلى الانتظار حتى تبلغي التاسعة عشرة. سوف نحضر لك واحداً هذا اليوم من محل نيتشي». كان والدها قد رفع من نبرة صوته بمرح، وبدا عليه الارتياح واضحاً: «ولكن لماذا تستقرين على الفضَّة؟ سأحضر لك واحداً من البلاتين».

«أهو أقوى من الفضَّة؟»

«إنَّه أنفس بكثير. الفضة تفقد لمعانها. والذهب أفضل من الفضَّة، أيضاً، ولكن إذا بدأت بلبس خواتم الذهب وأنت في هذه السّن، قد يظنُّ الناس أنَّك مومس متشردة أو ما شابه. لا أعتقد أنَّك تعرفين هذا، لكنَّ خاتم أمِّك من البلاتين».

وباشـر يحكي لها ما حدث عندما ذهب ليشتري خاتم الزواج، غير أنَّ آوي قاطعته:

«المشكلة هي أنَّه لا يمكن أن يكون من أجل عيد الميلاد. يجب أن يكون من أجل عيد مولدي التاسع عشر».

«ولماذا؟».

ابتسمت آوي ابتسامة غامضة: «هذا سرٌّ. لذلك لا أريد أيَّ شيء اليوم، ولكن يمكنني أن أرى ما لديهم في محل نيتشي. بمعدن البلاتين».

«فكرة جيدة، فكرة جيدة. صدِّقي أو لا تصدِّقي، إنَّني أتمتع بعين بارعة جداً في الحكم على مثل هذه الأشياء. مذهل ما يمكنك أن تحصلي من تبادل الحديث مع الركّاب، حتى وإن كان الحديث عن حلي النساء المبهرجة. أراهن على أنَّني أعرف أكثر مما تعرفه أمُّك».

ضحك بصخب. وتذكَّرت آوي الطريقة التي ضحك بها على مائدة العشاء في أثناء أدائها المرتجل مع أمِّها.

قالت بهدوء بعد أن تلاشى ضحكه: «أبي، أريد منك أن تعلم مدى أسفي».

لم يقل والدها أيَّ شيء؛ اكتفى بالتحديق إلى الطريق الممتدة أمامه ويداه على المقود.

في إيسيزاكي، استعرضا مجموعة الخواتيم في محل نيتشي بالإضافة إلى محلات عديدة مستقلة لبيع المجوهرات، لكنَّهما عادا إلى سيارة الأجرة لكي يستأنفا رحلتهما من دون أن يشتريا أيَّ شيء. وبما أنَّ والدها بدا منكمشاً لأنَّه خرج من دون أن ينفق شيئاً عليها، طلبت آوي منه أن يأخذها إلى محل بيع الرامن.

قطعاً معظم المسافة المؤدية إلى المنزل قبل أن يبتعدا عن الطريق العامة ويتوقفا أمام محل صغير، لا يبدو علية النظافة الشديدة، لا يحتوي إلا نضد واحد دبق

يصلح للجلوس عليه. جلست آوي ووالدها جنباً إلى جنب، يأكلان بصوت مسموع من وعاء الشعيرية الذي وضعه الطبّاخ أمامهما، تتوّجه شرائح من لحم الخنزير المشوي. وكان ضوء الشمس الغاربة يتدفّق من خلال النافذة.

نخر والدها قائلاً عندما أوشك أن ينتهي، وهو يحدق إلى وعائه: «آوي؟»
رفعت عينيها: «بعد تناول هذا، يجب أن أغفو قليلاً وأقود طوال الليل، في الواقع». كفَّ عن تناول الشعيرية وأخذ رشفة من المرق، ثم عاد إلى التحديق إلى وعائه: «ومن المفترض بي أن أعود بحلول ظهيرة الغد. ولكن في الصباح، عندما أستيقظ، إذا... أعني، إذا تصادف..».

أبقت آوي عينيها مثبّتين عليه وهو يتكلّم داخل وعائه، ويتلعثم بحثاً عن كلمات:

«في الصباح، ستتوجّه أمُّك إلى المخبز عند الساعة السادسة، وستأتي جدَّتك كالمعتاد لتمكث معك في أثناء غيابها، لكنّني سأتحدَّث معها. لأنّني لم أتمكَّن أبداً من التأثير على أمّك، في الواقع، لكنَّ الجدَّة قد تكون أكثر تعاطفاً».

سكت مرة أخرى. تناول قضمة من لحم الخنزير، ومضغ قليلاً، ثم مسح فمه بظاهر يده وأخفض نبرة صوته على الرغم من أنَّ لا أحد كان يصغي:

«على أيّة حال، إذا تصادف ولم تكن جدّتك موجودة عندما تستيقظين، أريد منك أن تأتي إلى مزار شيراهيغه».

«لماذا؟» كان قلب آوي يخفق بقوة.

«سأحضر ناناكو نوغوشي لكي تراك».

رفع وعاءه بكلتي يديه وعبَّ مدّة طويلة، وبصوت عال من المرق.

«ولكن لماذا... كيف ذلك... أين ناناكو؟ كيف عثرت عليها؟» كان قلب آوي يضرب بقوة حتى الإيلام.

قال: «سوف يتوجّب عليك أن تسأليها بنفسك. أنا لا أستطيع أن أخبرك

أيّ شيء. سوف أقع في مشكلة كبيرة مع أمّك إذا اكتشفت هذا الأمر». أخيراً التفت لينظر إليها، «ولكن بما أنّك لا تدعيني أحضر لك أيّ شيء بمناسبة عيد الميلاد..». وابتسم بتينك العينين المجهدتين نفسيهما اللتين واجهها بهما من قبل.

حوّلت آوي نظرها، حاملة مقدار لقمة من الشعيرية بين عوديّ الطعام في الهواء، إلى ظاهر يده المتلألئة، التي لوّحتها الشمس.

عندما رأت آوي ناناكو واقفة إلى جانبها على الجانب المقابل من سيارة والدها المتوقّفة، حسبت أنّها تحلم. وظلّت تشعر هكذا حتى بعد أن اندفعت نحوها وأمسكت بذراعها. كانت في الواقع قد حلمت بتلك اللحظة مرات عديدة.

قالت صديقتها مع ضحكة قصيرة: «تبدين بأحسن حال، يا أوكينز!».

أشرق وجه ناناكو لها، وهي واقفة وتبدو أقصر من آوي بمقدار رأس، تشكّل أنفاسها بخارا أبيض أمام أنفها. كانت ترتدي المعطف المزدوج الصدر المشابه للذي كانت قد اشترته مع آوي قبل ذلك بعام، وإذا حكمنا من التنورة ذات الثنيات االبارزة من تحت المعطف المعتدل الطول، كان واضحاً أنّها ترتدي زيّها الرسمي الكامل. تمنّت آوي لو أنّها فعلت الشيء نفسه، بدلاً من أن تأتي ببنطلون الجينز ومعطف الصوف.

عندما شاهدتها، أرادت أن تسأل ناناكو عن أمور كثيرة. عمّا حدث بعد أن قفزتا. وعن وضعها الحالي. وعن المكان الذي انتقلت إليه، والسبب. وكيف السبيل إلى الوصول إليها. وكانت أيضاً واثقة من أنّها ستبكي عندما تتقابلان. بل لقد قلقت من أن تخنقها الدموع فلا تتمكّن من طرح أسئلتها. لكنّ عينيها بقيتا جافتين، ولم تعد للأشياء التي خطّطت لتسألها عنها أيّة أهمية. وبدلاً من ذلك وجدت نفسها تنزلق على الفور إلى النكات التافهة الخفيفة وكأنّهما

تقابلتا بالأمس القريب فقط.

«تبدين كأنّك فقدت شيئاً من وزنك. أكنت تتبعين حمية؟»

قفزتا معاً لتجلسا في المقعد الخلفي للسيارة. وكما فعل في اليوم السابق وضع السيد ناراهاشي شارة «متوقف عن العمل» على الواجهة الأمامية.

قال مازحا: «إلى أين، أيّتها السيدتان؟ طلباتكما أوامر».

قالت ناناكو: «في هذه الحال، ما رأيك بإيزو؟».

أضاف آوي بسرعة: «أو يوكوهاما».

«أي– بي– بي. لا يبدو أيّتها السيدتان أنّكما قد تغيَّرتما البتة».

قالت ناناكو، بتزمُّت شامخة بأنفها عالياً: «يا للفظاظة! حسن، رائع! أنا معي 1000 ين. خذنا إلى أبعد مكان يمكن أن يأخذنا هذا المبلغ إليه».

امتلأت سيارة الأجرة المدفّأة بالضحك.

انطلق والد آوي بالسيارة وقادها ببطء في هواء الصباح الضبابي. قليل من الناس يخرجون في مثل هذه الساعة. مروا بشخص يهرول وبرجل كبير في السّن ينزّه كلبه.

ألقت ناناكو نظرة إلى آوي مبتسمة ابتسامة خجلة. قالت، مشيرة إلى رأسها: «ما رأيك بشعري الكثّ؟ يدعو إلى الرثاء، هاه؟ تنعتني أختي الصغيرة دائماً بأسماء غريبة».

كان شعرها قد أصبح أسود اللون من جديد فوق قمّة رأسها، لكنّه بقي مبيّضاً تحت الأذنين.

قالت آوي، مشيرة إلى شعرها الحالك السواد: «حسن، وشعري سيئ جداً أيضاً. أتصدّقان هذا؟ لقد أحضرت لي أمي بعض الصبغة السوداء. إنّه يجعلني أشبه جدّة، أليس هذا صحيحاً؟».

لما لم يعد لديهما ما يقولانه بعد ذلك، ران الصمت عليهما معاً. واكتفيا

بتبادل النظرات والابتسام بين حين وآخر. ومع استمرار الصمت ازداد إحساسهما بالارتباك، عصرت آوي ذهنها لتخرج بشيء تقوله ولكن من دون جدوى. ولاحظت أنَّ ناناكو تنظر إلى ساعة يدها على فترات ويزداد قلقها. هل لديهما وقت محدَّد؟ أو ربما لم تعد ناناكو تريد حقاً أن تكلِّمها؟

بعد السابعة ببضع دقائق، مالت ناناكو إلى الأمام من مقعدها وقالت: «سيد ناراهاشي، هل نستطيع أن نذهب إلى النهر؟»

اخترقت السيارة سلسلة من الشوارع الضيِّقة على حافة البلدة حيث تقلُّ المنازل وينفتح المشهد العام. امتدَّ نهر واتاراسه أمامهم. حبست آوي أنفاسها. تلألأت المياه أمامهم في أنقى ظلٍّ من اللون الأزرق رأته عيناها، عاكسة توهُّج صفحة سماء الصباح.

قالت: «واو!»، وهي تضغط جبينها على النافذة عندما اقترب والدها من الجسر.

قالت ناناكو برقة وهي إلى جانبها: «لا يصبح اللون هكذا إلا في مثل هذا الوقت من النهار».

«لم أكن أعلم هذا».

«هذا لأنَّك دائماً تتوجَّهين إلى المدرسة متأخِّرة. وقبيل الساعة الثامنة، يعود إلى لونه الاعتيادي».

كرَّرت آوي: «لم أكن أعلم هذا». تخيَّلت ناناكو وهي تغادر المنزل قبل أن يقرع جرس المدرسة بوقت طويل وتتوقَّف عند مخبئها السرّي لكي تلتقط أنفاسها وتراقب النهر – في المدرسة الابتدائية، وفي مدرسة المرحلة المتوسطة، وحتى قبل بضعة أشهر في المدرسة الثانوية. تمثَّلت أمامها صور هشَّة لناناكو وكأنَّها تتذكَّر حدثاً شهدته بعينيها. إنَّها تفهم الآن لماذا كانت ناناكو تولي الكثير من انتباهها لساعة يدها: كانت صديقتها تريد أن تريها النهر وهو

يعكس صفحة السماء في هذا الوقت بالذات من النهار:

«هل تسمح لنا بالخروج، سيد ناراهاشي؟ أعدك بأنّني لن أهرب».

من دون أن ينطق بأيّة كلمة، شغّل العتلة لكي يفتح الباب الخلفي. خرجتا إلى الجسر.

قالت ناناكو بصوت منخفض عندما كانتا تمعنان النظر في أسفل النهر عبر السياج: «سوف أغيّر مدرستي».

«بسبب ما فعلنا؟».

«ليس بالضبط. أنا موقنة من أنَّ الناس سيخرجون باستنتاجاتهم الخاصة، واضعين في حسابهم التوقيت وما إلى ذلك، ولكنَّ الحقيقة هي أنَّ لا دخل لهذا بالأمر. أعني، فكّري بالأمر. لم يزعج والداي نفسيهما بتقديم بلاغ لقسم الأشخاص المفقودين حتى بعد مرور شهر، لذلك لا يمكنك أن تتوقّعي من مشكلة صغيرة كهذه أن تجعلهما يتحركان. كلا، فهذه مسألة تهمُّ عائلات أخرى. يجب أن أنتقل للعيش مع أحد أقربائي».

انسابت غيمة ببطء عبر صفحة مياه النهر. تلاشت أنفاس ناناكو البيضاء في الهواء الصقع في أثناء كلامها.

سألت آوي: «هل يقيمون في مكان بعيد من هنا؟».

«هذا يعتمد على ما تقصدين بكلمة بعيد، أما أهلي فمن سكان غونما الحقيقيين. لذا فإنَّ أبعد مكان على هذا الأساس سيكون ميناكامي أو شيمونيتا. طبعاً، بعد عام أو نحوه، أستطيع أن أستقل بنفسي. وهذا الأمر غير وارد الآن».

لم يكن لدى آوي أدنى فكرة عن موقع هاتين المدينتين: «أتعرفين ماذا سيكون عنوانك هناك؟».

قالت، وعيناها تحدّقان إلى النهر: «ليس بعد. سأدوّنه لك عندما أعرفه».

كان السيد ناراهاشي يتكئ على السيارة وظهره إليهما، يدخّن سيجارة وينظر عالياً إلى السماء.

قالت آوي: «وعد؟».

«وهل سبق أن نكثت وعداً؟».

«سنتقابل من جديد، أليس كذلك؟».

قالت ناناكو: «طبعا سنفعل. لن أنتقل إلى الفضاء الخارجي». حدَّقت في صمت إلى النهر بعض الوقت، ثم التفتت إلى آوي مبتسمة ابتسامة خفيفة: «أعتقد أنَّ الناس أقوى مما يظن المرء، هه؟»

لم تقل آوي شيئاً، لأنَّها لم تفهم ما كانت تتحدَّث عنه ناناكو.

أضافت: «لقد كنا غبيتين حقاً».

أخيراً فهمت آوي قصد صديقتها. تدفَّق النهر بهدوء تحتهما، ولونه المعجز لا يتغيَّر ولو للحظة. شعرت آوي وكأنَّها لاتزال على سطح دوميل إيسوغو، تحدِّق مستشرفة المدينة من أعلى والغسق يغمرها.

تنهدت ناناكو: «نحن لم نصل إلى أيَّة غاية».

«ما أتعجَّب منه هو المكان الذي كنا نحاول بلوغه».

لم تجب ناناكو. وبحثت آوي عن سبيل لتغيير الموضوع:

«أتذكرين يا ناناكو ما قلنا عن الخواتم في عيد ميلادنا التاسع عشر؟» رفعت ناناكو بصرها إليها. «أبي يقول إنَّ البلاتين أفضل من الفضَّة. لذا قرَّرت أن أهديك خاتماً من البلاتين. وبهذا ستكونين أسعد حالاً مما لو حصلت على فضَّة»، بينما هي قالت ذلك، شعرت بالدموع تتجمَّع في عينيها، وأسرعت فأضافت، لتضايقها: «وخصوصاً أنَّني اكتشفت أنَّك لن تعثري على صديق».

«إذن هذا ما سأهديك، أيضاً»، سدَّدت ناناكو إليها نظرة مباشرة وهي تقول

هذا لكنّها لم تبتسم.

ثم ران عليهما الصمت من جديد ووقفتا تحدّقان إلى النهر المتدفّق برقّة ومرافقهما مستندة إلى السياج.

قالت ناناكو: «يبدو كأنّ النهر هو السماء في الواقع، أليس كذلك؟ كأنّ السماء تتدفّق مارّة من تحت أقدامنا. إنّ الوقوف هنا ومراقبة المياه، كأنّك واقفة في مكان ما في السماء، من دون أن تعرفي أين أنت. هل هذا ما تشعرين به؟».

ثبّتت آوي نظرها بقوة على المياه، رغبة منها في أن تختبر الشعور بالضبط كما وصفته. مقطع من السماء رحب كالنهر انساب من تحتها، وإحساس خاص بالطفو اجتاحها، كأنّ قدميها ترتفعان عدة سنتيمترات عن الأرض.

قالت: «هذا ما أشعر به حقاً».

لدى عودتهما إلى السيارة، كانت ستة أعقاب سجائر مسحوقة ومبعثرة على الأرض حول قدميّ السيد ناراهاشي. عادت الفتاتان إلى المقعد الخلفي من دون أن تنطقا بأيّة كلمة.

قال بمرح وهو يجلس خلف المقود ويشغّل المحرّك: «هل نقوم إذن بجولة أخرى؟».

داروا حول المدينة مرات متعددة، مارين من أمام المحطة التي تزداد ازدحاماً كلّ دقيقة، ومن أمام بوابة مقفرة لإحدى المدارس الثانوية، وشقوا شارع التسوُّق الذي كان لايزال مقفلاً والمزيَّن بأكاليل عيد الميلاد، ومنه إلى الشارع العام المزدحم بمنافذ بيع الأطعمة السريعة، وعادوا من جديد إلى النهر الذي كان قد استعاد لونه المعتاد. فهمت آوي أنّ والدها ينوي أن يمكث داخل حدود المدينة. وسرعان ما أخذ المشهد خارج النافذة يتكرَّر: المحطة الصاخبة، منطقة التسوُّق المقفلة، الطريق العامة المغبرَّة، النهر. قالت آوي لنفسها، إنّه مثلها –

تحاول أن تصل إلى مكان ما لكنّها تبقى تائهة، ودائماً تعود إلى حيث بدأت.

لم تتكلّم الفتاتان. مرّت يد ناناكو على يد آوي الموضوعة على المقعد بينهما. أمسكت آوي بها بهدوء بيدها وشدّت عليها، وشدّت ناناكو يدها في المقابل. راحتا تراقبان، بأيد متشابكة، البلدة تتدفّق مارة، كلُّ واحدة منهما من نافذتها. ظنّت آوي، لبرهة من الزمن، أنّها رأت نفسيهما بملابسهما الصيفية الرسمية تمران خارج النافذة – طالبتان في المرحلة الثانوية تنطويان على نفسيهما من فرط الضحك، تلكز كل واحدة منهما الأخرى في أضلعها، تتحدّثان في أمر ما ورأساهما متقاربان، تأكلان الكعك وتشربان الشاي في محل هايسيغاوا، السماء في ليلة رأس السنة، الفطائر الشهية في محل فوكوفوكو–تاي، بيلي جول[1]، رقائق بطاطا كويكه، اللحظة التي هدأت فيها الرياح في الساعة الثالثة من عصر يوم صيفي... كانتا تسميان عشوائيا الأشياء المفضّلة لديهما كلّها وكأنّهما صمّمتا على ملء العالم كلّه بالأشياء التي تفضّلانها.

بعد الساعة التاسعة ببضع دقائق، توقّفت السيارة أمام المحطة.

قالت ناناكو ويدها على الباب: «شكراً جزيلاً لك يا سيد ناراهاشي. كان يمكن لهذا أن يكلّف ثروة لو ظلّ العدّاد دائراً. سوف أدفع لك عندما أشق طريقي في العالم قليلاً، اتفقنا؟».

قهقه: «اتفقنا، ولكنّني أعتقد أنّ ذلك لن يحدث».

خرج من السيارة وفتح باب ناناكو.

«إلى اللقاء!» ابتسمت ناناكو لآوي ابتسامة مشرقة وخرجت من المقعد الخلفي. انطلقت بخطى مسرعة نحو بوابة قطع التذاكر من دون أن تنتظر خروج آوي بعدها، واستدارت بعد أن قطعت بعض المسافة هناك لكي تلوّح

(1) بيلي جويل: مطرب أميركي يشتهر خصوصاً بأغانيه الرومانسية. عرف أساساً في حقبة السبعينيات من القرن الماضي.- المترجم

بذراعها عالياً من فوق رأسها. فلوّحت آوي من السيارة في المقابل عندما توهّج جسد صديقتها الضئيل الذي يلبس معطفاً مزدوج الصدر تحت شمس الشتاء.

عاد والدها بالسيارة إلى حركة المرور من جديد وبقيت آوي وحدها في المقعد الخلفي. طفرت الدموع من عينيها وكأنّ بوابات الدّفق فتحت بحركة صغيرة لا صلة لها بإرادتها أو برغباتها. حاولت أن تخفيها عن والدها، وأدارت وجهها بارتباك بعيداً عن مجال رؤيته عبر مرآة المشهد الخلفي. ورفضت الدموع أن تتوقّف، وتسابقت متدافعة على وجنتيها ثم سقطت على يدها التي كانت قبل لحظات فقط في يد ناناكو. وكلّ ما شعرت به في تلك اليد عندئذ كان خواء هائلاً. ضغطت اليد الأخرى بقوّة على شفتيها لكي تمنع نفسها من البكاء بصوت عال. وعندما بدأ أنفها يسيل، أخذت تشهق غريزياً، فالتفت والدها لينظر خلفه. انطوت أكثر على نفسها في مقعدها وتركت الدموع تفيض. وبعد أن عرف والدها حالها، بكت بلا ضبط. وملأ نشيجها أذنيه.

قال برفق، يحاول أن يواسيها: «فقط تذكّري، يا آوي، قريباً ستتمكّنين من رؤيتها في أيّ وقت تشائين من جديد. أفهم رغبتها في الانتقال، لكنّ هذا لا يعني أنّها ذاهبة إلى ما وراء البحار أو ما شابه. وحتى لو كان الأمر كذلك، فالسفر إلى البلدان الأخرى لم يعد أمراً جللاً، كما تعلمين. لذا ربما عليك أن تنتظري قليلاً لأنّ أمّك وأساتذتك سوف يثيرون الجلبة، ولكن يمكنك دائماً أن تكاتبيها، وإذا استطعت الآن أن تصبري، فستتمكنين من رؤيتها من جديد قريباً جداً. اتفقنا؟».

أومأت آوي برأسها إيجاباً وهو يكرّر كلمات المواساة، ولكن في دخيلتها كانت تبكي من فرط الألم. *لم لا نتوصّل إلى اختيار شيء لأنفسنا، يا أبي؟ قد نعتقد أنّنا نختار، ولكن كلّ ما نفعله حقاً هو القبض على الريح. بل إنّنا لا نختار الطريقة التي نخطو*

بها بقدمينا. أخبرني، يا أبي. ماذا لو حدث شيء لناناكو، وتأذّت، وكانت تبكي وتعاني ألماً مبرّحاً؟ ماذا أستطيع أن أفعل لأجلها؟ لا أستطيع أن أهرع لمساندتها، ولا أستطيع حتى أن أبعث إليها برسالة بضوء مصباح. فما فائدة أن نصبح بالغين؟ عندما نصبح بالغين، هل نتوصل أخيراً إلى اتّخاذ قراراتنا بأنفسنا؟ هل نتوصّل أخيراً إلى السير في الاتّجاه الذي نشاء من دون أن نفقد الأشخاص الذين نحب؟

لاح منزلهما على البعد.

قال والدها بصرامة: «عندما ترين الجدَّة، احرصي على شكرها، الآن، أتسمعين؟».

قطرت ذقن آوي كصنبور مكسور بفعل فيض عينيها وأنفها.

صرَّت، وهي تحشد كلَّ ذرة مما تبقى لديها من قوَّة: «سأفعل».

-13-

أنّت جنكو إيوابوتشي من جديد: «أووف، لا أستطيع حقاً أن أصدّق كم أنا مرهقة»، وهي تتشبَّث بحزام التوازن بيديها عندما كان القطار ينطلق مسرعاً نحو شينجوكو. غمغمت من دون توقُّف بكلام غير مفهوم منذ أن بدأت هي وسايوكو مشوار العودة إلى المكتب:

«أليس من المفترض أن يكون هذا شيئاً كنقض عقد أو ما شابه؟ أعني، اعتقدت أنّني أوقِّع للقيام بعمل مكتبي. فكيف حصل فجأة وصرت عاملة تنظيف؟ على الأقل نستحق أن نحصل على سيارة، ألا تظنين ذلك؟ أحياناً يوصلك تاكيشي، صحيح؟ فلماذا يجب أن تكون الوسيلة هي القطار عندما يكون دوري؟ هذا ليس عدلاً».

أومأت سايوكو برأسها بغموض وهي تصغي وتلقي نظرة خاطفة بين حين وآخر إلى مكان تجمع الأمتعة لتتيقَّن من أنّ الحقيبة التي تحتوي دلو التنظيف ثابتة في مكانها:

«وما رأيك بالعجوز التي ترسلنا لنتسوَّق لأجلها؟ أكياس الأرز وتربة الزراعة وتلك الأغراض الثقيلة كلّها. منذ متى نضع مثل هذا على لائحة خدمتنا؟ نحن لسنا وكالة خدمات متنوعة».

في شهر تشرين الأول، بدأت طلبات التنظيف تتوافد تباعاً، وكأنَّ النجاحين الأوَّلين اللذين حقَّقتهما سايوكو كانا أول النتاج. وكان حجم العمل يحدِّد

حجم فريق العمل: فمن أجل الشقق الصغيرة، أو عندما يكون فقط المطبخ ومناطق أخرى تحتاج فيها التمديدات الصحية إلى عناية، كان في استطاعة سايوكو في المعتاد أن تقوم بالعمل وحدها، ولكن بالنسبة إلى شقق بأكملها تحتوي غرفتي نوم أو أكثر كانت في حاجة على الأقل إلى شخص يساعدها، وأحياناً إلى شخصين. والتدفُّق المفاجئ للعمل كان يعني أنَّ الأمور لم تعد منظَّمة كما كانت في أوّل الأمر، وأحياناً كنَّ يجدن أنفسهنَّ ينتقلن بسرعة مسعورة من عمل إلى آخر، لكنهنَّ نجحن حتى الآن من دون أيّة شكاوى أو ارتكاب أخطاء، وبدا أنَّ العملية تحلِّق بأمان.

بالنسبة إلى سايوكو، أسوأ الأيام هي تلك الشبيهة بهذا اليوم، عندما تضطر إلى التعاون مع جنكو. فإلى جانب تذمُّرها المتواصل، كانت عاملة لامبالية. فقد اضطرت سايوكو أكثر من مرّة إلى أن تعيد تنظيف منطقة من المفترض أنَّ جنكو انتهت منها بشكل مسعور. والمرأة أيضاً لم تبذل أيَّ مجهود لإخفاء مشاعرها عندما وجدتا غرفاً في حالة استثنائية من السوء. تفهم سايوكو الآن جيداً جداً لماذا كانت نوريكو ناكازاتو شديدة الدقّة في تعاملها مع زبائنها.

بالانتقال إلى شينجوكو، ترجّلتا في أوكوبو ووجدتا تاكيشي كيهارا في انتظارهما عند بوابة قطع التذاكر. اتضح أنَّ جنكو تتوقّع وجوده. لوَّحت له بيدها في اتجاه وقوفه.

قالت، ملتفتة إلى سايوكو مبتسمة ابتسامة صغيرة: «هيه، أيّتها الرئيسة! ألا تريدين التوقُّف في محل جوناثان؟ لقد كان يوماً مرهقاً. دعينا نتناول بعض الحلوى». بدت كأنَّها شخص مختلف تماماً عن المرأة التي لم تتمكَّن من الكفِّ عن التذمُّر في القطار.

شاهدا كشكاً من النافذة، فطلب تاكيشي قهوة وطلبت جنكو شاياً وكعكاً. ولحقت بهما سايوكو وطلبت قهوة مع الحليب. وحالما استقرَّت جنكو بدأت

تكرّر ترتيلها من الشكاوي على مسامع تاكيشي. وكانت سايوكو تسترق نظرة إليه على فترات وهو يصغي.

أخيراً علّق قائلاً بنبرة صوت محسوبة: «حسن، لعلّ السبب هو افتقارنا إلى المعدّات، ولكن لا ريب في أنَّ الأمور لا تجري بفعالية شديدة في الوقت الحالي. أعتقد أنَّ الآنسة ناراهاشي افترضت أنّنا لن نحصل على هذا العمل كلّه، أما الآن والأعمال تنهال علينا، أقول حان الوقت لنرسم خطاً واضحاً بين طاقم التنظيف ومجال الرحلات. أعني، إذا استمررنا في ترك جانب الرحلات يتقلّص في حين نحلُّ المشاكل المتعلّقة بالتنظيف، فسوف ينتهي الأمر بشركة بلاتينوم بلانت إلى أن تصبح فقط وكالة لأعمال التنظيف».

كانت جنكو توافقه صراحة على كلّ نقطة يذكرها. لم تكن الساعة قد بلغت الخامسة، لكنَّ الشمس التي تظهر في وقت مبكّر أكثر في مثل هذا الوقت من العام كانت قد نشرت ضوءها البرتقالي على العالم خارج النافذة.

لم تكن سايوكو تعلم، ولا تأبه، لماذا كان تاكيشي قد ذهب في الواقع إلى أتامي في ذلك اليوم - أو لما وقع بينه وبين آوي إن كان قد فعل. وفي مركز العمل في يوم الاثنين، كانت آوي قد عاملت سايوكو كالمعتاد بالضبط، وكأنَّ لا شيء تغيّر. فإذا أنهت سايوكو عملها باكراً، تقترح أن تتناولا الشاي. كانت تدعو سايوكو إلى حفلات العمل الشهرية ولم تبيّن أيَّ سخط عندما كانت تقول إنّها لا تستطيع تلبيتها.

أصبحت سايوكو من جانبها ترسم خطاً واضحاً بينها وبين آوي. وقبل الذهاب إلى أتامي، أرادت أن تكون أقرب إليها، ولكن منذ تلك الرحلة، توصّلت إلى الاعتقاد أنَّ معنى القرب بالنسبة إلى آوي كان شيئاً شبيهاً بذهاب فتاتين في المرحلة الثانوية إلى الحمّام معاً - أشبه بعلاقة لن تدوم إذا رفضت إحداهما ولو مرة واحدة أن ترافق الأخرى لأنّها ليست في حاجة إلى ذلك.

كانت سايوكو تلقي نظرة سريعة على تاكيشي بين فينة وأخرى وهو يواصل تعليقه الأنيق. بعد أن حاول أن يدفعها إلى ركوب السيارة معه وهي في طريقها لإحضار أكاري من المدرسة، هل جاء إلى هنا اليوم ليفعل الشيء نفسه مع جنكو؟

قالت جنكو بين قضمات الكعك: «في رأيي، لدى الآنسة ناراهاشي فيض من الكلام السهل. فإذا كانت أعمالنا في هبوط، فهل ينبغي لنا أن ننتهز الفرص لترقية السياحة تلك؟ ولكن كلا، تقول إنّه لا توجد حوافز. وطبعاً يدهشني أنّها تجد الكثير من الحوافز في عمل تنظيف المنازل ولا تجدها في مجال السياحة الداخلية - خصوصاً إذا أخذنا بعين الاعتبار شدّة نفورها من الصراصير إلى درجة أنّها ترفض التنازل والقيام بزيارتنا في موقع العمل».

سكتت وراحت تلوّح بذراعها عند النافذة. التفتت سايوكو لتنظر في ذلك الاتّجاه، فرأت ميساو سيكينه تهرع نحو باب المطعم بشبه ركض.

بعد ذلك بلحظات، تسلّلت ميساو إلى الكشك وجلست بجوار سايوكو. أنّت، ولاتزال تحاول أن تلتقط أنفاسها: «أتصدّقين هذا؟ أولاً كان عليّ أن أبحث عن أقراص مدمجة لمورننغ ميوزيوم وأيو وسماب وأراشي، ومن ثمّ عن دي-في-دي لأفلام «*ترمينيتور 3*» و «*ملائكة تشارلي*» و دراما الصباح التلفزيونية. أعني، يا إلهي! ما دخل هذا بالعمل؟»».

استعرضت لائحة الطعام على عجل وطلبت شراب الصودا.

قالت جنكو ساخرة: «من أجل العاملين اليابانيين في شركة غاردن غروب، أليس كذلك؟ هل حصل لك الشرف؟ هذا كثير! إذا أرادت أن تلعب لعبة الأصدقاء، فيجب أن تشتري هداياها بنفسها».

نظرت سايوكو من جديد إلى ميساو، وهي ليست واثقة تماماً من معنى ذلك كله:

«تولي امتلاك النوايا الحسنة أهمية خاصة وتؤمن أنَّ للقليل من اللطف تأثيراً عميقاً، ولكن أنا آسفة، أحياناً تتمادى كثيراً. أعني، إنَّنا ندير عملاً هنا، وليس جمعية خيرية». سكتت بيساو ومالت كثيراً فوق الطاولة قبل أن تواصل بصوت مهموس: «إنَّها في المركز الثقافي في شيبويا اليوم».

قالت جونكو: «لتلقي محاضرة أخرى من محاضراتها؟ أليس هذا شيئاً رائعاً. ماذا في وسعها أن تقدِّم على أيَّة حال؟ بكلِّ ما في الأمر من جدِّية. جلُّ ما تفعله فوضى تامَّة».

مرَّ بعض الوقت حتى أدركت سايوكو أنَّهم يتكلمون عن آوي.

قال تاكيشي فجأة: «في الواقع، لطالما رأيت أنَّها تتصف بقدر من الجاذبية، لذلك فإلقاء المحاضرات وإجراء الأحاديث قد يناسبها. وإلى جانب هذا، فإنَّ عائدات أحاديثها تذهب مباشرة إلى خزانة الشركة. ودونها، سيصبح التقشُّف أسوأ».

وكأنَّ دفاع تاكيشي عن آوي كان مثل فتح حنفية، جلب دفقاً جديداً من الطعن من جنكو وميسا، وراحت كلتاهما تكيل الذَّم في حقِّ أسلوب رئيستهما في الإدارة. وكادت سايوكو لا تصدِّق أذنيها. لطالما كانت تعي سخط جنكو، ولكن سوء رأي ميساو فيها جاء مفاجأة كاملة، خصوصاً أنَّها طالما بدت صديقة حميمة لآوي. والأشدُّ صعقاً كان حماسة هجومهما، التي تجاوزت مجرد التذمُّر والنقد بكثير. أصغت سايوكو بدهشة متواصلة عندما انهال الضرب جيئة وذهاباً عبر الطاولة، و أصبح نصيبها من القهوة مع الحليب بارداً.

استشفَّت من بين الأسطر أنَّ الإنطلاق المفاجئ لعملية تنظيف المنازل أشعل السخط الكامن بين أعضاء المستخدمين. وكانت المشكلة هي أنَّ آوي تتحلّى بذكاء إدارة الأعمال جبار، تسير قدماً من دون أيِّ تخطيط واضح، فقط تدفع

كلَّ ما يقف في طريقها إلى هذا الجانب أو ذاك. كانت تتصرَّف بإحساس غريب بقوتها الذاتية، وكأنَّ كسب المال عبارة قذرة، كشابة مثاليَّة. لم تكن تستحسن المسؤولية التي تتحمَّلها تجاه مستخدميها وبذلت أقصى جهدها لتتقرَّب منهم...

انتقلت عينا سايوكو نحو بائع الخضراوات عبر الشارع في أثناء استمرار تبادل العبارات. كانت تعي أنَّ آوي قد باشرت مؤخَّراً بفتح المقابلات لتتحدَّث عن تجاربها وصفها مقاولة. وفي يوم من الأيام كان يمكن لسايوكو أن تستهين بحقد زميلاتها وتقول إنَّه مجرد حسد من شهرة رئيستها الحديثة العهد، ومن ثمَّ تستأذن بسرعة وترحل. أما اليوم فبقيت جالسة على مقعدها، تشرب من القهوة التي أضحت الآن باردة تماماً برشفات صغيرة، راغبة في سماع المزيد.

سرعان ما بدأت تلاحظ نمطاً معيَّناً في عبارات تعجُّب تاكيشي. كانت المرأتان تتقصان من قدرة آوي على القيادة، وهو يردُّ بالإيجاب في حقها. وهذا حثَّ المرأتين على الدوامِ على ذمِّها بأقوال أقسى، تصاعدت أخيراً إلى قذف شخصي عنيف إذ لم يتمكَّن أحد من الادِّعاء بأنَّه مضحك. وعندما كان الأمر يتفاقم إلى هذا المستوى، كان تاكيشي يتدخَّل من جديد بكلمة مهدِّئة أو كلمتين ومن ثم يعيد اتِّجاه الحديث برشاقة إلى قضايا الشركة، منتزعاً من المرأتين سلسلة جديدة تماماً من التذمُّر من وضع العمل. كان صعباً معرفة ما إذا كان يفعل ذلك عن وعي أو لاوعي، ولكنَّ أمراً واحداً بدا واضحاً: كان لدى هذا الرجل ميل خاص إلى جعل الناس يطرحون أيَّ خوف أو حذر ويرغبون في إفشاء ما في نفوسهم:

«لقد كنت هادئة جداً، أيَّتها الرئيسة. لابد أنَّك تتساءلين عن أيِّ كارثة تتعاظم وضعت نفسي فيها. أعني، إنَّ شركة بلاتينوم بلانت تختلف كثيراً عن أماكن أخرى. فهي ليست مشروعاً تجارياً أصلاً».

«لكنَّ الرئيسة تأخذ الأمور برويَّة. وحتى إذا فشلت العملية كلُّها، حتى إذا واجه مشروع تنظيف المنازل مشاكل وتوقف، فإنَّ لديها مكاناً تلجأ إليه. لديها منزل تعنى به، ولها زوج يعتني بها».

قالت سايوكو وهي تبتسم قسراً: «أواجه بعض المشاكل؟ هذا بالضبط ما نعمل باجتهاد لتتجنَّبه».

قال تاكيشي فجأة، وقد أضحت نبرة صوته فجأة جادَّة: «في الواقع، إنَّنا بهذا نخرج عن الموضوع. المسألة لا تتعلَّق بما تفعلين لتتجنَّبي الوقوع في المشاكل، بل بالكيفيَّة التي ستتعاملين معها عندما تقع. والمشكلة هي، خصوصاً بالنسبة إلى جانب تنظيف المنازل، انعدام أيِّ خطَّة مهما كانت. وفي الأساس، إذا اضطررت إلى التخلِّي عن الأمر في اللحظة الأخيرة بسبب ظرف طارئ ما، فإنَّ إحدى الفتيات الأخريات ستترك العمل الذي بين يديها وتحلُّ محلَّك. تقول الآنسة ناراهاشي إنَّها تعلم أنَّك تنتمين إلى فئة تختلف عن بقيتنا. لا أحد آخر له أطفال، لذلك حتى الآن، إذا حصل أمر طارئ، فسيمكث الجميع في المكتب كلَّ الوقت المطلوب مهما طال لتصريف الأمور. وهذا لا ينطبق عليك لأنَّك يجب أن تغادري في وقت محدَّد، بالإضافة إلى أنَّك لا تعلمين متى يمكن لابنتك الصغيرة أن تصاب بحمّى أو ما شابه. لذلك تعلم الرئيسة أنَّها في حاجة إلى خطَّة داعمة. على الأقل هذا ما تقول. ولكن –».

قاطعته سايوكو: «إنَّني لم أضطر ولا حتى مرة واحدة إلى «التخلِّي» حسب تعبيرك». حاولت أن تقول هذا وهي تبتسم، إلا أنَّها شعرت بالتوتر يغزو وجنتيها. *أنا أنتمي إلى فئة مختلفة؟ خطَّة داعمة حين أضطر إلى التخلِّي؟* ما الذي يجبرها حتى على الإصغاء إلى مثل هذا الكلام؟

«ليس إلى هذا الحد، كلا. أتحدَّث عما يمكن أن يحدث لاحقاً. ولكن في المطلق، كما تعلمين، ستقول شيئاً كهذا ومن ثمَّ تندفع إلى مناسبة يوم الرياضة

الخاص بابنتك في لحظة. هكذا هي. طبعاً، هذا ما حدث في يوم السبت، ولكن لا أحد يعلم متى تنصرف في أيّ يوم اعتيادي من أيام الأسبوع، أيضاً».

انتقلت عينا سايوكو بسرعة نحو النافذة. لقد أزعجها أن تعلم أنَّ آوي ناقشت موضوع يوم رياضة أكاري مع تاكيشي عندما تقابلا في أتامي.

«ما الذي حدث في يوم رياضة ابنتك؟».

«في الأساس أعتقد أنّه ليس لديها إيمان عميق بك».

تكلّمت المرأتان في وقت واحد.

قال تاكيشي، ومن جديد يدعم آوي: «هذا لا يعني أنّه ليس لديها أيُّ إيمان، بل لديها أكثر مما ينبغي من الإيمان».

لم ترغب سايوكو حقاً في الحديث عن يوم رياضة أكاري، لذلك عمدت بصورة عفوية إلى تغيير الموضوع: «لقد نسيت هذا الأمر، يا جنكو، لكنك ذكرت قبل قليل أنّه تم ذكر الآنسة ناراهاشي في الصحف لسبب ما. ما القصة؟».

كان قد حدث تغيير ملموس في الجو حول الطاولة. تبادلت ميساو وجنكو ابتسامات صغيرة مشدودة.

قالت جنكو وكأنّها تحاول التقليل من أهميّة ما تقوله سايوكو: «أوه، لم يكن الأمر مهماً، حقاً».

قالت ميساو: «هل طلب منك أنت، أيّتها الرئيسة؟ هل دعتك إلى الرحلة، أيضاً، أو ربما إلى بيتها؟».

«هه؟».

«لديها ميل لهذا النوع من الأشياء».

قالت ميساو: «على رسلك الآن. هذه الكلمة ليست لطيفة جداً. هذا لا يعني أنّنا ننتقدها، ولكنّها في الأساس تحبُّ مرافقة النساء».

تدخّل تاكيشي: «أنتما الاثنتان تضخّمان الأمور كثيراً». ثمّ التفت إلى سايوكو: «كلّ ما في الأمر أنّها تتمتع بحسٍّ مختلف بالحدود. قد تبدو متفائلة أبداً، ولكن لديها في الحقيقة ماضياً أسود».

بدا وكأنَّ تحديقه يقول إنَّه يعلم ما يتحدَّث عنه. تركت سايوكو عينيها تنتقلان بشرود إلى فمه في أثناء انتظارها له كي يستأنف الكلام.

بينما الآخرون يتابعون حديثهم، استأذنت سايوكو بالرحيل وعادت إلى المكتب. كانت يوكي ياماغوتشي تتحدَّث عبر الهاتف مع أحد أعضاء الهيئة الإدارية، وكانت آوي تراجع بعض الوثائق في غرفة التاتامي. جلست سايوكو على طاولة الطعام وفتحت مفكّرتها.

رأتها آوي وهي تباشر كتابة تقريرها، فقالت بمرح: «أهلاً بعودتك، أيَّتها الرئيسة. هناك بعض فطائر الكريما في البرّاد».

أومأت سايوكو برأسها إيجاباً لكنَّها لم تقل أيَّ شيء وتابعت الكتابة. وعندما انتهت، جمعت أغراضها ونهضت واقفة على قدميها:

«أراك في الغد».

تحرَّكت باتّجاه الباب. فهرعت آوي خلفها: «هل لاحظتِ أنَّ ثمة محلاً لبيع الرامن في الطريق إلى المحطة؟».

قاطعتها قائلة: «آسفة، ولكنَّني مستعجلة. وداعا»، وانحنت سريعاً وغادرت، تهرول هابطة الدرج كأنَّها هاربة من شيء.

عندما خرجت سايوكو إلى الشارع كانت الشمس قد غربت وتحول نصف صفحة السماء إلى ظلٍّ باهت من اللون النيلي. أسرعت خطاها، وركضت المسافة التي تفصلها عن مبنى المحطَّة كلّها، ثمَّ من خلال بوابة قطع التذاكر، وصعدت الدرج المؤدي إلى الرصيف. وصل القطار في موعده بدقَّة، فاستقلته ووقفت ممسكة بحزام التوازن، تلهث بقوة لاسترداد أنفاسها.

سرعان ما بدأت تدرك بوضوح فحوى القصة التي رواها تاكيشي باستمتاع، لقد تذكَّرت التفاصيل بجلاء تام. هذا لا يعني أنَّ الأمر تضخَّم إلى حجم الفضيحة أو شاع وأصبحت له أصداء ثقافية. وحادثة تسميم حلوى موريناغا التي وقعت في الوقت نفسه أثارت ضجة أكبر بكثير، كما فعلت حادثة اغتيال شاب من أوساكا على أيدي زملائه في الصف الذين قرروا أنَّهم سئموا تنمُّره عليهم. وكانت محاولة الانتحار المزدوجة لطالبتين ثانويتين في يوكوهاما قد ملأت صفحات المجلات الأسبوعية ومجلات الفضائح بعد أن نسيتها غالبية الناس بفترة وجيزة.

غير أنَّه كان لدى سايوكو سبب وجيه لتذكُّرها. ففي فصل الصيف ذاك نفسه، وكانت هي نفسها طالبة في السنة الثالثة في المدرسة الثانوية، فقدت صديقاتها كلَّهن دفعة واحدة. وعلى الرغم من أنَّها لم تكن فتاة مفضَّلة بصورة خاصة، فقد كانت لها مجموعتها من الصديقات اللواتي كانت تتردَّد معهن إلى المدرسة منذ الصف السابع. كنَّ يترددْن إلى أماكن تجمُّع المراهقات بعد انتهاء دوام المدرسة، وكنَّ يتبادلن الاتصالات الهاتفية في كلِّ ليلة. أما الآن فقد تخلَّين عنها في الصيف لمجرد أنَّ لها طموحات جامعية مختلفة عن طموحاتهن.

كنَّ جميعاً، فيما عداها، قرَّرن في وقت مبكِّر ألا يحاولن التقدُّم لامتحانات الانتساب إلى جامعات ذات أربع سنوات دراسية. كنَّ ينوين الاستقرار في جامعات أهلية قريبة ومدارس تجارية لا تقبلهن إلا بتوصيات. أما سايوكو فكانت آمالها أعلى. لقد أرادت الانتساب إلى جامعة كبرى في طوكيو، لذلك تسجَّلت لكي تتلقَّى دورة استعدادا للتقدُّم لامتحان مكثَّف تدوم الصيف كلَّه. وكانت صديقاتها يتصلن بها بين حين وآخر لدعوتها للخروج وقضاء وقت ممتع، غير أنَّها كانت تعتذر بداعي الدراسة. ثمَّ، عندما فتحت المدارس أبوابها من جديد في فصل الخريف، رفضن التحدُّث إليها. كنَّ ينفردن بأنفسهن بعيداً

في أثناء تناوُل طعام الغداء، ويتسلَّلن من غرفة الصف من دون أن يدعينها لمرافقتهن في آخر النهار. وعندما تتصل بهنَّ هاتفياً إلى المنازل، كنَّ يدَّعين أنَّهن خارج المنزل؛ وإذا حاولت التحدُّث معهن في المدرسة كنَّ يواجهنها بالصمت.

لم تفهم سايوكو ما يحصل. فهي لم ترفض إلا مرات معدودات. وإذا قورنت بخمس سنوات من الصداقة فإنَّها لا تذكر. فهل هذا يعني أنَّ السبب الحقيقي للبرودة المفاجئة يكمن في مكان آخر؟ لعلَّ هناك شيئاً في شخصيتها، شيئاً قالته أو فعلته، جعلتهن يتجهن الوجهة الخطأ مرَّة واحدة، وأحداث الصيف كلُّها أعطتهن العذر المناسب ليقطعن صلتهن بها تماماً. وحالما استولت هذه الفكرة عليها، تمسَّكت بها. وانتابت تفكيرها مخاوف جديدة. ما الذي لا يعجبهن فيها؟ ما عيبها؟ من الذي أهانته من دون قصد؟ هل فعلت حقاً شيئاً سيئاً جداً حتى تستحق أن تفقد بسببه صديقاتها كلَّهن؟

بما أنّ مدرستها هي معاً مدرسة متوسِّطة ومدرسة ثانوية، فإنَّ الحلقات التي تدور ضمنها الصديقات لم تتغيَّر منذ الصف السابع. لم يكن أمام سايوكو ببساطة إلا أن تعثر على مجموعة في الصف الحادي عشر. كانت حينئذ مضطرة إلى فعل كلِّ شيء وحدها، وفجأة أصبحت المدرسة مكاناً مخيفاً وهادئاً. كان صخب رفيقاتها في الصف وضحك الطالبات الأصغر سنّاً يتناهى إليها كأصوات مكبوتة من جهاز التلفاز الموجود في الغرفة المجاورة.

حتى سايوكو لم تفهم لماذا تضرب قصة فتاتين من المرحلة الثانوية تحاولان الانتحار على وترها الحسّاس عندما شاهدتها للمرَّة الأولى في أخبار الصباح. ذهبت إلى المكتبة وقرأت كلَّ ما استطاعت أن تعثر على مقالات حولها في الصحف والمجلات.

وفقاً للتقارير، اتَّخذت الفتاتان معاً عملاً صيفياً بنيَّة الهرب بعد ذلك، ثم

أمضيتا أسابيع تتجولان فيها في أماكن التسلية هنا وهناك قبل أن تذهبا إلى المجمَّع السكني الذي كانت إحداهما تقيم فيه وقفزتا عن سطحه. وادَّعت الإصدارات الأسبوعية أنّهما عاشقتان شاذّتان، لكنَّ سايوكو لم تكن مهتمة بهذا النوع من نشر الإشاعات. أرادت أن تعلم كيف كانت علاقتهما. لقد درستا في مدرسة البنات نفسها، مثلها. فكيف أصبحتا صديقتين؟ عمَّ تحدَّثتا؟ ما الذي جعلهما تقرّران الهرب؟ وفي خلال أسابيع الهرب تلك كلِّها، هل مرَّت عليهما أيام شعرت كلٌّ منهما فيها بالسأم من الأخرى ولم تعودا صديقتين؟

في المدرسة، بقيت سايوكو منبوذة في عامها الأخير في المدرسة الثانوية، إلا أنَّها عثرت على صديقة جديدة في أكاديمية الامتحان التمهيدي التي سجَّلت فيها. فقد اكتشفت هي وفتاة من مدرسة ثانوية مختلطة أنّهما تخططان لخوض امتحان الجامعة نفسها، وشرعتا تلتقيان في طريقهما إلى الأكاديمية وذهابهما معاً. وفي الأيام التي لا يكون لديهما فيها دروس، تتقابلان لتذهبا بدلاً من ذلك إلى المكتبة - أو إلى شاطئ البحر. تجلسان على شاطئ الخريف المقفر وتتحدَّثان في المواضيع كلِّها. وعندما تكون مع تلك الفتاة، تبدو صديقاتها السابقات اللواتي سببن لها الكثير من الألم قبل ذلك بعام غير ناضجات بصورة ميئوس منها. لم يكنَّ أكثر من حفنة من المملات يترافقن معاً بلا أيّ سبب مفهوم ويستمتعن بمقاطعة صديقة بريئة. ولم يعد هدوء المدرسة يزعجها، والخشية من أن يكون بها خطب بدأت تتلاشى. وبينما هي جالسة تتحدَّث مع صديقتها الجديدة، تذكَّرت أسئلتها التي لم تجد لها أجوبة حول العلاقة التي جمعت بين الفتاتين اللتين قفزتا عن السطح، وفكَّرت أنَّها ربما علاقة تشبه علاقتهما.

كما اتضح، انتهى بهما الأمر إلى الانتساب إلى جامعتين مختلفتين. كانت سايوكو تتصل بصديقتها هاتفياً كل ليلة تقريباً، لكنَّها تجدها دائماً في الخارج. حتى عندما تركت رسالة مع والدة الفتاة، لم تعاود الاتصال بها أبداً، وعلى

الرغم من أنّهما كانتا قد وضعتا سابقاً خططاً للقاء، إلا أنّها في كلّ مرة لم تكن تقابل سايوكو. ولم تتمكّن سايوكو من الاتصال بها هاتفياً إلا بعد حلول فصل الصيف.

قال متهّمة: «لم تردّي على مكالماتي».

قالت صديقتها التي بدت منزعجة لأنّها وضعت في موقف حرج: «كنت مشغولة»، ثمّ أخفضت صوتها وسألت: «أليست لك صديقات جديدات؟».

ما فكّرت فيه سايوكو حينئذ لم تكن الساعات التي لا حصر لها التي أمضتها هي وهذه المخلوقة معاً، بل في الفتاتين اللتين قرأت عنهما في أعمدة الفضائح قبل سنتين. تساءلت، ماذا فعلتا بعد أن نجتا من سقطتهما. هل ذهبتا إلى الجامعة، وعادتا إلى أرض الواقع، ونسيتا أمر قفزهما معاً وكرهتا كلّ ما كان يعيده إلى ذهنيهما؟ أم هل ربما بقيتا صديقتين حميمتين، من دون أن تشعرا بوخز الخيانة أو الاحتقار المتبادل...؟

كان جرحاً من النوع الذي يشفيه الزمن، وكانت سايوكو في الواقع قد نسيت أمره تماماً. أما الآن، بينما أكاري تجرُّها نحو جناح السكاكر، وبينما هي حاولت أن تتفحّص العلب في قسم المعلّبات من أجل وجبة سريعة تضعها على المائدة، تذكّرت بحيوية الإحساس بالاختناق الذي قبض على صدرها لدى سماع كلمات صديقتها. فمن موقعها الآن، وجدت صعوبة في أن تفهم كيف يمكن لشيء تافه كهذا أن يجرفها إلى مثل ذلك الدوار الصاعق، وكأنّ العالم بأسره قد انقلب رأساً على عقب، ولكن في الوقت نفسه استطاعت أن تدرك أنّ كلّ الخيارات التي سلكتها منذ ذلك الحين – الخيارات التي جعلت منها ما هي عليه اليوم – فرضتها ظروف اللحظة.

غمغمت سايوكو، ولاتزال غير موقنة من أنّها تصدّق: «في الواقع أنا

أعرف إحدي هاتين الفتاتين». ولكن لا مجال لارتكاب خطأ. إنَّ ذكرياتها عن الزمان والمكان وعمريهما تتطابق مع التفاصيل التي دفعت تاكيشي إلى تكرارها مرات عدة حتى بدأ يرميها بنظرات غريبة. إنَّ إحدى هاتين الفتاتين شديدة القرب منها الآن:

«ماذا قلت، ماما؟ ماذا قلت؟».

«لا شيء، يا عزيزتي. إنّنا في حاجة إلى بعض الحليب، وبعد ذلك ننتهي». نظرت سايوكو نحو الأسفل إلى ابنتها وابتسمت وهي تتحرّك ببراعة على طول الممشى تتسابق مع متسوقي اللحظة الأخيرة قبل أن يغلق المخزن أبوابه.

فكّرت سايوكو في الفتاتين اللتين طالما تساءلت مطولاً حولهما وهي في أواخر سنوات مراهقتها. ما معنى أن يكون المرء قريباً من شخص ما؟ لطالما تاقت إلى معرفة الجواب عن هذا السؤال. ولكن لعلَّ الأمر لم يكن كذلك قط. عندما تفكّر فيه، ألم تقرأ أنَّ إحدى الفتاتين كانت تقود الأخرى خلفها رغماً عنها؟ مما يعني أنَّ آوي لم تتغيَّر البتَّة منذ أن كانت في المدرسة الثانوية، هذا ما توصلت إليه سايوكو، شاعرة كأنّها اكتشفت حقيقة جديدة حيوية حول مستخدمتها. لابد أنَّ الفتاة التي جرّتها آوي معها من أنفها تشبه سايوكو نفسها كثيراً - جارت آوي في تهوُّرها، ولم تتمكّن من الرفض، ووجدت نفسها أخيراً قد تجاوزت نقطة اللاعودة على سطح ذلك المبنى. ولعلّها أيضاً اتصلت هاتفيا بآوي لاحقاً، في وقت ما بعد انتهاء دوام المدرسة الثانوية، واكتفت بالقول باقتضاب جافٍ: «أنا مشغولة. ماذا تريدين؟» عندما تخيَّلت سايوكو المشهد، رأت نفسها في زيِّ المدرسة الثانوية الرسمي واقفة مكان صديقة آوي الحميمة.

دفعت سايوكو الحساب، ووضعت أغراضها في أكياس، وأمسكت يد ابنتها لدى مغادرتهما السوبر ماركت. كان الظلام قد حلَّ في الخارج. في

أثناء سيرهما على الرصيف المظلم، غنَّت أكاري أغنية كانت قد تعلَّمتها في المدرسة في ذلك اليوم. كانت سايوكو تتصبَّب عرقاً بسبب المخزن المزدحم، شديد الحرارة، وعلى الرغم من أنَّ هواء الليل كان يبرِّد جسمها إلا أنَّه استغرق وقتاً طويلاً ليجفِّف عرقها. بعد انتهاء أكاري من أغنيتها، بدأت تثرثر حول أحداث يومها. واستجابت لها سايوكو بشرود. كانت صورة آوي المبتسمة وهي تحثُّها على قضاء الليل معها في أتامي تختفي وتظهر أمام عينيها، مرة بعد مرة بعد مرة.

لم تكن هناك أعمال تنظيف مدرجة في ذلك اليوم، لذلك وصلت سايوكو في وقتها المعتاد متوقِّعة أن تقضي النهار في ملء صناديق البريد. في الحالة العادية، كانت تفتح الباب على رنين الهواتف وأناس يتكلَّمون، أما اليوم فكان الصمت يسود المكتب... كانت الأبواب المنزلقة المؤدية إلى غرفة آوي مغلقة، ومكتب الهيئة الإدارية خالياً. كانت أشعة شمس أوائل فصل الشتاء الكهرمانية قد أشاعت الدفء في نباتات الزينة على عتبة النافذة.

تفحَّصت سايوكو جدول الأعمال القادمة المرسلة إلى مكتب الموظفين، وبدأت بسرعة تملأ حقيبة الأحمال بحزم نشرات الإعلانات. سمعت صوت باب منزلق يفتح، وظهرت آوي من ممر الباب. كان جلياً أنَّها أمضت الليل في المكتب وأنَّها استيقظت تواً. كان وجهها منتفخاً من آثار النوم وكانت تتصبَّب عرقاً.

قالت وهي تترنح: «عظيم. أنت بالضبط الشخص الذي أريد أن أراه. هل تسمحين لي بدقيقة من وقتك؟»

جلست سايوكو على أحد كراسي طاولة الطعام في حين جرَّت رئيستها في العمل قدميها بكسل نحو المطبخ لكي تشغِّل آلة صنع القهوة. راقبت آوي الآلة وهي تغلي ولايزال يبدو عليها أنَّها شبه نائمة بنظرة جوفاء، ولم تقل أي

شيء. عندما كفَّت الآلة عن التقطير، صبَّت كوباً لسايوكو وملأت مقدار إبريق لنفسها وجلست على الطرف المقابل من الطاولة.

قالت، وهي تحدِّق في إبريقها، يبدو عليها الشحوب من دون مساحيق تجميل: «حسن... إليك الصفقة. أريد أن أحوّل عمل التنظيف كلَّه إلى نوريكو من الآن فصاعداً. وأريد منك أن تساعديني في المكتب الآن – في جانب السفر من الأعمال».

جلست سايوكو تحدِّق إليها، عاجزة عن استيعاب ما تسمع. تناولت آوي رشفة من القهوة بصوت عالٍ. ولم تقدِّم المزيد من الشرح.

قالت سايوكو عندما لزمت آوي الصمت: «أنا لا أفهم».

قالت، وهي ترفع بصرها إلى سايوكو بابتسامتها المألوفة: «لقد حصل تمرُّد. أعتقد أنَّ هذا ما ستسمينه على أيّة حال. لقد قدَّم ثلاثة من الموظفين دفعة واحدة إشعاراً بترك العمل. أعلم أنَّ عليَّ أن أبدأ البحث عن بدائل لهم في الحال». وسكتت برهة، وهي تنظر في إبريقها، ثم كرَّرت بصوت منخفض: «أنا في حاجة إلى البحث عن بدائل، ولكن حتى لو تمكَّنت من العثور عليهم بسرعة، سيحدث هناك فراغ قبل أن أبدأ بذلك فعلياً. أنا في حاجة إلى مساعدتك في المكتب. تستطيعين أن تأخذي فترة راحة من عمل التنظيف».

«ثلاثة؟».

«جنكو وميساو وماو. سوف تبقين جميعاً في قسم السجلات حتى آخر الشهر، لكنهنَّ يردن أن يعرفن في الحال مدَّة الإجازة التي يطلبن ومدَّة التأمين وما شابه. ما معنى هذا في رأيك– أهو أشبه بشركة مربحة؟ من مصلحتهن ألا يتوقَّعن أيّة نتيجة رائعة من انقطاعهن، هذا أمر مؤكَّد».

«ولكن ماذا عن الأعمال التي أدرجناها على الجدول؟».

«هذا ما أقول، أريد أن أحوّل الأعمال المتعلِّقة بالتمديدات إلى شركة

نوريكو، والأمر نفسه بالنسبة إلى الطلبات الجديدة التي تفد. سوف نتوقّف عن الإعلان في الحال. واقع الأمر هو أنّ يوكي ياماغوتشي سوف تنتقل إلى كندا مع زوجها في شهر آذار. وهذا ليس جزءاً من التمرُّد - كنت أعلم مقدَّماً أنّنا سنفقدها، ولهذا جعلتها تعلّم ميساو كيف تتعامل مع السجلات. وحسبت أنّ كلّ شيء بات تحت السيطرة، ولكن هذا ما حدث الآن. إنّها ضربة موجعة. ليتني كنت أعلم، لما كنت وضعت ميساو فيه منذ البداية. على أيّة حال، كنت آمل أن ترغبي في الوقوف في مركز المحاسبة».

قفز تاكيشي فجأة إلى ذهن سايوكو وهي جالسة تصغي. لابد أن أمر الاستقالات الجماعية كان من تدبيره. لقد أصغى إلى جنكو والأخريات وشجّعهن على الجهر بتذمُّرهن، أحياناً يعلن عن موافقته ويتظاهر بتعاطفه التام، بل ويساهم بنفسه في إبراز عيوب آوي، وفي أحيان أخرى يسبّح بمزاياها بالضبط لكي يستفز إنكارهن الشديد، ويستفز عبر ذلك التضامن كله الذي كان ينيه بين المستخدمات المتذمّرات الثلاث. ولكن لماذا؟ أليس هو أحد المقرَّبين منها؟

سألتها سايوكو بفظاظة: «وماذا عن تاكيشي؟»

استمرت آوي في التحديق في إبريقها، وشفتاها تتلويان لترسما ابتسامة السخرية من الذات الواهنة:

«آه، نعم، العزيز تاكيشي. إنّه ليس مستخدماً في الواقع، لا بصورة مؤقتة ولا بأيّة صورة أخرى، لذلك سيستقيل حتماً. ولكنّني بصورة ما أشكّ في أن نراه هنا بعد الآن».

«ولكن..».

أوشكت سايوكو أن تعلن فجأة شيئاً عن أتامي وعما إذا كانت تربطهما علاقة جنسية، لكنّها حبست الكلمات:

«إنّه تافه. ورفيق تافه حقير كهذا يجب أن يعلم أنّه لن يحصل على أيّة حصة كبيرة، ولكن كان عليه أن يتقصّى الأمر، ويقحم أنفه حيث لا ينبغي له أن يفعل ويثير الفوضى».

«ولكن ماذا يستفيد من ذلك؟».

«من يدري؟ لعلّه يخطّط لإنشاء شركته الخاصة مع الأشخاص الذين أغواهم بالاستقالة. وفي الوقت الذي تظاهر فيه بأنّه يساعدني، أتيحت له فرص كثيرة للتقرّب من مستشارينا ومن محاسبينا. وأعتقد أنّه ظنّ أنّه إذا استطاع شخص فوضوي مثلي أن يدير شركة فإنّ في استطاعته هو أن يحسن العمل مثله على الأقل. ولكن انظري إليهم. إنّهم ثلة من الحمقى لا يأبهون في الواقع على الإطلاق بأمور السفر. ما يهمهم هو جمع المال، ولكن إذا كان هذا فقط دافعهم، أستطيع أن أخبرك منذ الآن أنهم لن يستمروا. وفي هذا المجال، أعتقد أنّ الثلاث ضاجعن الأحمق. وعندما يحصل ذلك، قد يكون اليوم الذي يصفون فيه حساباتهم في ذلك الحال، حتى قبل أن يفعلوا أيّ شيء آخر».

استمرت آوي في الثرثرة، ولم تكد تسكت لتلتقط أنفاسها، واضطرت سايوكو إلى أن تشيح ببصرها. وبدا أنّ التخلّي الفوري لعاملات آوي عنها قد آذاها أكثر مما تخيّلت سايوكو. فلم تكن قد سمعتها من قبل تتكلّم عن الأخريات بمثل ذلك الحقد، وانزعجت لسماعه عندئذ.

وجدت سايوكو نفسها، وقد ضعفت معنوياتها، تحاول أن تتذكّر لماذا رغبت في العودة إلى العمل، لماذا قرّرت أن تعود إلى إقحام نفسها في ذلك العالم الذي تنتشر فيه الفوضى حيث يضطر المرء إلى التعامل مع أنواع مختلفة من البشر. ليتها لم تدخل من هذا الباب في ذلك اليوم، كان في استطاعتها أن تبقى في نعيم جهلها آوي والنزاعات كلّها المحيطة بها هنا. كانت ستوفر على نفسها ذكريات مدرستها الثانوية، بالإضافة إلى سخطها المتزايد من شوجي.

قالت قبل أن تتاح لآوي الفرصة لتواصل الكلام: «لكنّني حسبت أنّك وتاكيشي متقاربين».

اعترفت من دون أدنى تردُّد «نعم، أعلم». أشعلت سيجارة، استنشقت، وابتسمت: «عندما يسوء أمر ما في العمل هنا، يكون من الممتع أن تجدي من تتحدَّثين معه، شخصاً يوليك أذناً صاغية ويقول لك إنَّه يفهمك. أنت لك زوج، لذلك قد لا تدركين، ولكن من الصعب العثور على أناس تستطيعين حقاً أن تتحدَّثي معهم عن عملك».

توتَّرت سايوكو. لطالما كانت في حالة نزاع مع شوجي منذ أن باشرت عملها. بل إنَّها كانت تقضي بعض الليالي في البكاء، على الرغم من أنَّها قالت لنفسها إنَّه لا شيء يستحق البكاء عليه. لماذا تطرح آوي دائماً افتراضات كهذه، في حين أنَّه لم تكن لديها في الحقيقة أيَّة فكرة عن معاناة سايوكو؟ لكنَّها لم تقل شيئاً. اكتفت بالتحديق إلى القهوة التي وضعتها آوي أمامها، والشعور بالارتباك.

مالت آوي عبر الطاولة وأمعنت النظر في سايوكو: «حسن، يبدو أنَّنا خرجنا عن الموضوع، ولكن ما رأيك؟ هل ستقبلين؟».

كانت سايوكو تتذكَّر المرة الأولى التي قابلتها في هذه الغرفة. كانت آوي قد هتفت بحماس، وهي تميل مقتربة من فوق ملاحظات سايوكو الموجزة وكأنَّما لتتأكَّد من أنَّها حقيقية: ***«أوه، واو، أتصدِّقين هذا؟ لقد درسنا في المدرسة ذاتها! لعلَّ إحدانا ارتطمت بالأخرى تحت أشجار جينكغو[1]، أو في إحدى قاعات الطعام!»*** وأشرقت. بدت كأنَّها عادت طالبة من جديد.

غمغمت سايوكو حتى كادت كلماتها لا تفهم: «أنا... أنا لا أعلم. لقد فاجأتني».

---

(1) شجرة الجينكغو: شجرة صينية ذات أزهار صفراء. وتسمّى أيضاً كزبرة البئر. – المترجم

أرادت أن تقول، *ظننتك تعلمين. حتى عندما كان زوجي يسخر مما أفعل، حسبت أنّك، على الأقلّ، تعلمين مدى الجدّية التي تعاملت بها مع عملي الذي ساعدت في بنائه من الصفر.* ولكن مرّة أخرى لم تقل هذه الكلمات إلا في قلبها.

«إنّه حقيقة مفاجأة. ولكن أعدك بألا أطلب منك أن تمكثي حتى وقت متأخر، وأعتقد بما أنّها عملية صغيرة فهذا يعني أنّ في استطاعتنا أن نوفّر لك وسائل راحة أفضل. بل يمكنك أن تجلبي أكاري إلى هنا إذا احتاج الأمر. وبالمناسبة، هل سمعت عن مكان اسمه مركز الإعانة العائلية؟ فكّرت في أنّه يمكنك أن تستفيدي منه، بل لقد اطّلعت عليه قليلاً – لأنّك دائماً تقلقين حول قدرتك على الوصول إلى المدرسة في الموعد المحدّد لاستلام ابنتك. على أيّة حال، إذا احتجت إليّ من أجل معرفة المزيد أو للبحث في أمور أخرى كهذه، فسأساعدك بأقصى ما في وسعي».

تورّد وجه سايوكو. كانت قد سمعت عن المركز منذ وقت طويل. كانوا يقومون بمقاربة عائلات تجاوزت سنوات تربية الأطفال مع عائلات فتيّة تقيم في مكان قريب لكي تساعد في القيام بمهامّ مثل إيصال الأطفال إلى مدرسة الحضانة أو استلامهم منها ومجالستهم بعد الانصراف من المدرسة. وفكّرت جدّياً في التسجيل فيها مرات عدّة– لا أحد يعلم متى تتوافر مثل تلك المساعدة– لكنّها كانت دائماً تحجم لأنّها حذرة في التعامل مع أناس لا تعرفهم. ماذا لو كانت هناك مشكلة ما وتعقّدت الأمور، إنّها قلقة، واستمرّت في جرّ قدميها جرّاً. تشعر الآن كأنّ آوي توبّخها من أجل ذلك. وتشكّلَ ردٌّ – فحواه أنّها لم تطلب أبداً مثل ذلك النوع من المساعدة – على طرف لسانها، لكنّها لم تنطق بكلمة، واكتفت بالجلوس محدّقة إلى يديها المطويتين في حجرها:

«في الواقع، كنت أفكر في أنّني ربما استعجلت أكثر مما ينبغي في انتقاء مجال تنظيف المنازل في كلّ الأحوال. وبصورة ما أنا أكره أن أحوّل أعمال التمديدات

الصحية إلى نوريكو لأنَّ ذلك مثل الاستسلام. لكنّني أقول لنفسي لا بأس لأنّه ربما كان زبائننا في أيدٍ أفضل هكذا. لعلّهم أسعد حالاً مع نوريكو».

نهضت آوي واقفة على قدميها. لم تستطع سايوكو أن تدفع نفسها إلى رفع ناظريها. في أيدٍ أفضل هكذا؟ *أسعد حالاً مع نوريكو مما هم معي؟* لعلَّ آوي كانت على حق، طبعاً، لكنّه كان آخر شيء رغبت سايوكو في سماعه منها. وشعرت بالدموع تطفر من عينيها فأسرعت بعضِّ لسانها لكي لا يسمع نشيجها.

قالت آوي، وهي تلتفت نحو الحمّام: «حسن، أعتقد أنّه يستحسن أن أنظّف أسناني وأباشر العمل». نكست سايوكو رأسها، وهي تطرف برموشها بقوة لكي تزيل الدموع من عينيها. وعندما تيقّنت من زوال آخر أثر لها، رفعت بصرها.

رفعت صوتها لكي تسمعها آوي في غرفة الحمّام: «هل لي أسألك عن أمر ما؟»

ردّ عليها صوت مرح: «ماذا قلت؟ ماذا؟».

أخذت سايوكو نفساً عميقاً وطرحت السؤال بصوت عالٍ: «ما الذي حدث في الأساس؟».

أبرزت آوي رأسها من الرواق وفرشاة الأسنان في فمها: «ما الذي حدث في الأساس مع ماذا؟».

قالت، مركّزة تحديقها بقوة عليها: «بعد أن قفزت عن السطح». قصدت أن يكون هذا ردّاً انتقامياً؛ ردّاً انتقامياً على سؤالها لماذا لم تلجأ سايوكو إلى خدمة مركز الإعانة العائلية؛ ردّاً انتقامياً لتلميحها بمرح إلى أنَّ زبائنهما سيكونون أحسن حالاً وهم بين يديّ نوريكو. ولم يخطر في بالها ردٌّ أقوى منه للانتقام.

احتملت آوي تحديق سايوكو بضع لحظات من دون أن تحرّك ساكناً. ثم أخرجت فرشاة الأسنان من فمها وانفجرت تضحك.

قالت بين نوبات الضحك: «لم أكن أعلم أنَّك تعرفين هذا. من زوَّدك بهذه المعلومة؟ أهي جنكو؟ أم تاكيشي؟ يستمتعون كثيراً بهذه القصة. هل أخبروك أنَّني مثليَّة، أم أنَّ لديَّ رغبة في الموت؟ يؤسفني أن أخيِّب ظنَّك، لكنَّني مجرد فتاة عادية تحب الشبّان. كلُّ ما في الأمر أنَّه ليس لديَّ حظ كبير معهم».

بعد نوبة أخرى من الضحك، غاصت آوي من جديد داخل غرفة الغسل. وسمعتها سايوكو تغسل فمها.

نظرت سايوكو إلى قهوتها التي لم تلمسها في أثناء انتظار ظهورها من جديد. بدا السائل الأسود في منتصف الكوب أشبه بباب صغير يتيح إلقاء نظرة سريعة على الظلام السائد وراءه.

-14-

ما حدث في الأساس...

أخيراً فهمت آوي معنى ما قالته ناناكو بشكل تام. ***لا شيء من هذا يخيفني. لا شيء من هذا يهمني... إذا لم يعجبك، فلا تكوني جزءاً منه. الأمر بهذه السهولة.***

لم يكن الأمر مجرَّد خدعة، أو تبجحاً فارغاً. لقد كانت تقرِّر حقيقة بسيطة.

في بداية العام الأكاديمي في شهر نيسان، عادت آوي إلى المدرسة التي لم تعد ناناكو تدرس فيها. كانت أمُّها قد حثَّتها مرات عديدة أن تكتفي بقول هذا وكأنَّها ترغب في الانتقال، وكانت آوي قد أمضت القسم الأكبر من فسحتها في القلق بشأن مدى كون العودة إلى المدرسة بعد الذي فعلته يشكِّل ضغطاً عليها. وعندما أعلنت قرارها أخيراً بالمكوث، كان ذلك وبشكل كامل مراعاة لمشاعر والديها. لقد تسبَّبت في انتزاع حياتهما والمجيء إلى هذه المدرسة. فكيف تطلب منهما أن يفعلاً الشيء نفسه من جديد؟ ثمَّ، حتى في المكان الجديد ستحبس أنفاسها طوال الوقت خشية أن تجتذب النوع الخاطئ من الانتباه. لقد جعلها مجرَّد التفكير في هذا تصاب بالإغماء.

وعندما فتحت المدرسة أبوابها من جديد، عادت آوي إليها ببساطة وكأنَّ شيئاً لم يحدث. ظلَّ الأمر يبدو وكأنَّ كلَّ شيء يحدث على الجانب الآخر من جدار خفيٍّ يكتنفها. لم تكلِّمها أيٌّ من فتيات المجموعة العادية اللواتي كانت

تخرج معهن، ولا هي تقرّبت من أي منهنّ. لم تكن الخسّة التي كانت قد اجتاحت المكان في العام السابق قد اختفت تماماً، لكنّ وطأتها خفّت كثيراً. لم يعد أحد يهين آوي كما كان يحدث مع ناناكو، ولم تعد أغراضها تفقد أو زيُّها الرسمي يداس، ولا تشاع قصص فظيعة عن الحادث في أرجاء الصف. كلُّ ما في الأمر أنَّ رفيقاتها في الصف بقين على مسافة منها. وببساطة لم يكن لديها من تتحدَّث إليه.

ولكن بينما هي تتلفّت حولها، أدركت أنّه صحيح: لا شيء يهمُّها. لم تر شيئاً واحداً على الجانب الآخر من ذلك الجدار الخفيّ رغبت في بلوغه.

ساد الهدوء. في أثناء تدثُّرها بشرنقة عزلتها، لم تزعج ذبذبة واحدة الصمت الذي طواها ما دامت تلزم الهدوء التام. في الواقع، ذلك الهدوء الرائق كان أعزَّ شيء لديها - بل أهمَّ شيء بالنسبة إليها في المبنى الذي لم يعد يتبارك بوجود ناناكو.

بعد قضاء ساعات الدوام المدرسي وهي مغلَّفة بفقاعة الصمت في كلِّ يوم، كانت آوي تهرع إلى المنزل بأسرع ما يمكنها، وتفتح البوابة بقوّة وتقفز نحو صندوق البريد. ومرّت الأيام، ولم تصل الرسالة التي كانت آوي تتوق إلى تسلُّمها.

اقتربت العطلة الصيفية ولم تصل أيّة رسالة من ناناكو. وفتحت دليل الهاتف، وبدأت تتصل بكل رقم مدرج تحت اسم نوغوشي. ولكن لم يكن لأيٍّ من العائلات التي تحمل اسم نوغوشي والتي اتصلت بها ابنة في السابعة عشرة تكتب اسمها «الطفلة السمكة» وتقرأه ناناكو.

في أثناء جلوسها في غرفتها تحدِّق إلى الفضاء، أخذت الذكريات تفيض عائدة إليها. القطار في طريقه إلى إيزو. الملاءات البيضاء ترفرف على الحبل في فناء منزل آل مانو. سيارات ابنهم الصغير البلاستيكية. ناناكو تنهار في

محطة غيماهاما. غرف فنادق الحب بزخرفتها الغريبة. وصالات الرقص ذات الأضواء الساطعة بألوانها القرمزية والوردية. وكلما كرَّت سلسلة الصور هذه في ذهنها، كان يتردَّد في أذنيها بعد ذلك صدى حديث واحد من ذلك اليوم على الجسر مع ناناكو: *إنّنا لا نصل إلى آيّة غاية. وما يحيّرني هو إلى أين كنا نحاول أن نذهب. إنّنا لم نصل قط إلى آيّة غاية. سؤالي هو إلى أين كنا نحاول أن نذهب.* بينما هذه الكلمات تتكرَّر وتتكرَّر، أخذت الأشياء كلُّها التي فعلتاها، وما تبع ذلك كله، يدور في رأسها. أصرَّت ناناكو على أنّه لا صلة لانتقالها بتلك الحوادث، ولكن من دون تلك الأشياء، أكانت لاتزال موجودة هنا الآن؟ أليس انعدام أيِّ تواصل من جانبها هو من النوع نفسه؟ لماذا تركت آوي تعود وحدها إلى المنزل في كلِّ يوم لتنظر إلى المشهد الثابت نفسه خارج نافذة غرفة نومها؟... وبينما هي تستعرض هذه الأفكار، بدا كأنَّ سديماً أبيض يهبط على كلِّ شيء داخل رأسها. كان حتماً إحساساً غير سارٍّ، ذلك أنَّه لم يسعها إلا أن تفكر في أنَّ السديم الأبيض المنتشر داخلها كان غياب ناناكو نفسه.

أمضت آوي الأيام داخل فقاعتها من الصمت، وتقدَّمت من التخرُّج يحيط بها ذلك الصمت نفسه. وبعد أن وقع قرارها على الالتحاق بأوَّل خيار لها من الجامعات، انتقلت إلى طوكيو مع متاع يكاد لا يتجاوز الملابس التي ترتدي. وأوَّل منزل لها بعد مغادرة منزلها كان مهجعاً للطلاب في نوغاتا.

أول مفاجأة قابلتها بعد أن باشرت الدراسة في الجامعة كانت أنَّ الجميع تحدَّث معها وكأنَّ ذلك أشدُّ الأمور طبيعية في العالم.

«بالمناسبة، هل انتسبت إلى أيِّ نادٍ؟».

«سيقام حفل لزملاء الصف. أتريدين الذهاب؟».

«أووه، من أين اشتريت هذا الثوب؟».

عاملها الرجال والنساء على قدم المساواة صديقة منذ البداية. تناولت

وجبات الغداء معهم في قاعات طعام الطلاب وذهبت إلى أماكن بيع المشروبات الرخيصة بعد انتهاء المحاضرات. انضمت إلى الحشود الصاخبة، الثملة في الحفلات الكبيرة، وأحياناً كانت تمضي الليلة بعد ذلك في شقة إحدى زميلات الجامعة ذات الغرفة الواحدة. وسرعان ما أصبح لها أصدقاء تقابلهم في عطل نهاية الأسبوع أو تذهب معهم لمشاهدة فيلم سينمائي أو للتسوُّق، ومع ما يشبه الصديق الحميم كانت تتحدَّث معه عبر الهاتف في كلِّ ليلة.

ولكن كان مستحيلاً على آوي أن تنفتح تماماً لأيٍّ من أصدقائها الجدد. كان في استطاعتها أن تضحك معهم، وتصخب معهم، بل وتمارس لعبة الحب معهم. ولكن بقي هناك خط معيَّن كانت تكره أن يتجاوزه أحد، وإذا ما حاول أحد الاقتراب أكثر من ذلك، ترفع في وجهه على الفور جداراً، فترفض استقبال مكالماته الهاتفية و تغيب عن حضور المحاضرات إلى أن تؤسِّس لمسافة مريحة معه. وأخيراً ابتعد عدد من زميلاتها الفتيات عنها نتيجة لذلك، وأصدقاؤها من الفتيان لم يعودوا أصدقاء حميمين. لقد كانت تخشى أن تقترب أكثر مما ينبغي من أي شخص. بالنسبة إليها، كان الاقتراب يمثِّل خسارة لا ربحاً.

مع اقتراب عيد مولدها التاسع عشر، أخذت آوي تتخيَّل سرّاً أنَّها تتلقّى حزمة من ناناكو وفي داخلها الهدية الموعودة. لكنَّ صندوق بريدها بقي فارغاً. وفجأة خطر لها أنَّ ناناكو قد لا تكون حيَّة أصلاً. لعلَّها اختارت وسيلة موثوق بها أكثر للرحيل هذه المرَّة، وشقَّت طريقها وحدها بنجاح إلى مكان آخر. كان هذا الخاطر باعثاً على قلق عميق، وكأنَّ الأرض تتهاوى ببطء من تحت قدميها.

في بداية ما كان يمكن أن يكون سنتها الثالثة في الجامعة، انطلقت آوي في رحلة غير محدَّدة إلى الخارج. كانت قد سمعت أنَّ أحد زملاء صفِّها قد استقلَّ عبّارة غانجين إلى شنغهاي، وقرَّرت أن تحذو حذوه. وعلى الرغم من

أنّها كانت المرّة الأولى التي تسافر فيها وحدها والمرة الأولى أيضاً التي تغادر فيها اليابان، لم تشعر بأدنى توتر.

من شنغهاي طارت إلى هونغ كونغ، ومن هناك انتقلت إلى فيتنام، وسريلانكا، والهند، ونيبال. والأماكن التي زارتها والأشياء التي شاهدتها جعلتها في حال متواصلة من الصدمة الثقافية. أدركت كم كان عالمها ضئيلاً. ومع تقدُّمها في السفر كانت تشعر بأنَّ ذلك العالم يغدو أكبر فأكبر، وحثَّت خطاها بشوق من مدينة غريبة إلى أخرى.

قبل أن تنطلق آوي في رحلتها بنحو عام، وجدت نفسها في لاوس. كانت تنتظر عند موقف حافلة على الطريق المؤدية إلى خارج مدينة فيينتيين إلى فانغفيانغ وإذا بشاب يقترب منها.

أعلن بإنجليزية فصيحة: «لي صديقة يابانية تشبهك تماماً. قابلتها عندما كانت مسافرة في هذه الدرب في العام الفائت. تذكّرينني كثيراً بها. لم أتمكّن من منع نفسي من إلقاء التحية عليك. أتساءل إن كنت ربما تعرفينها».

هدر سيل مستمر من الدراجات النارية والشاحنات على طول الطريق غير المعبَّدة من الصلصال الأحمر. كان الغبار المنبعث من الطريق يغطي كلَّ ما في الجوار بطبقة رقيقة حمراء عند عودته إلى الأرض. وإلى جوار موقف الحافلات أقيم كشك للأطعمة يقدِّم شطائر مصنوعة من الخبز الفرنسي وتشكيلة من الحشو. واحتشد الذباب حوله بانهماك.

طرحت آوي السؤال الطبيعي: «ماذا كان اسمها؟».

كان صعباً تمييز ما قاله الشاب حقاً، لكنَّه بدا لآوي أشبه باسم ناناكو.

هتفت: «ناناكو؟ تقول ناناكو؟».

قال مع إيماءة واضحة: «نعم، ناناكو»، ثم ردَّد كما لو أنَّه يؤكِّد: «ناناكو. ناناكو».

«أين قابلتها؟ ماذا تعمل؟ كيف بدت؟ إلى أين كانت ذاهبة؟ في أي مدينة تقيم في اليابان؟» على الرغم من سوء نطقها للإنجليزية، انهالت آوي على الشاب اللاويّ بالأسئلة:

«كانت فتاة جميلة، أقصر قامة منك، قالت إنَّها أتت إلى هنا قادمة من تايلاند. وقد عادت إلى اليابان من هنا. وقالت إنَّها تقيم في طوكيو».

شعرت آوي بأصابعها ترتعش وهي تستمع إلى إجاباته. لم تصدِّق في الحقيقة أنَّها ناناكو التي تعرف، ومع ذلك في موقع عميق في داخلها كانت مقتنعة به.

«في منزلي، لديَّ رسالة وبعض الصور. هل تودين أن تريها؟»».

أجابت آوي باشتياق: «نعم!»، وقفزت إلى خلفيَّة دراجته النارية من دون لحظة تردُّد.

بعد أن تخبَّطا قليلاً على طول الطريق المغبرَّة، التي على الرغم من كونها شرياناً مهماً في حركة المرور لم يكن يحدُّها إلا عدد قليل من الدكاكين، تقدَّما إلى شارع عام تمتد فوقه بوابة باتوكسيه، التي شكِّلت على نمط قوس النصر في باريس. مرّا من خلال البوابة وتابعا الطريق. وسرعان ما اختفت المحلات التجارية وأكشاك الطعام تماماً، فاسحة المجال لمساكن عابرة شبيهة بأكواخ موزَّعة بين الأشجار الضخمة، الغريبة، والأعشاب الكثيفة التي تخنق جانبيّ الطريق. ولم تفترض آوي إلا أنَّ هذه الدرب هي التي تؤدي إلى منزل الشاب، ولكن عندما توقَّف أخيراً كان ذلك أمام مبنى من الواضح أنَّه مهجور.

حالما ترجَّل قال: «أعطني ما لديك من مال». كان السلوك الودي الذي أظهره من قبل قد تلاشى، وحلَّ محله صوت خشن، مهدِّد. ارتعشت ركبتي آوي من تحتها، وتفصَّد العرق البارد من جبينها وحتى إبطيها. وفي الحال جفَّ فمها، وعجزت عن الكلام. إذن فهي خدعة! لقد جاء الإدراك متأخِّراً كثيراً.

على الأقلّ لم يكن يلوّح بسكين في وجهها؛ من الواضح أنّها لم تكن في حاجة إلى الخوف على حياتها. قالت لنفسها، **لا تجزعي، اهدئي، فقط أعطه النقود بلا جلبة واخرجي من هنا بأسرع ما يمكنك. ولا تفكري في أيّ شيء آخر.**

خرج صبيّان أصغر سنّا، ربما لم يكونا حتى في المرحلة الثانوية، من كوخ التنك المتهالك لكي يحدّقا إليها مهدِّدين. ولما وضَّحت أنّ لا نيّة لها في المقاومة، أنزلت آوي حقيبة ظهرها، وأخرجت المحفظة، وأعطت ما تحتوي من الأوراق النقدية كلَّها للسالبين.

زمجر: «أنت معك أكثر من هذا». أخذ الفتيان الآخران يثرثران باستمرار باللغة المحلية. كان أزيز عدد لا يحصى من الحشرات في الأحراج المجاورة أشبه برنين ناء في أذنيها. في الواقع كان معها ثلاث محافظ في حقيبة ظهرها. المحفظة التي أفرغتها تواً كانت تلك التي تحتوي العملة المحلية؛ والثانية تضمّ عملة الين الياباني، والثالثة تحتوي ما يقارب المبلغ نفسه على شكل شيكات المسافرين. فكّرت بسرعة وأخرجت فقط التي تحتوي شيكات المسافر، وكانت تعلم أنّه يمكن استبدالها.

مدَّ الشاب يده إلى حزمة الشيكات السميكة واستعرضها بسرعة قبل أن يدسَّها داخل جيبه. من الواضح أنّه لم يكن حتى يعلم أنّه لا قيمة لها من دون توقيع. أبدت آوي ملاحظة مؤنِّبة، محاولة أن تثبّت أعصابها. وعلى الرغم من أنَّ الشمس كانت تنشر لهبها بشدَّة مؤلمة، بقيت بشرة ذراعيها باردة تحت تأثير القشعريرة.

بالإضافة إلى الأوراق النقدية وشيكات المسافر، سلبها الفتيان الثلاثة آلة التصوير، والقدّاحة، وجهاز سماع الموسيقى وبعض الأشرطة. وهذا كلُّ شيء. والسبب في أنّهم لم يأخذوا جواز السفر أو يدفعوها إلى توقيع الشيكات أوحى إلى أنّهم كانوا قطاع طريق تافهين، وليسوا جزءاً من عصابة منظّمة. عندئذ

أمرها اللص الشاب بالعودة إلى الدراجة النارية وقاد بها مسافة قبل أن ينزلها في مكان لا يوجد فيه غير الأكواخ على جانبي الطريق. وعندما همَّ بالإنطلاق، رسم لها ابتسامة وقال: «شكراً لك». جعلته ابتسامته الصبيانية يبدو أشبه بطفل صغير.

امتدت الطريق في كلا الاتجاهين عبر مشهد طبيعي من حقول الأرز تتخللها بعض الأشجار. ولما لم تكن تعلم إلى أين تذهب، اختارت آوي أفضل الحلول وتابعت المسير. وكلما قابلت شخصاً آتياً من الاتِّجاه المقابل، تحاول أن تسأله عن الاتجاهات بالقول: «فيينتيين؟» لكنَّ الأشخاص ذوي الملابس الرثَّة كانوا يكتفون بالنظر إليها باستغراب، أو في بعض الحالات بحذر، ولم يخبرها أحد عن الوجهة الصحيحة.

تمتمت آوي وهي تواصل سيرها بعناد: «لا أصدِّق! لا أصدِّق! لا أصدِّق! كم أكره هذا البلد! طوال فترة سفري لم يحدث معي شيء مشابه. لقد كان كلُّ شيء جيداً. لم يخبرني أحد بمثل هذه الأكاذيب. صديقة؟ ناناكو؟ رسائل وصور؟ إذا أراد مالي، فلماذا لم يطلبها في الحال بدلاً من أن يخترع قصة حمقاء؟ أتمنى أن يقبضوا عليك وأنت تحاول استعمال تلك الشيكات، أيُّها الأحمق!».

بينما هي تصخب بصوت عال، توقَّف ارتعاش يديها، وخمدت القشعريرة، والخوف الذي كان قد أثَّر في أعصابها كلِّها أرخى قبضته بالتدريج. وتابعت الشمس إرسال لهبها في أثناء ميلها على صفحة السماء. ظهر لها كلب ضخم عليه بقعة جرداء من الشعر من الخلف ولحق بها. وحلَّق البعوض دائراً بصمت.

قالت آوي من جديد: «لا أصدِّق!» لكنَّها حبست أنفاسها ووقفت جامدة في مكانها على الطريق الصلصالي الأحمر.

كان الأمر أشبه بظهور صاعقة مفاجئة من كبد السماء الزرقاء. لقد صدَّقت

فعلاً. كانت حتى تلك الحظة، لقد صدّقت حقاً أنّ في استطاعتها أن تتكّل على إيمان الناس الصادق. لقد كان إدراكاً رائعاً ومذهلا معاً. وصدّقت أيضاً من دون أدنى ظلٍّ من الشك أن ناناكو لاتزال على قيد الحياة. وصدّقت آوي، كأنّها كانت موجودة هناك بنفسها، أنّ ناناكو، بحبّها غير الحذر للاختلاط الذي تتّصف به القرويات في منتصف العمر، قد انخرطت في الحديث مع الشاب، وشاركته شرب كوب من الشاي في مقهى في العراء، والتقطت صورة أو اثنتين تذكاراً، ومن ثمّ كتبت له رسالة إبّان عودتها إلى اليابان.

مرّت بها امرأة شابة تحمل طفلاً بين ذراعيها، تحدّق صراحة إلى امرأة أجنبية تقف مثل العمود على طريق الصلصال المغبر. وظهرت امرأة عجوز من مكان أشبه بمخزن عام أمامها بعدد من الأبواب ووقفت تحدّق إليها أيضاً وفجأة أصبح كلُّ ما يقابل عينيّ آوي مكبّراً، ثم تمايلت برفق كما لو أنّها تحت الماء، وبعد لحظة أدركت أنّها تبكي، وتابعت سيرها، أحرقت أشعة الشمس القوية قمة رأسها، بقيت الدموع تنهمر على وجنتيها كحبّات من العرق. طنّ الذباب حول ذراعيها ووجهها، وتابعت سيرها وهي تشهق باستمرار وتمسح وجنتيها المبقعتين بالدموع برسغين لوّحتهما الشمس.

سمعت صوتاً يشبه أنين بعوضة آتياً من خلفها فالتفتت لترى شاحنة صغيرة تقترب، ولاتزال على مسافة منها. وتساءلت إن كان في وسعها أن تستوقفها وتطلب توصيلة إلى المدينة، لكنّها لزمت مكانها، عاجزة عن الحركة. لم يكن هناك من سبيل لمعرفة من في داخل الشاحنة. هل سيوافقون على توصيلها إلى المدينة؟ الارتعاش الذي كان قد زال عن يديها قبل قليل عاد ببطء لينتشر بدءا بأطراف أصابعها.

اقتربت الشاحنة، تشقُّ سحب الغبار الأحمر وترميها خلفها. وخرج أطفال راكضين من الأكواخ على طول الطريق لكي يلوّحوا للسيارة المارة.

لم يكن هناك ما يؤكّد أنّ السائق سيقبل بنقلها إلى حيث تريد. يمكنه بكلّ سهولة أن ينقلها هو الآخر بعيداً إلى بقعة منعزلة ويجبرها على تسليم ما تبقّى لديها من نقود. أو حتى إذا حملها إلى المدينة، يمكنه أن يطلب مبلغاً غير معقول من المال. ومع ذلك... مع ذلك... وعلى الرغم من ذلك...

أخذت آوي نفساً عميقاً وآملت في أن تتحرّك أطرافها المتجمّدة، ثم اندفعت إلى الأمام في طريق الشاحنة المتقدّمة، ولوّحت بذراعيها عالياً وواسعاً من فوق رأسها وحظيت بانتباهها. هدر نفير الشاحنة وأطلقت صريراً عالياً لتتوقف على بعد أمتار قليلة منها. تصاعدت سحب من الغبار من حولها، وحجبتها برهة عن الرؤية. تقدّمت آوي عنوة نحو الأمام.

يجب أن أتحلّى بالإيمان. هكذا يجب أن أكون. هنا، والآن، لقد عقدت عزمي.

هتفت عبر المقعد الأمامي في وجه السائق الذي في منتصف العمر: «فيينتيين!» وهي تميل داخل النافذة المفتوحة: «فيينتيين! سامسنتيه! مضيفة بانغام! تات لوان!»، صاحت بأسماء الشارع، والفندق، والمعبد القريب، واحداً تلو الآخر، آملة أن يفهم ما تريد. بدا أنّ الضراوة التي نطقت بها هذه السلسلة من الكلمات أربكته في أوّل الأمر، ولكنّه في النهاية أومأ برأسه دلالة الفهم عندما نطقت اسم سوق تارات ساو. ومدّ يده لكي يفتح باب المسافرين.

يجب أن يكون لديّ إيمان. هذا ما عقدت العزم عليه. لا يمكنني أن أنكص من الخوف. إذا كان هناك عالم يستطيع فيه شخص أحمق أن يخدعني ويخيفني ويسلبني نقودي، فثمّة عالم آخر يستعد فيه شخص غريب لطيف أن يضع عمله جانباً ويبحث في المكان كلّه عن غرفة في فندق رخيص. سيان. وإذا كان هناك عالم لا وجود لناناكو فيه، فلابد أنّ هناك عالماً لاتزال تعيش فيه وتتشارك الضحك مع شخص لم تقابله من قبل. وفي هذه الحال، أختار الإيمان بالأخير. تماماً كما أختار الإيمان بأنّ الشاحنة سوف تقلّني إلى

حيث أريد.

كان السائق يلقي نظرة سريعة على آوي بين حين وآخر في أثناء قيادته. وتقابلت عيونهما فارتسمت ابتسامة مرتبكة على شفتيه. قال بهدوء مع إيماءة برأسه: «فيينتيين».

أزيز الحشرات. رائحة الغبار، نسوة يمشين حافيات، وهج الشمس الذي لا يلين، المشهد العام الذي لا يتغيّر. هذا كله تدفّق ماراً بسرعة تخطف الأنفاس خارج النافذة، وسرعان ما جفّفت الرياح المغبرّة التي هبّت على وجه آوي وجنتيها الملطّختين بالدموع.

عندما تخرّجت آوي في الجامعة، أسّست شركة سفريات مخصصة في مجملها للطلاب. كانت العملية مثل نشاط طلابي جماعيّ معظّم في أوّل الأمر، بمكاسب ضئيلة إلى درجة أنّها اضطرت إلى القيام بأعمال جانبية لكي تتمكّن من العيش. كانت الطالبات اللواتي عرفتهن من خلال جمعيتها المسمّاة جمعية ريل في الجامعة وأيضاً نادي السفر يتردّدن إليها في المكتب، الذي كان أيضاً منزلها. والشبان الذين كانت تقابلهم في رحلاتها كانوا يمكثون معها أحياناً بضعة أسابيع في أثناء بحثهم عن مكان يقيمون فيه بعد العودة إلى اليابان.

باستثناء كون أولئك الأشخاص يشكلون ضغطاً عليها بتوزُّعهم في أرجاء منزلها–مكتبها، كانت آوي تستمتع بصحبتهم. لقد أحبّت مشاركة الآخرين حياتها، في النوم واليقظة والعمل معاً، ومن ثمّ الاحتفال بوجبة عشاء بعد انتهاء عملهم. ببساطة شديدة، كانت تعتبر ذلك استمتاعاً.

مع ازدياد توافد الطلبات من الباطن من شركات السفر الأخرى وثبات تدفُّق المال عليها، انتقلت إلى حيٍّ جديد في أوكوبو واندمجت بوصفها شركة موثوقة محدودة. وعندما فازت بعقد كبير لكي تمثّل اتحاداً لبعض الفنادق، اشترت وحدة سكنية مشتركة قريبة وأعادت تنظيم شركتها لتصبح شركة مساهمة

مشتركة. والطلاب الذين كانوا يتواجدون في المكتب توقفوا تدريجياً عن المجيء، وامتلأت الغرف بدلاً منهم بطاولات المكاتب، وبأجهزة الحاسوب وبناسخة ضخمة مع جهاز فاكس.

شعرت كأنَّها أمضت سنوات عمرها وهي تطابق بين ما تستطيع أن تنفِّذه بنفسها وما ليست مؤهَّلة لعمله - وكان نصيبها من هذا الأخير كبيراً. فلم تكن بارعة جداً في التعامل مع الأرقام أو مع الحسابات المعقَّدة، وكثيراً ما كانت تنسى مواعيد حدَّدتها، ولم تكن لديها أدنى فكرة عن التعامل مع نظام الإضبار، وكانت في العموم تفتقر إلى البراعات المكتبية. لكنَّ لائحتها الطويلة من النقائص لم تزعجها كثيراً. فإذا كانت تواجه شيئاً لا تستطيع التعامل معه، كلُّ ما كان عليها أن تفعله هو أن تستأجر شخصاً يستطيع ذلك. وكان لايزال يوجد أشياء تستطيع أن تنفِّذها ولا يستطيع ذلك الشخص المستأجر.

مع مرور السنين، انتهى عهد ازدهار سفر الطلاب، والزبائن الذين عوَّلت عليهم لإدارة دولاب العمل قلَّ عددهم في الأيام العصيبة وتوقَّف العمل، لقد جعلت الأحداث العالمية الناس يتردَّدون في السفر إلى الخارج، وفجأة وجدت آوي نفسها وقد تجاوزت منتصف الثلاثينيات من عمرها لا تستقبل إلا أقل من عدد مستخدميها. وتعرَّفت إلى إحساس مشؤوم لم تعرفه من قبل في حين تهتز الأرض بخطورة تحت قدميها.

أدركت آوي أنَّها سئمت التعامل مع الناس. فاستئجار المستخدمات والعمل معهن يداً بيد لم يكن مسألة بسيطة تتعلَّق بتقسيم المهام وفقا لمهارات كلٍّ واحدة. فإحدى العاملات تتهرَّب من عملها عندما تستطيع وفيما عدا ذلك لا تساهم إلا في الشكوى، وثانية تسحرك بابتسامتها ومن ثمَّ تسرق زبائن العمل، وثالثة تغضُّ بصرها عن عيوبها ولكن لا تفوِّت فرصة لتذكير الآخريات بعيوبهن، وعلى الرغم من أنَّه ينبغي ألا يكون هذا من شأن أحد،

فإنَّ الكلام يدور وبدأت العاملات يتطفَّلن على ماضي آوي بافتتان متلهِّف. وأخذت المستخدمات يأتين ويذهبن، واحدأة إثر أخرى. وذات يوم خطر في بال آوي أنَّ التعامل مع الناس يندرج في قائمة الأشياء التي ليست مؤهَّلة لها، وشعرت بالقشعريرة تسري في جسمها.

في ذلك الوقت قابلت ربَّة منزل من أيام الجامعة كمغامرة جديدة. واقتنعت حالما بدأت سايوكو عملها بأنَّ قرارها باستخدامها لم يكن خطأً. فأسلوبها في الانغماس في التفاصيل الدقيقة، وكأنَّها تكابد عناء كيِّ كلِّ طيَّة من طيّات تنورة ذات ثنيات، بدا من بعض النواحي أشبه بقوقعة زحفت داخلها لأنَّها أرادت إبعاد الناس عنها. ولكن فيما يخص الأداء حصراً، ما كان يمكن لآوي أن تطلب أفضل من ذلك.

أحسَّت آوي، من نتف من أحاديث هنا وهناك، أنَّ سايوكو قد بدأت تفتح قوقعتها وتنعم النظر إليها مباشرة من خلال الفتحة التي تتَّسع. وذكَّرتها بنفسها وهي في المدرسة الثانوية. في أثناء الكلام، كانت تشعر أحياناً كأنَّها تلعب دور ناناكو الذي كانت قد لعبته في الماضي.

ذات يوم عندما انضمت إلى سايوكو في تنظيف شقَّة قذرة بصورة رهيبة، وجدت نفسها تختبر إحساساً قوياً بأنَّها قد مرَّت بذلك من قبل. كشط الحوض بصمت والبقعة الملوثة من الحمّام. والعرق السائل من الصدغ إلى الذقن. وشمس الصيف المتدفقة من النافذة. العقل الفارغ، والوجه الخالي من التعبير، وحركة اليدين المتقطِّعة. وعين نوريكو ناكازاتو الحادَّة. ذكَّرها بقوة بإيزو. وبينما هي وسايوكو تقومان بمهمتيهما المنفصلتين في غرفتين منفصلتين، شعرت آوي بإحساسها الحديث بالتشاؤم يتلاشى. لطالما أرادت أن تفعل هذا: أن تكون في حالة حركة دائمة، ودائماً في حالة بحث عن الشيء التالي الذي ستقوم به، وتعمل إلى أن توشك على السقوط إرهاقاً – ثمَّ، في آخر

النهار، تتقاسم إرهاقها وابتساماتها مع زميلة لها. لعلَّ المستقبل الذي تاقت إلى العثور عليه وهي مراهقة لا يوجد إلا في مكان ما على الجانب النائي من أيام كهذه. وبوصفها صاحبة لائحة من القدرات لعلها أقصر من غالبية النساء، ربما ما أرادت حقاً أن تفعله ليس أن تباشر بإدارة شركة ضخمة، بل ببساطة شيئاً كهذا.

باستثناء تقارب عمريهما والجامعة الأم، لم يكن يجمع بينها وبين سايوكو أيُّ شيء. وضعهما في الحياة، وجهات نظريهما، ما تملكان وما لا تملكان – كلُّ شيء بينهما متباين. وصدقاً، عندما كانت سايوكو تتكلَّم عن عائلتها أو ابنتها أو عن مدرسة الحضانة، كان يمكن لها أيضاً أن تبث شفرة سريَّة بالنسبة إلى آوي. لكنَّ آوي أيضاً لم يسعها إلا أن تشعر أنَّهما حتماً ترتقيان التل نفسه. كانتا بسيرهما في دربين مختلفتين، تارة تشقَّان طريقهما بحماس لا تلويان على شيء، وتارة تجلسان بارتياح، وتارة تستعدان للتخلّي عن الأمر كلِّه، إنَّما ترتقيان ببطء ولكن بثقة المنحدر نفسه. ومهما كان وضعاهما ووجهات نظرهما متباعدة، ومهما كان اختلاف الأشياء التي تملكان وما لا تملكان، إلا أنَّ آوي شعرت أنَّهما ذات يوم ستتشابك أيديهما فوق ذلك التل، تضحكان وتهتفان بابتهاج معاً: «لقد نجحنا! لقد نجحنا!».

ومع ذلك ها هي سايوكو جالسة، كالعديد من الأخريات من اللواتي أتين ورحلن من قبل، يسألن، وعلى شفاههن نبرة تأنيب، عما حدث بعد القفزة الشهيرة.

كما فعلت آوي مع الأخريات، راحت تمزح بخفَّة في أثناء سردها التفاصيل الأوسع لحكايتها، ثم ثبَّتت عينيها على سايوكو بحزم:

«أراضية أنت؟».

كانت سايوكو تصغي بوجه قدّ من حجر. تمتمت: «نعم، أنا سعيدة لأنّني سألت».

قالت آوي وهي ترسم ابتسامتها المعتادة: «بما أنّه لا توجد لدينا أعمال تنظيف على اللائحة، لم لا تذهبي إلى المنزل هذا اليوم وأخبريني بأقرب وقت عن عرضي الذي قدمته قبل قليل. فليكن غداً، إذا أمكن. هناك أشياء كثيرة سوف أطلب منك أن تساعديني فيها».

«شكراً لك. سأذهب الآن»، وتركت قهوتها من دون أن تمسَّها، ونهضت سايوكو واقفة وتحرَّكت نحو الرواق الأمامي. وبعد أن انتعلت حذاءها عند الباب، التفتت. قالت بصوت كالصرير «إذا كنت ستتخلّين عن عمل تنظيف المنازل، أعتقد أنّني أنا أيضاً سأقدِّم استقالتي»، ثم انحنت انحناءة كبيرة وخرجت.

ملأ الصمت الغرفة. رفعت آوي قدمها إلى الكرسي ووضعت ذقنها على ركبتها، وهي تحدِّق إلى الباب المغلق. وبعد أن تلاشى وقع قدميّ سايوكو على الدرج، نهضت واقفة وفتحت نافذة المطبخ وأشعلت سيجارة. راحت تستنشق الدخان بعمق، وهي واقفة في شمس منتصف النهار. ملأ الجو رائحة البهار وزيت الطبخ المنبعثة من المطعم المجاور.

لعلَّ سايوكو، مثل جونكو وميساو، خرجت من ذلك الباب من دون عودة. كان مقررا أن تغادر يوكي إلى كندا مع زوجها، وماو لن تمكث أكثر منها. وتجنيد طاقم عمل آخر سوف يستغرق بعض الوقت، لذلك في تلك الأثناء كانت في حاجة إلى أن تقرِّر ما الذي تستطيع ولا تستطيع أن تفعله وحدها. ما تستطيع ولا تستطيع أن تفعله... سحقت عقب السيجارة في المغسلة، وانزلقت إلى أسفل الجدار على الأرض ودفنت وجهها بين ركبتيها. وحالما بدأت تفكِّر في كلِّ ما ينبغي إنجازه قبل أن تبدأ العمل فعلياً مع فريق

جديد – وضع الإعلانات ومقابلة المتقدمين وتعليمهم ما يحتاجون إلى معرفته لعملهم – بدا لها أنَّ كلَّ ما ينتظرها هو الصداع.

انتابت آوي رغبة في البكاء، فقوَّست ظهرها ووضعت وجهها بين يديها. عندما أخفقت الدموع في الخروج، حاولت أن تحثَّها برفع صوتها على شكل نحيب طفل، واااه! ورفضت الدموع أن تخرج. أخفضت وجهها وراحت تنعم النظر في أصابعها على أرضية المطبخ. وفجأة تذكَّرت تلك اللحظة على درب الصلصال الأحمر ذاك في لاوس عندما وقفت في مسار الشاحنة المنطلقة ولوَّحت لها بذراعيها عالياً من فوق رأسها. الشمس الحارقة. الألوان. رائحة الغبار. وارتعاش ركبتيها من توقُّعها الأسوأ.

هتفت: «أنا مستقيلة!»، وأسرعت بالوقوف على قدميها. وولجت غرفة المكتب بخطى واسعة لكي ترفع الهاتف المحمول الذي تركته على أرضية التاتامي وبدأت تستعرض الأرقام في دفترها.

«مرحباً، هانا؟ ماذا لديك هذه الليلة؟ ليس لديك شيء؟ عظيم! دعينا نخرج لنتناول مشروبا. على حسابي».

بينما هي تضع الخطط بمرح مع الشخص على الجانب الآخر من خط الهاتف، ألقت آوي نظرة حولها في الشقَّة التي كانت تتألَّف سابقاً من غرفتيّ نوم.

يا إلهي، كم أنا مرهقة! كيف تصنِّفين هذا اليوم؟ صعباً جداً إلى درجة تستحقين عندها الفوز بتناول الحلويات؟ أهلاً بعودتك! لابد أنَّك متعبة. كعك؟ أوه، رائع. هذا بالضبط ما أحتاج إليه! تردَّدت أصداء صوتي المرأتين اللتين عملتا معاً في هاتين الغرفتين في أذنيها. الشمس التي تشقُّ طريقها إلى ذروة سمتها أرسلت أشعتها بهدوء إلى طاولة غرفة الطعام التي تحيط بها كراس بشكل فوضويّ.

-15-

اقتربت نهاية العام وأغلقت مدرسة الحضانة أبوابها بمناسبة العطلة الشتوية. وكان سهلاً على سايوكو، بوجود أكاري في المنزل، أن تشعر بأنّها اتّخذت القرار الصائب.

منذ تركها العمل في شركو بلاتينوم بلانت، وهي تمضي وقتها كلّه في المنزل، لا تذهب إلى أيِّ مكان ما عدا محلِّ البقالة. وأخذت تشغل وقتها بتنظيف المنزل، وتلميع الأسطح كلّها حتى النقاء التام. ولما كان موسم تنظيف آخر العام الاعتيادي قد حان في كل الأحوال، لم تشعر بأيِّ وخز من ذنب؛ قالت لنفسها ببساطة إنَّ التنظيف العام للمنزل بمناسبة العام الجديد الأولوية على مرافقة أكاري للتنزُّه في الحديقة العامة أو إلى متحف الأطفال.

كانت قد باشرت العمل في بداية شهر حزيران، لذلك عانى المنزل الإهمال أكثر من ستة أشهر. والجولة الأسبوعية السريعة فاتها العديد من الجيوب التي تراكم فيها الغبار والقذارة. والآن، بين فترات الانقطاع المتكرّرة عن إيلاء أكاري الانتباه، أزالت الشحم عن منفذ التهوية ولمّعت المدفأة، وشمّعت الأرضية الخشبية، وصقلت طقم الأطباق، وغسلت ستائر النوافذ كلّها، وكشطت غرفة الحمّام من أعلاها إلى أسفلها. نظّفت، ونظّفت، ونظّفت، ومع ذلك بقيت تعثر على المزيد من القذارة الكامنة هنا وهناك. وحتى بعد تنظيف المنزل بالكامل، متفحّصة كلَّ غرفة على حدة ومعالجة كلَّ مشكلة تقابلها،

كانت تظلُّ موقنة من أنَّ ثمة بقعاً أفلتت منها، ولا تكفُّ عن التجوال في المكان متسلِّحة بالممسحة.

عند الساعة الرابعة من كلِّ يوم كانت تعدُّ أكاري للقيام بجولة في السوبر ماركت، حيث تشقُّ طريقها ببطء بين الحشود من الأمهات الشابات اللواتي يصحبن أطفالهن الصغار لتنتقي ما تحتاج إليه من أجل الأطباق المتقنة التي تعدُّها في كلِّ ليلة. وفي الأيام التي يتأخر فيها شوجي في العودة ليلاً، تضع أكاري في سريرها ومن ثمَّ تشغل نفسها في خياطة بعض الأشياء لابنتها عندما تعود إلى المدرسة. فحقيبة اليد البسيطة وجراب الحذاء الذي صنعتهما في تلك الأيام المحمومة قبل يوم أكاري الأوَّل في المدرسة يدلان على التسرُّع الكبير الذي عملا به. والآن ها هي تنعم النظر في كتيِّب آلة الخياطة لتتعلَّم كيف تستخدم وظائف التطريز، وتجرِّبها في صنع دمى الأرنب بيتر والدب ويني ذا بوو وتطرِّز بأناقة أحرف اسم أكاري على المناشف والمناديل. كانت تعلم أنَّه سيتوجَّب عليها أن تسحب أكاري من المدرسة إلا إذا عثرت على عمل، لكنَّها شعرت بأنَّ عليها أن تفعل شيئاً.

كانت تفكِّر في آوي بين حين وآخر. أو بعبارة أدق، في القصة التي حكتها لها آوي في يومها الأخير في المكتب. كانت آوي قد قالت إنَّها والفتاة التي قفزت معها عن السطح لم تتقابلا بعد ذلك. فقد نقلت الفتاة على عجل إلى مدرسة أخرى، ولم تتبادلا الرسائل بعد ذلك ولم تتكلَّما عبر الهاتف. لقد زوَّد سماع سايوكو لهذا بقدر من الارتياح: كانت على صواب في تخيُّل آوي تنسى بسرعة الصديقة التي هربت معها. ولكن لما كانت سايوكو قد شعرت ذات يوم بالحسد تجاه الفتاة المجهولة من ماضي آوي، شعرت أيضاً بقدر من الإحباط من هذه النهاية. أجابت بهدوء: «أمر مؤسف جداً»، فرسمت شفتا آوي ابتسامة لدى سماع هذا من إحساسها بالمهانة وأجابت: «ماذا يمكن أن

تتوقَّعي؟ كنا مجرد طفلتين».

قالت سايوكو في نفسها وهي تنظِّف المنزل وتزركش المناديل، لعلَّها على حق. مهما كانتا قد تقاربتا في الماضي، فعندما تذهب صديقتان كلٌّ واحدة في اتِّجاه مختلف فإنَّ العلاقة تنتهي سريعاً. ولا شك في أنَّها هي نفسها سوف تنسى الشركة الصغيرة غريبة الأطوار التي اسمها بلاتينوم بلانت والمرأة التي في مثل سنِّها التي كانت تديرها. وتلك المرأة سوف تنسى أمرها أيضاً. وعلى الرغم من أنَّهما لم تعودا «مجرَّد طفلتين» - ربما، في الواقع، بالذات لأنَّهما لم تعودا كذلك - فإنَّ ذكرياتهما عن الوقت الذي أمضيتاه معاً سوف يضيع بين تضاعيف التفاصيل اليومية لحياتهما.

عندما أخبرت سايوكو زوجها أنَّها تركت العمل لم يبد عليه أدنى قدر من الدهشة. قال بنبرة صوت عادية: «نعم، هذا ما توقَّعت. أعتقد أنَّ هذا أفضل».

إذا بقيت سايوكو بلا عمل، فسوف تضطر إلى سحب أكاري من المدرسة مع نهاية شهر كانون الثاني. ولكن لأنَّ الفتاة كانت جزئياً في سنِّ الحضانة وأصبحت الآن تتعوَّد المدرسة تماماً، ولأنَّ سايوكو نفسها من ناحية أخرى كانت تستمتع بالصداقة التي عقدتها مع بعض الأمهات الأخريات، فقد رغبت حقاً في إبقاء أكاري في المدرسة. وهذا يعني أنَّ عليها أن تجد لنفسها عملاً جديداً في الحال، لذلك أمضت وقتها في استعراض الإعلانات وأعمال التطوُّع المبثوثة في الصحف، فتطوي زوايا الصفحات وتحيط المواد المثيرة للاهتمام بدوائر بالقلم. غير أنَّ صوت شوجي وهو يقول: «*هذا ما توقَّعت. أعتقد أنَّ هذا أفضل*». ظلَّ يتردَّد صداه في رأسها. ولعجزها عن الاستقرار على قرار، عادت إلى تنظيف المنزل، وعلى هذا انتهى العام.

وفقا لعادتهم السنوية، قاموا جميعاً بزيارة والدة شوجي في اليوم الأوَّل من العام الجديد. وكالمعتاد، بدا أنَّ ما تفعله سايوكو كلَّه لا يسرُّ الجدَّة تامورا:

«لا أعتقد أنّك طبخت شيئاً بمناسبة العام الجديد، أليس كذلك، يا سايوكو؟ ولكن العام الجديد لا يكون حقاً جديداً من دون الأطباق التقليدية، ألا توافقين؟ لقد مكثت حتى وقت متأخر من الليلة الفائتة لأصنع هذه الأشياء كلّها، وأنا مرهقة تماماً، لذلك ربما يمكنك أن تصنعي لنا سلطة أو ما شابه».

وهكذا باشرت سايوكو العمل في المطبخ الصغير، وحماتها تحوم حولها وتنهال عليها بسيل من الإرشادات. حالما فتحت سايوكو خزانة الخضراوات قالت: «لا تستعملي الملفوف. وأنا في حاجة إلى هذا الجزر، أيضاً».

أخرجت سايوكو بعض خضار الكوماتسونا[1] وبدأت تغسلها.

قالت حماتها بارتياب: «يا إلهي، سلطة بالكوماتسونا؟ هذا حتماً شيء مختلف». وبعد برهة صمت قالت: «أعتقد أنّنا يجب أن نتناول بعض الساشيمي[2]، أيضاً. السوبر ماركت بالقرب من المحطة يفتح أبوابه، لذا يمكنك أن تنتقي بعض الأشياء، كما ترغبين».

قالت سايوكو بعدائية: «ها قد بدأنا من جديد»، ولكن بإلهام مفاجئ رفعت صوتها ونادت على شوجي، الذي تمدّد بتكاسل على الأريكة في غرفة الجلوس: «حبيبي، أمّك تقول إنّنا في حاجة إلى بعض الساشيمي. هل لك أن تذهب إلى المتجر؟».

«هه؟» نخر بتراخ وهو يستجمع قواه وينهض على قدميه: «ماذا قلت تريدين أن أحضر؟»

«بعض الساشيمي. أحضر ما تشاء. وخذ أكاري معك، إذا لم يكن لديك مانع. إنّني أستعد لإعداد تلك الخضراوات، وستكون يداي مشغولتين بعض الوقت».

(1) كوماتسونا: نبات ذو أوراق، يسمى أيضاً المستردة الإسبانية. يستعمل في السلطة ويؤكل مقلياً أو مخللاً أو مطبوخاً. يوجد خاصة في بلاد جنوب وجنوب شرق آسيا. – المترجم

(2) الساشيمي: طبق ياباني، يتألف من شرائح السمك النيء مع الصلصة. – المترجم

هيّأت سايوكو نفسها لتعنيف حادٍّ، لكنَّ المفاجأة هي أنَّ حماتها أمسكت بكيس نقودها وهرعت بسرعة إلى شوجي.

قالت: «أحضر طوناً أو ربما سمك الأسبور. أو الشبوط سيكون جيداً، أيضاً»، ثم أضافت، كأمٍّ ترسل طفلها ليتسوَّق للمرَّة الأولى: «أتعرف شكل سمك الأسبور أو الشبوط؟».

ضحك شوجي ساخراً من أمِّه ثم التفت نحو أكاري: «هيا بنا، يا طفلتي الصغيرة! سنذهب إلى المتجر!».

كان الملل قد نال من الفتاة وبدأت تثير الجلبة، لكنَّها قفزت واقفة على قدميها، وردَّدت: «سنذهب إلى المتجر!».

عادت سايوكو إلى البرّاد وبدأت بسرعة تخرج كلَّ ما رأت أنَّها تستطيع أن تستخدمه في السلطة، بما فيه الملفوف والجزر. قالت في نفسها بفجاءة سارة، *ما مدى صعوبة هذا؟ لست مضطرة دائماً إلى أن أكون من يقوم بكلِّ شيء. كل ما عليَّ أن أفعل هو أن أطلب*. بينما هي تتحقَّق من الماء الذي كانت تسخِّنه من أجل الخضراوات، أدركت أنَّها كانت تهمهم بلحن - هنا في المنزل الذي لا تحصد منه إلا الأسى.

أصبح العشاء جاهزاً عند الساعة السادسة. أعدَّت أطعمة الجدَّة التقليدية داخل علب مصقولة احتلَّت مركز المائدة مع الساشيمي الذي اشتراه شوجي وأكاري من المتجر والسلطة والخضراوات المطبوخة التي أعدَّتها سايوكو. وعلى شاشة التلفاز كان يعرض برنامج فج للمواهب خاص بالعام الجديد.

قالت الجدَّة: «إنَّ هذه البرامج الخاصة بالعام الجديد كلّها صاخبة جداً».

قال شوجي، وهو ينهض على قدميه: «أوه، تذكَّرت شيئاً، يا أمي. لقد جلبت شريط فيديو. من يوم الرياضة الأوَّل الخاص بأكاري. فكَّرت في أن نشاهده كلُّنا معاً. كنت أنتظر الفرصة المناسبة لعرضه عليك».

أخرج الشريط من حقيبته ووضعه في مقدِّمة جهاز التلفاز لتحميله على

جهاز عرض الفيديو.

قالت أكاري: «يجب أن أكون نينجا! يا جدَّتي! لقد رقصت رقصة النينجا!» وهي تميل إلى الأمام على كرسيها.

أجابت الجدَّة: «آه، يا سلام، لست جادَّة». لم تبد متحمِّسة كثيراً.

سرعان ما سكتت الأصوات العالية في التلفاز حالما أصبحت الشاشة زرقاء اللون برهة، ومن ثمَّ بدأ عرض الشريط. ألقت سايوكو نظرة على الشاشة لكنَّها سرعان ما التفتت إلى طعامها وتابعت الأكل، من دون أن تقول أيَّة كلمة. كانت قد شاهدت الجزء الذي يبيِّن رقصة أكاري مرات عدَّة، ولكن ليس أكثر من ذلك. وطبعاً أعاد الشريط إلى ذهنها ذكريات أخرى عن اليوم الذي صوَّرته آوي.

هدرت الموسيقى من مكبِّرات الصوت، وهتفت المدرِّسة بتحية عبر المايكروفون. وكلما تغيَّر المشهد كانت أكاري تخرج بتعليق، ويشرح شوجي لأمِّه ما يجري.

مدَّت سايوكو يدها لتتناول قطعة قريدس من العلب الصقيلة ونزعت قشرتها برشاقة. لكنَّها تركتها لتتناولها لاحقاً، وانتقت قطعة من طون ساشيمي بعوديِّ الطعام وغمستها بصلصة الصويا على طبق الغمس الصغير الخاص بها.

علَّقت حماتها: «الصورة واضحة جداً».

«نعم. كالتلفاز تماماً، أليس كذلك؟ أوه! ها هي سايوكو».

«حسن، انظري إلى هذا! ولكن، من الذي يصوِّر إذن؟».

«الماما رقصت معي، يا جدتي. «يو—هيه—هو، شجرة المشمش..». وبدأت أكاري تغني أغنية الرقصة.

هتفت سايوكو: «لقد حضرت إحدى صديقاتي. لسوء الحظ، شوجي لم يحضر».

«قلت أنا آسف. تعلمين أنّني أكره أن يفوتني».

«أوه، يا إلهي. تلك الفتاة الصغيرة تبكي. انظر إليها، المسكينة». وبطريقة مسلّية نادرة الحدوث، ضحكت الجدّة بصوت عالٍ.

قالت أكاري، وهي تضحك أيضاً: «ساكورا طفلة بكّاءة».

«يا إلهي، كم عمر هؤلاء الأطفال الذين ظهروا تواً؟ يبدون أكبر بكثير من المجموعة السابقة».

رفعت سايوكو بصرها عن المائدة لترى. كان شريط الفيديو قد تغيّر من رقصة الآباء والأطفال إلى رقصة مجموعة من الأطفال الأكبر سنّا تجمّعوا عند خطّ البداية لكي ينطلقوا في جولة حول المضمار. كانت آوي قد صوّرت حتى الأحداث التي لم تشارك أكاري فيها. وفجأة، اندفع الأطفال عند الخط راكضين.

قالت سايوكو، وعيناها متعلّقتان بالشاشة: «أعتقد أنَّ أعمارهم خمس سنوات». عزفت موسيقى حيوية في الخلفية في أثناء تسابق الأطفال حول المضمار. وفجأة تعثّر أحد الأطفال بصورة مؤلمة واستقرّ على وجهه. لم يبذل أي مجهود للوقوف من جديد، وانفجر يبكي.

سمع صوت معلّمة عبر مكبّر الصوت: «اركض، يا ناوكي! كدت تصل! انهض واركض!» التقطت آلة التصوير لقطّة مقرّبة للراكض الساقط. استدار صبي سبقه ببضع خطوات لينظر، فقامت ساقاه بحركة راقصة صغيرة غريبة في أثناء محاولته تقرير ما إذا كان سيستمر بالركض نحو الهدف أم يرتد ليقدّم بعض المساعدة. وأخيراً قرّر أن يرتد، وعلا الهتاف. انخفض نحو الأرض وقال شيئاً ليواسي زميله في الصف أو يشجّعه. في أثناء كلامه معه، أمسك بيد الصبي ليساعده على النهوض على قدميه، وبدآ معاً يسيران ببطء نحو الهدف. كان الصبي الذي وقع لايزال يصرخ، وارتفع وجهه نحو السماء. وكان الصبي

الذي يقوده من يده يمدُّ يده نحو الخلف بين الفينة والأخرى ليمسح له الدموع عن وجنتيه.

بعد أن لحقت الصورة على الشاشة الصبيين نحو خطِّ الهدف، انقطعت برهة ومن ثمَّ ظهرت سايوكو، تلوِّح بيدها وتمشي نحو آلة التصوير. وفي الحال تقريباً انقطعت الصورة من جديد، واهتزت آلة التصوير قليلاً وظهر المشهد التالي. كان أطفال صف أكاري يجتمعون في وسط الملعب. واقتربت الصورة من أكاري.

راقبت سايوكو وشريحة من لحم الطون معلَّقة في الهواء بين عوديِّ الأكل.

تراجعت آلة التصوير في حين قاد الأساتذة أكاري وزملاءها من أيديهم إلى أماكنهم. أصدرت مكبِّرات الصوت لحناً راقصاً جديداً. كانت السماء الصافية الزرقاء تمتد فوقهم. وظهر الآباء حول الملعب يحملون آلات التصوير والكامكورد يميلون فوق الحبال، ويجهدون ليحصلوا على أفضل اللقطات لأطفالهم. الآن عادت أكاري إلى مركز الصورة، واقفة هناك لا تأتي بحركة، وعيناها فقط تتحرَّكان بسرعة جيئة وذهاباً. وسمعت أصوات سايوكو وآوي بالقرب من آلة التصوير، أولاً تضحكان، ثم تهتفان بكلمات تشجيع: «ارقصي، أكاري! يمكنك أن تفعلي ذلك! هيا يا أكاري!» وأخيراً بدأت أكاري تتحرَّك بطريقة خرقاء على وقع الموسيقى.

بينما عينا سايوكو تتابعان الحركة على الشاشة، كانت تتخيَّل بدلاً منها شكل آوي حاملة آلة تصوير الفيديو بيديها، وعيناها منتفختان من قلَّة النوم. تخيَّلتها تلاحق عن كثب حركات أكاري. تخيَّلتها وهي تقرِّب اللقطة على الصبي الذي التفت ليساعد صديقه الساقط.

أعاد هتاف الجدَّة عالي النبرة سايوكو إلى أرض الواقع: «يا إلهي، سايوكو! أنت تقطرين! أنت تقطرين!» كانت بضع قطرات من صلصة الصويا من لحم

الطون تقع على تنورتها.

هتفت: «يا إلهي! لقد اشتريت هذه التنورة الجديدة بمناسبة العام الجديد!»

هرعت إلى غرفة الحمّام وغمست منشفة في ماء حارٍّ وبدأت تضرب بقوّة على البقعة. ولسبب ما تذكّرت عندما هتفت: «اللعنة على كلّ شيء! اللعنة على كلّ شيء!» وهي تقود الدراجة. في الصورة التي تراءت لها كانت تقطر عرقاً، ومع ذلك نقيضاً لكلمات الأغنية التي غنتها، دار الدولابان بلا أيّ جهد وافترت شفتاها عن ابتسامة. سرعان ما تلاشت حدود البقعة وبهت لونها، لكنّ سايوكو استمرت في ضربها بنشاط لا لزوم له. سمعت شوجي وأمّه وأكاري يضحكون على شيء في غرفة الطعام.

لم تكن سايوكو واثقة من أنّها في المزاج المناسب، لكنّها قبلت دعوة السيدة موتوياما ولزمت تجمع القهوة لأمهات دار الروضة اللواتي تقابلن في مطعم عائلي قريب. وبينما هن جالسات على مقاعدهن في المقصورة التي يمنع فيها التدخين بجوار النافذة، هتفت السيدات بمطالبهن من القهوة أو الشاي. كانت سايوكو قد تعرّفت إلى تلك السيدات حديثاً، لذلك لم تتعرّف إلى الوجوه والأسماء كلّها.

كانت السيدة موتوياما هي التي عرّفتها إلى المجموعة. وكانت سايوكو قد تعرّفت إليها ذات يوم في المصعد عندما سألتها عن حال ابنها الصغير وعلمت أنّه في الروضة. ولما كان موعد سحب أكاري من مدرسة الحضانة يقترب بسرعة، انتهزت الفرصة في الحال لتطرح بعض الأسئلة حول روضة الصبي. وبعد ذلك بدأتا تتبادلان الأحاديث بانتظام، وسرعان ما اقترحت السيدة موتوياما أن تقابل باقي أمهات أطفال الروضة اللواتي يجتمعن في مطعم عائلي كلّ يوم في أثناء انتظارهن خروج أطفالهن من الدرس. كانت السيدات عندئذ يعرفن سايوكو حقّ المعرفة لكي يستوقفنها ويتحدّثن معها عندما تصادفهن في الحي

الذي يقع فيه مجمعها السكني.

في أثناء جلوسهن في مقاعدهن، بدأن يثرثرن بسرعة قصوى عن أساتذة أطفالهن والأحداث القادمة في المدرسة. كانت هناك مواضيع لم تستطع سايوكو أن تساهم فيها، لكنها فضّلت ذلك: كان من الأسهل الابتسام والإيماء بالرأس على محاولة المشاركة في المحادثة.

جاءت النادلة حاملة طلباتهن، وقطعت السيدات حديثهن في أثناء انتظارهن لها كي تفرغ من تقديم الشراب. وحالما ابتعدت، استأنفن الحديث من حيث قطعنه:

«أنا فعلاً أعتقد أنَّ الاختبار للانتساب إلى مدرسة خاصة هو السبيل الصحيح».

«أهذا ما تفعلين؟ أوه، صحيح. في ذلك اليوم قلت إنَّك تسجلين ابنك لحضور دروس امتحان الاستعداد في شهر نيسان القادم».

«أعتقد أنَّ المدرسة الحكومية ستكون جيدة».

«لست واثقة من ذلك. يقلقني أن أرى بعض الأطفال الذين تعرَّضوا لنظام مدرسة الحضانة».

«بلا مزاح. إذن العديد منهم بدوا كأنَّهم لم يتعلَّموا أيَّ قدر من حسن السلوك. إليك هذا الصبي في المجمَّع السكني الذي أقطن فيه الذي يحدِّق في وجهك بغضب ويصرخ: «اخرسي!» إذا حاولت أن تقولي أيَّ شيء له. يتجوَّل بمرح ويقول أشياء مثل «أحمق» و «روح موت»، شيء صاعق!».

«سيدة تامورا، ألا ترين أنَّ الكثير من أصدقاء ابنتك في مدرسة الحضانة سيئو السلوك؟».

مع تحوُّل اتِّجاه الحديث نحو سايوكو، اكتفت هي بالابتسام بغموض.

«سوف تحسنين عملاً بإخراج ابنتك من هناك في أسرع وقت ممكن.

إنَّ الصغيرة أكاري بنت لذيذة حقاً، ولكن الصغار في مثل سنّها يتأثّرون بسرعة».

«عندما أفكّر في ذلك الصبي الذي تحدَّثت عنه ويقول «أحمق» و «روح موت»، أنا واثقة من أنّه وأخاه يدرسان في مدرسة أكاري. يختلط مع الذين في عمر ثلاث سنوات. إنّه رن كوراتا».

أومأت سايوكو برأسها: «أوه، نعم، أنا أعرف رن» وتخيّلت في ذهنها والدة الصبي ذات الوجه المستدير، التي كانت تعمل لصالح شركة تأمين على الحياة».

«إنّه مصدر رعب هائل. وعلى الرغم من أنّه لم يتجاوز الثالثة من العمر، إلا أنّه صرع ابني أرضاً وجعله يبكي».

«هذه هي مشكلة أطفال مدارس الحضانة».

«الأمر مختلف بالنسبة إليك، يا سيدة تامورا، لأنّك تركت العمل، ولكن في الأساس، عندما ينشأ الأطفال في مدارس للحضانة، فهذا يعني أنَّ أمهاتهم يعملن خارج المنزل. إنَّ مثل هؤلاء الأطفال لا يتوافر لديهم ما يكفي من الوقت يقضونه مع أمهاتهم، وينتهي بهم الأمر إلى أن يصبحوا سيئي السلوك ومشاكسين. ويمكنك في الحال أن تتعرَّفي إلى الأطفال الذين ترعرعوا في مدرسة حضانة».

«وإياك أن تخبري أمهاتهم عن هذا، لأنّهن سيقطعن رأسك ببعض الحديث الرائع عن مساهمتهن في المجتمع. إنّهن لا يرين إلا أنفسهن».

«هذا مؤكّد. لقد قابلت هذه المرأة قبل أيام وكانت..».

تظاهرت سايوكو بأنّها مهتمة بإقحام تعبيرات عارضة مثل «أهاه» أو «أوه يا إلهي!» أو «أحقاً؟» لكنّ عينيها كانتا تنجرفان خارج النافذة. كانت هناك سحب مكفهرة، مثقلة، معلّقة في السماء. لقد أدركت منذ لقائها الأول مع

هذه السيدات أنَّ كلَّ واحدة منهن، بمن فيهن السيدة موتوياما، هي ربَّة منزل بدوام كامل، وبدا جلياً على الفور أنهنَّ لا يستهجنَّ الأمهات اللواتي يعملن خارج المنزل. ومع ذلك، نادراً ما رفضت سايوكو دعوة منهن للانضمام إليهن في اجتماعهن اليومي لشرب القهوة. ببساطة شديدة، رحَّبت بفرصة جمع أخبار عن الحياة في رياض الأطفال، بالإضافة إلى خبراتهن في الفحوصات الطبية الدورية.

شعرت بإحساس قديم ينتابها وهي تعطي أجوبة ملتبسة ردّا على ضربات الأم العاملة التي أصبحت هي السمة الغالبة على الحديث. لكنّها أدركت على الفور تقريباً أنَّه ليس مجرَّد انطباع بل ذكرى حقيقية. وعلى الرغم من السنين كلِّها التي مرَّت منذ ذلك الحين والآن، فإنَّ ما شاهدته هنا لم يكن يختلف عمّا كان قد جرى في المدرسة الثانوية، عندما دفعت بالمقاعد معاً مع زميلاتها لكي يتناولن طعام الغداء: مجموعة تتحد آنياً للتقليل من أهمية مصدر رعب لهنَّ. لكنَّ سايوكو كانت تعلم كم هو مدهش قصر حياة مثل ذلك الاتِّحاد. امنحي هذه النسوة بضعة أشهر، وإذا بجام سخطهم قد انصبَّ على المرأة التي أرسلت طفلها لحضور دروس امتحان القبول، هكذا فكَّرت بصورة عشوائية.

ما الجدوى المفترضة من تراكم السنين؟ هكذا تساءلت سايوكو بإبهام وهي تحدِّق من النافذة إلى أشجار الغينكو الجرداء التي تصطف على طول الطريق. سيكون من الأسهل عليها أن تدّعي أنَّها شديدة الانشغال وترفض دعوات حضور تلك التجمعات لشرب القهوة. وبما أنَّه ليس لها طفل ينتسب إلى روضتهن في كلِّ الأحوال، فقد يتوقَّفن قريباً عن طلب ذلك منها. وامرأة في مثل سنِّها لن تتأذّى كثيراً جرّاء ذلك. وخلافاً لظروف المدرسة الثانوية، لم يكن لديها وقت لتقلق حول أمور كهذه. لها عائلتها الخاصة لتعتني بها، وحياتها الخاصة لتعيشها، وهم لديهم ما يخصُّهم:

«هناك سيدة تقيم في العمارة نفسها تجلب معها العمل إلى المنزل. أعتقد أنّه شيء يدخل في مجال التصميم، لكنّني لا أعلم حقاً في الواقع. وهي لا تفكّر أبداً في إرسال ابنها لكي يلعب ويبقى بعيداً عنها إلى أن تذهب لإحضاره في الساعة السادسة أو السابعة مساء. وطبعاً، هي تعمل طوال الوقت. وتتحدّث عن الوقاحة!».

«هذه هي الوقاحة - تستغلك بوصفك جليسة أطفال بالمجان في حين تجمع هي الأموال. وبكلّ صفاقة».

«من المؤسف أنّها انتقلت إلى المبنى الذي تقيمين فيه».

«والصبي مرعب. يترك بقايا الكعك على أرضية غرفة التاتامي وفي أحد الأيام أحدث ثقباً في ستائرنا الشوجي».

«أوه يا إلهي. في الحقيقة، يجب أن تقولي شيئاً بخصوص هذا!».

«أعتقد أنّك تقابلين الشيء نفسه مع الأولاد في صف ابنتك، يا سيدة تامورا. هل تتركهن أمهاتهم أحياناً عندك لأنهنّ يعلمن أنّك تمكثين في المنزل؟».

أقحمت امرأة لا تصغر سايوكو كثيراً تجلس على الطرف المقابل من المائدة بصورة منحرفة ذقنها نحوها وهي تتكلّم. بدت أقرب شبها بتاكيشي كيهارا.

ألقت سايوكو نظرة سريعة على ساعة يد، وهتفت وهي تنهض على قدميها: «أوه، انظرن إلى الوقت! ستخرج ابنتي في أيّة دقيقة. آسف لأنّني سأخرج مسرعة، لكن يجب أن أذهب».

«يا إلهي. معك حق. يستحسن أن تستعجلي».

«أوه يا إلهي، كان ينبغي لنا أن ننتبه».

لحقت بسايوكو جوقة من الأصوات حالما بدأت بالتحرك، لكنّها سرعان ما استدارت بسرعة طريقها وعادت. قالت، وهي تضع نقوداً لأجلها على الطاولة: «آسفة، لكنّني نسيت أن أدفع. حسن، إلى اللقاء». ابتسمت وانطلقت

في طريقها من جديد.

بينما هي تهرع نحو مدرسة الحضانة، خطر في بالها احتمال تحوُّل موضوع النقاش من الأمَّهات العاملات في المنازل إلى والدة أكاري حالما غادرت، سرعان ما هزَّت كتفيها استخفافاً في الحال. لم تكن مهتمَّة أصلاً».

وقفت برهة في أثناء اجتيازها البوابة، وراحت تبحث عن ابنتها بين الأطفال في فناء المدرسة. كانت أكاري تبني بيتاً في صندوق الرَّمل مع رن، الولد الذي كان بطل الحديث الذي دار قبل بضع دقائق. مشت سايوكو نحو صندوق الرَّمل لكنَّها توقَّفت فجأة وراحت تراقب الاثنين يمارسان لعبتهما.

فيم كانت تستغل «سنواتها المتراكمة» مؤخَّرا؟ في الهرب بارتياح إلى عالمها الخاص حالما تملُّ الاختلاط بأناس آخرين؟ أم في التعلُّل بأنَّها ذاهبة إلى المصرف، أو لإحضار ابنتها، أو لتحضير وجبة العشاء، ومن ثمَّ تدفع الباب وتغلقه خلفها؟

أخذ الطفل المتَّهم بطرح ولد أكبر منه سنّاً أرضاً وجعله يبكي وعاء الرَّمل الذي كانت أكاري تقدِّمه إليه.

قال، محاولاً قدر استطاعته أن يتكلَّم كالبالغين: «آآآه، سوف نتناول السوشي هذه الليلة. هل لدينا بيرة؟».

أجابت أكاري: «كلا، يا عزيزي. ينبغي لك ألا تشرب البيرة».

انفجرت سايوكو ضاحكة.

صرخ رن: «جاءت أمُّك».

التفتت أكاري وفي الحال نهضت على قدميها واندفعت نحو سايوكو. نهض رن واقفاً وجاء خلفها راكضاً.

قال رن مستاء: «ستذهبين إلى المنزل منذ الآن؟».

سألت سايوكو: «متى ستأتي أمُّك إلى هنا، يا رن؟»

«لا أعلم».

قالت أكاري: «كنا نمثّل دور أسرة في منزل، ماما».

«أخشى أنَّ علينا أن نرحل، يا رن. تعال والعب معها أحياناً، اتّفقنا؟».

«لا أعلم».

«الوداع. أراك في الغد».

«الوداع» لوّحت أكاري بيدها، لكنَّ رن استدار وتجاهلها عمداً.

في أثناء سيرها نحو البوابة ويدها بيد أكاري، وجدت سايوكو نفسها تتذكّر شريط الفيديو الذي كانت آوي صوَّرته هنا. تراءى لها الصبي وهو يقع على وجهه، والصبي الآخر ينزل إلى جواره ليواسيه. وكانت آوي قد عملت غريزياً على تقريب اللقطة لكي تسجِّل المشهد كلَّه على الشريط.

فجأة اتّضح لسايوكو السبب الذي دفع بفتاتين مراهقتين إلى القفز يداً بيد عن سطح المجمَّع السكني ولم تر أيٌّ منهما الأخرى بعد ذلك. الأمر لا يعود ببساطة إلى أنهما هامتا على وجهيهما، أو أنّهما كانتا صغيرتي السن ويمكن نسيانهما بسرعة. لقد كانتا خائفتين. خائفتين من معرفتهما أنَّ الصديقة التي اشتركتا معها في الكثير من الأشياء موجودة الآن في مكان آخر. خائفتين من التواصل مع شخص تغيَّر بسبب المسار المختلف تماماً الذي اتّخذته منذ أن تركت المدرسة الثانوية ومجموعة التجارب المختلفة تماماً التي عايشتها. وخائفتين من أن تسألا: «أليس لكما أصدقاء جدد؟».

«وداعا!».

سمعتا رن يهتف خلفهما فالتفتتا لتشاهداه يضغط نفسه على الجهة الداخلية من السياج ويلوِّح لأكاري.

هتفت أكاري: «أراك في الغد».

قال رن: «نعم، أراك»، ولايزال يبدو عليه شيء من الغضب. واستدار

بسرعة في اتّجاه صندوق الرّمل.

استعادت سايوكو ذكرى أيام كان تعبير «وداعاً!» فيها يعني لها غداً لا يتغيّر. غداً سترى فيه صديقتها نفسها بذلك الزي نفسه من جديد. غداً تتمشيان فيه معاً في عالم اليوم نفسه، تمزحان فيه بالتعبيرات نفسها، وتتبادلان النظرات نفسها. تذكّرت اليوم الذي اتّكلت فيه على هذا التشابه.

هتفت أكاري بعد تراجع رن للمرة الأخيرة: «أراكِ غداً!».

عندما نظرت سايوكو نحو الأسفل إلى ابنتها، وجدت السؤال السابق يعبر ذهنها من جديد:

ما الجدوى المفترضة من تراكم السنين؟

بعد الصعود في المصعد القديم المزعزع إلى الطابق الخامس، وقفت سايوكو أمام الباب الذي علاه الصدأ وتنفّست عميقاً.

رفعت يدها نحو جهاز الاتّصال البيتي المثبّت عند مستوى عينيها. ارتعشت سبّابتها. هذا قد يعني أنّها استقبلت بصمت بارد، أو حتى طردت. لعلّها بمجيئها إلى هنا عرّضت نفسها للسخرية. فقبل أيِّ شيء، هي التي ابتعدت، متمتمة بما يمكن اعتباره لفظة فراق. لكنّها كانت قد اتّخذت قرارها. كان يجب أن تفعل، حتى وإن انتهى بها الأمر إلى جعل الباب يصفق في وجهها.

قبل بضعة أيام كانت سايوكو قد تلقّت اتصالاً هاتفياً من نوريكو ناكازاتو. وبأسلوبها الرشيق، البعيد من الهراء، الذي تتذكّره سايوكو جيداً، شرحت نوريكو أنّها تكوّن مكتباً لربّات المنازل المستعدات لتأمين الخدمات للمنازل عبر الوكالة. فهل ترغب سايوكو في تسجيل اسمها؟ ليست متيقّنة في الوقت الحالي مما ستقوله، وغيّرت سايوكو الموضوع بسؤالها كيف عرفت أنّها عادت ربّة بيت بدوام كامل؟.

«في الواقع، كما تعرفين، لقد سمعت عما حدث في بلاتينوم بلانت.

وصدقاً، لقد وجدت أنّ المكان إلى دمار. لكنّني فهمت، والفضل لك، أنّ الأمور بدأت تعود إلى طبيعتها. وفي الواقع لقد سئمت آوي الوضع، وحثّت نفسها على التخلّص من كلّ شيء. أنا كنت فعلت هذا، أيضاً. أعني، أذكر أنّني منذ اليوم الأوّل لتدريبي لك، أدركت على الفور أنّك لقية. لسن كثيرات اللواتي يأتين إليّ ويكرّسن أنفسهن كما تفعلين. بل إنّني فكّرت في محاولة أن أنصب لك شركاً»:

«أتقصدين أنّ الآنسة ناراهاشي طلبت منك أن تعطيني العمل؟ أهذا هو سبب اتّصالك؟».

«كلا، كلا، كلا. كل ما استطاعت أن تتحدّث فيه كان عن مدى شعورها بالأسف لأنها طلبت منك بخفّة أن تدعك من عمل التنظيف. قالت إنّها كانت شديدة التوق إلى الحول من دون غرق شركة بلاتينوم بلانت بعد أن غادرها الجميع، كما تعلمين. وطبعاً، من واجبها أن تشعر بالأسف. لقد تركتك تمرين بفترة التدريب كلّها ومن ثمّ، عندما بدأت العمل أخيراً، تركت كلّ شيء ينهار. على أيّة حال، قد تقولين إنّني اتصلت بك لكي أستغل وضعها. بما أنّني أعلم أنّه سيمر وقت طويل قبل أن تتمكّن حتى من التفكير في عمل التنظيف من جديد، رأيت أنّه يستحسن أن أتّصل بك ما دامت الفرصة متاحة لي».

أصغت سايوكو وأذنها مضغوطة بقوّة على سماعة الهاتف. تذكّرت أنّ آوي أخبرتها أنّها سوف توقّف عمل التنظيف، ووجهها شاحب بلا مساحيق وتحدّق إلى محتوى إبريق القهوة الذي في يدها. وتساءلت لماذا غضبت منها كثيراً لأنّها لم تكن تعلم بما تمرّ به - تتصادم مع زوجها، وتقاوم انعدام ثقتها في نفسها، وتهتف اللعنة على كلّ شيء! اللعنة على كلّ شيء! وهي تقود دراجتها.

سألت سايوكو نوريكو عمّا حدث في شركة بلاتينوم بلانت بعد أن خرجت

في ذلك اليوم.

بقيت آوي مع مستخدمة واحدة فقط، يوكي ياماغوتشي – وفي نهاية العام هي أيضاً تركت العمل، استعداداً لرحيلها إلى ما وراء البحار في شهر آذار. وتمّ استملاك أرض الشركة، لا تأجيرها، وباعت آوي العقار لكي تجمع ما يكفي من النقود من أجل فصل الجميع، ونقلت عملها إلى شقتها الخاصة في شيموكيتازاوا. وباتت الآن من هناك تدير وحدها عملية أقلّ شأناً بكثير.

تابعت نوريكو: «يتركك الناس دائماً. والمشكلة هي في استبدالهم بسرعة والعودة إلى الوضع الطبيعي. ولكن بدلاً من ذلك، تتوانى آوي، وتتخلّى عن المكتب وفريق العمل وتتقاعد بالمعنى الحرفي لكي تعيش وحدها بهدوء. على أيّة حال، ما رأيك؟ هل أضعك على اللائحة؟».

فكّرت سايوكو في شقّة آوي، التي كانت قد زارتها في تلك المرّة الوحيدة.

قالت: «أحتاج إلى فترة من الزمن للتفكير»، وأغلقت الهاتف.

الآن، تنفّست عميقاً مرّة أخرى، وضغطت زر جهاز الاتصال البيتي. سمع الرنين في الداخل من خلال الباب: دينغ–دونغ. لا جواب. وضغطت الزر من جديد.

«اللعنة، لابد أنّها في الخارج».

شعرت سايوكو بأنّ قواها تتسرّب من جسمها. ماذا تفعل الآن؟ إذا عادت ببساطة إلى المنزل، فإنّها تشك في أنّها ستعود من جديد. ففي أحد الأيام عليها أن تغسل غطاء السرير، وفي اليوم التالي سوف تطرّز اسم أكاري على المنشفة. قد تتمكّن من إيجاد عذر ما لتجنب المجيء يومياً، إلى أن قرّرت أخيراً أنّها لم تعد تأبه وطرحت الفكرة كلّها من ذهنها. ولكن هناك شيئاً واحداً تعرفه: إنّ تجوالها في أرجاء المنزل تحمل بإحدى يديها ممسحة لن يكشف عن وجود

قذارة سبق لها أن تغاضت عنها.

غمغمت، في طريق عودتها في الممر المعتم نحو المصعد لتضغط على زر النداء، «ربما ينتظر في الطابق السفلي».

أصغت إلى الصرير المزعج للمصعد وهو يرتفع إلى الطابق الخامس وفتحت الباب. وإذا بها أمام آوي.

هتفت سايوكو مندهشة: «أوه!».

هتفت آوي في الوقت نفسه، وتحدق بعينين جاحظتين: «يا إلهي!».

بينما هما متجمِّدتان في مكانهما، بدأ الباب ينزلق نحو الانغلاق بينهما. أسرعت سايوكو برفع ذراعها لتمنعه، بينما أقحمت آوي قدمها. وانفجرتا معاً بالضحك لوضعيَّة الأخرى الخرقاء.

قالت آوي، وهي تخطو خارج المصعد: «واو، لقد أجفلتني حقاً». كانت تحمل بيدها كيس البقالة من المتجر العمومي. بدا أنَّها فقدت الكثير من وزنها. صرَّ المصعد قليلاً من جديد من خلفها في أثناء شقِّ طريقه نحو الأسفل إلى الطابق الأول، ثمَّ صمت.

قالت سايوكو: «آسفة لأنَّني جئتك من دون سابق إنذار هكذا». كانت نوبة الضحك القصيرة قد أرخت برهة الأعصاب المشدودة، أما الآن فعادت تخنقها من جديد:

«أفضل شيء هو المجيء من دون سابق إنذار. ما الأمر؟ أنت لست هنا لتفاجئيني بطلب المال مقابل ترك العمل، أليس كذلك؟»، وانسابت آوي متجاوزة سايوكو، ومشت بخطى واسعة نحو باب شقتها الأمامي وادخلت المفتاح.

قالت سايوكو بصعوبة وهي تتبعها على الرواق: «لديّ طلب منك فعلاً». نظرت آوي إليها ويدها على مقبض الباب: «أودُّ أن أعمل معك. سأفعل أيَّ

شيء. أجيب على الهاتف، أدخل المعلومات إلى الحاسوب، أملأ المغلّفات، التنظيف – أيَّ شيء، حقاً. يرضيني أن أدرِّب المستخدمات. في الواقع، كلا، لم أعمل أيَّ شيء إلى أن أعرف طبيعة العمل».

قاطعتها آوي بصوت منخفض: «ربما عليك أن تهدئي قليلاً، أيّتها الرئيسة. فالكلام بصوت عال يدفع الجيران إلى التساؤل عما يجري». ولجت إلى الداخل وأومأت إلى سايوكو، التي دخلت خلفها من الباب».

«الفوضى رهيبة، ولكن تفضلي».

خلعت سايوكو حذاءها وتبعتها إلى الداخل. تسود الشقّة الخاصة التي أصبحت أيضاً غرفة مكتب فوضى عارمة إذ لم تتذكّر سايوكو كيف كانت عليه من قبل. فجدران غرفة الجلوس الرئيسة كانت مختفيّة تقريباً خلف أكوام مترنِّحة من علب الكرتون؛ وكانت الأرضية مغطاة بأكوام من الكتيبات، وصفحات التجارب الطباعية، والنسخ الفوتوغرافية، وبالمجلات المرفقة بملاحظات ملصقة، وأشياء أخرى مختلفة. حتى النوافذ التي تطلُّ على مشهد عام وأحبّتها آوي كثيراً سدَّت حتى ثلاثة أرباع المسافة نحو الأعلى بالعلب؛ والشريط الضيّق الباقي في الأعلى لم يكن يمنح إلا لمحة من سماء الشتاء الصافية.

في المطبخ بعد منطقة تناول الطعام، ثمّة ركام من أكواب الحساء الفارغة وحاويات وجبات الغداء تملأ حوض المغسلة، والذباب يئزُّ حائماً حتى في منتصف الشتاء. وكان قد أزيل الباب المنزلق المؤدي إلى غرفة التاتامي، وأزيلت طاولة آوي المستديرة المنخفضة عن المكتب القديم، وآلة الفاكس الضخمة والآلة الناسخة، والرف المزدحم بفوضوية بالمراجع لم يترك مساحة للمناورة حول السرير المزدوج. وكانت علب الكرتون تغطي على الأقلّ نصف مساحة النافذة هناك، أيضاً، تاركة الغرفة معتمة تماماً.

أسرعت آوي بإزاحة أكوام من الملابس والغسيل عن الصوفا إلى الأرضية

وأشارت إلى سايوكو: «اجلسي. لم أتناول طعام الغداء بعد، لذا عن إذنك»، مشت محدثة صوتاً مكتوماً على الأرض، وأخرجت شطيرة وكرات الأرز من كيس البقالة، وباشرت الأكل من دون أن تتبادلا أية كلمة.

اختلست سايوكو نظرات خاطفة إلى آوي وهي تمضغ، محاولة أن تقرأ انطباعها وتخمّن بما يمكن أن تفكّر فيه. لكنّ وجه آوي لم يزوّدها بأيّة معلومة. قالت في نفسها، يجب أن أقول شيئاً، يجب أن أوضّح موقفي. وراحت تبحث عن الكلمات المناسبة:

«أشعر بالذنب للطريقة التي تركت بها العمل. بعد كلّ ما فعلته من أجلي، وأيضاً في الوقت الذي وصلت إلى ذروة النجاح».

قالت في نفسها: *«كلا، إنّ هذا كلّه هراء؛ ليس أكثر من تعبيرات مبتذلة»*. نظرت إلى أكوام الملابس على الأرضية، ولمحت آوي وهي تزيل الورقة التي تغلّف كرة الأرز، ثم حدّقت عالياً إلى الشريط الضيّق من السماء الزرقاء المرئي من خلال النافذة.

أخيراً عاودت الكلام قائلة: «أتذكرين مركز الإعانة العائلية الذي ذكرت؟ الحقيقة هي أنّني لم أزعج نفسي بالتفكير فيه جدياً لأنّني طالما كرهت التعامل مع أناس لا أعرفهم. لكنّني ذهبت للتسجيل قبل أيام، فقدّموني على الفور إلى عائلة في حيّنا. هكذا ببساطة. لم أصدّق مدى سهولة ذلك. حقاً، لم أعد أستطيع أن أتصوّر الشيء الذي كان يمكن أن أخشاه إلى ذلك الحد، لقد كان أمراً بسيطاً جداً، عادياً جداً. لذا أنا الآن مستقرة. بل أستطيع أن أعمل حتى وقت متأخّر عند الحاجة إلى ذلك».

قطعت آوي مقدار لقمة من كرة الأرز وقذفت بها إلى تجويف فمها. جلست تحدّق إلى الأرض وهي تمضغ.

كانت سايوكو قد قرّرت أن تذهب إلى المركز وترى إن كان هناك من يعتني

بطفلتها في حيِّها حالما تنتهي من مكالمة نوريكو الهاتفية. فأشاروا عليها بزوج وزوجة في الخمسينيات، لهما ابنان بالغان قد انتقلا من المنزل. قالوا إنَّهما تسجَّلا حديثاً في المركز.

قالت المرأة بإشراق عندما تقابلوا ليتعارفوا: «يسعدني أن أعود إلى الاعتناء بطفلة».

قال الزوج ليضايقها وهو يضحك: «ستتخلَّصين من أعراض العشق الفارغ». وشرح قائلاً: «لقد كانت نفسيتها متعبة جداً بعد رحيل الولدين. كانت تقضي أياماً طويلة جالسة لا تبدي حراكاً على طاولة المطبخ».

«لعلَّ هذا ليس نوع الأعمال الذي ينبغي إسناده إلى شخص قابلته حالاً، لكنَّني شعرت بأنَّني حتماً خذلت أولادي بصورة ما. كنت واثقة من أنَّ هذا هو السبب لعدم مجيئهما. ثم سمع زوجي عن المركز وعن كيفيَّة عمله. لقد تردَّدت طويلاً. إذا اعتقدت أنَّني خذلت أولادي، فبأيِّ حق أتولَّى عناية ابن شخص آخر؟ لكنَّني غاية في السعادة لأنَّني قابلتك. أمنيتي الوحيدة هو أن تسجِّلي اسمك قريباً؟» ابتسمت برقة لأكاري: «كان يمكن أن أتعرَّف إلى شخص عزيز صغير مثلك قبل وقت طويل».

أضاف زوجها: «إنها تذكِّرني بأيكو عندما كانت صغيرة». كان جليّاً أنَّ أيكو هي اسم ابنتهما.

قالت الزوجة، وهي تلتفت إلى زوجها: «في الواقع، كنت أفكِّر: ما رأيك في دعوتهما لتناول العشاء في نهاية هذا الأسبوع؟ يمكننا أن ندعو أيكو وماساشي أيضاً. أراهن على أنَّهما سيحضران. ما رأيك في هذا، سيدة تامورا؟ إذا كان هذا الأسبوع لا يناسبك، يمكننا أن نجعله الأسبوع التالي. أو إذا كان هذا أيضاً غير مناسب، يمكننا أن نجعله حتى الشهر القادم. أوه، سوف نقضي وقتاً ممتعاً جداً!».

شعرت سايوكو، وهي تراقب هذه المرأة السعيدة وقد باشرت حالاً بالتخطيط للائحة طيباتها، كأنَّها عثرت أخيراً على الجواب. ما الجدوى المفترضة من تراكم السنين؟ إنَّه ليس الهرب إلى وجودك الخاص الصغير وإغلاق الباب وراءك، بل الخروج ومقابلة العالم. إنَّها من أجل السعي وراء عقد لقاءات جديدة، والسير قدما نحو أهدافك على قدميك أنت.

قالت آوي: «ألم تتصل بك نوريكو ناكازاتو؟ أنا متأكدة من أنَّك ستكونين في حال أفضل بعملك معها مما كنت معي».

قالت سايوكو مشدِّدة: «كلا، يجب أن أعمل لصالحك».

بقيت عينا آوي مثبَّتتين على الشطيرة التي في يدها.

تابعت سايوكو، وابتسامة واهنة ترتسم على شفتيها: «أنت تعلمين كيف حرَّمتنا السيدة ناكازاتو لبس القفازات المطاطية». كانت نبرة صوتها تكاد لا تعلو عن مستوى الهمس، وكأنَّها تكلِّم نفسها فقط: «سوف تبدئين بطبقة سميكة من الشحم إلى درجة أنَّها تتشبَّث بأداة الكشط، ولكن إذا واظبت على الكشط المستمر إلى أن يصاب ذهنك بالخدر فسوف ينهار تدريجياً، وأخيراً تأتي اللحظة التي تتمكَّن فيها أصابعك المجرَّدة من الانزلاق بنعومة على السطح من دون أن تواجهي أقلَّ مقاومة. ثم تنتقلين إلى الشحم المتيبِّس بأداة كشط وسائل منظِّف بيديك المجرَّدتين، وسيتلاشى دون أن يترك أيَّ أثر. ماعدا، اللهم، ذلك الطعم السيئ الذي بقي، منذ أن تركت العمل، وكأنَّني عدت من العمل من دون أن أتخلَّص من الشحم كلِّه. وأنا واثقة تماماً من أنَّ انضمامك إلى السيدة ناكازاتو في تنظيف المنازل من جديد لن يزيله».

عندما فشلت آوي في إعطاء إجابة، ازداد قلق سايوكو. لعلَّها تطلب أكثر مما ينبغي. أو لعلَّ آوي ببساطة لم تعد تحتاج إلى من يعمل عندها.

رفعت آوي نظرها. وبعد برهة تأمُّل، نظرت سايوكو نحو الأسفل وبدأت

تتفحّص أصابعها. لقد تشقّق جلدها وتقصّفت أظافرها، والفضل في ذلك لأعمال الكشط كلّها التي قامت بها في المنزل.

قالت آوي وهي تقحم آخر شطائرها في فمها: «طبعاً لن يزيله. إنّ نوريكو، خلافي، امرأة تعرف إبقاء الأشياء نظيفة وأنيقة». رفعت بصرها وثبّتت عينيها بحدّة على سايوكو: «إذن تقولين إنّك مستعدة للقيام بأيّ عمل أسنده إليك؟ تعتقدين أنّك مؤهّلة لجعل منطقة الكوارث هذه نظيفة وأنيقة في غضون يوم واحد فقط؟».

كادت آوي تنفجر قائلة «ليس هذا ما قصدت»، لكنّها عضّت على كلماتها ومنعتها من الخروج ونهضت واقفة على قدميها. لقد أدركت أنّ سايوكو فهمت بالضبط ما رمت إليه.

قالت، وهي تعاين الغرفة: «في يوم واحد فقط؟».

قالت آوي: «سوف نسميه اختبار استخدامك. ينتهي في غضون يوم وبعدها يتمّ تعيينك. قد نكون انحدرنا قليلاً، لكنّ هذه لاتزال شركة بلاتينوم بلانت، وأنا لاأزال الرئيسة فيها».

قالت سايوكو، وهي تنحني بعمق، «إنّ يوماً واحداً من أجل معالجة هذه الفوضى والقذارة كلّها مهمة عسيرة. لكنّني أقبل التحدي. سأبذل أقصى جهدي».

ردّت آوي على الانحناءة بمثلها. قالت بنبرة محاكاة رسميّة ساخرة: «سأقدّم لك الشكر الجزيل».

أطلقت سايوكو ضحكة شبه مكبوتة، وانفجرت آوي بالضحك:

«قبل أيّ شيء يجب أن نصلح هذه النافذة. إنّنا في حاجة إلى إدخال بعض الضوء إلى هنا – المكان معتم أكثر مما ينبغي. استمري أنت في عملك. وعند اللزوم سوف أسأل عن رمي بعض الأشياء أو الكيفيّة التي تريدين فيها أن نعالج الأمر».

انتقلت سايوكو إلى النافذة الكبيرة وباشرت بإنزال الصناديق إلى الأرض، وهي تلقي نظرة سريعة إلى داخل كلٍّ واحد في أثناء ذلك. توجَّهت آوي إلى غرفة التاتامي، وهناك جلست على الأرض أمام طاولة صغيرة ومستديرة وشغَّلت حاسوبها المحمول. تكَّت آلة الفاكس وهدرت عندما تلقَّت آلياً اتصالاً وافداً وبدأت تطبع.

كان أحد الصناديق يحتوي أكداساً من الملفات ومجلات تضمُّ إعلانات عن شركة بلاتينوم بلانت، بالإضافة إلى علب وجبات خفيفة وأقراص حاسوب. وآخر ضمَّ دلائل سفر وخرائط وجداول مواعيد السفر إلى بلدان شتّى، وأيضاً خليطاً من أدوات مكتب كمقاصّ[1] وصمغ. رفعت سايوكو كمَّيها وركَّزت أولاً على إخراج ما تحتويه الصناديق كلّه وتضعه على الأرض. وسرعان ما اختفت المساحة القليلة المتاحة المتبقية، وعندما التفتت لتنظر، وجدت أنَّ أكواماً من المجلات والصناديق تملأ الغرفة برمَّتها. كان مشهداً مروِّعاً.

اهدئي. يمكنك أن تفعلي هذا. فقط اخطي خطوة خطوة، هذا ما قالت لنفسها وباشرت بتسطيح الصناديق التي أفرغتها. الصندوق التالي الذي فتحته احتوى عدداً كبيراً من الكتب وكتلة من الكابلات الكبيرة والصغيرة. رتَّبت الكتب على شكل أكداس، ثم أخذت تفكُّ الكابلات المتشابكة. بدأ أحد الأكداس عند قدميها يتداعى. وبحركة صغيرة نجحت في دفع الكتب المتمايلة نحو ذراعيها قبل أن تقع جميعها، لكنَّ أحد كتب الجيب ذات الغلاف الورقي سقط على الأرض. عندما مدت يدها لتلتقطه، طارت ورقة مصفرَّة من بين صفحاته واستقرت على الكابلات المتشابكة. فنظرت غريزياً لترى ما هي.

كانت الرسالة؛ قطعة صغيرة من الورق ممتلئة عن آخرها بكتابة بالحبر الأزرق. مدت سايوكو يدها لتتناول الرسالة، ولاتزال تحضن الكتب التي

---

(1) مقاصّ: جمع مقصّ.

أنقذت بإحدى ذراعيها. كانت تعلم أنّه ليس من المفترض أن تنظر إلى أيّ شيء كهذا في أثناء قيامها بعمل التنظيف؛ كانت إحدى القواعد الأساسية التي وضعتها نوريكو ناكازاتو في يومها الأوّل من التدرُّب: حتى وإن عثرت على دفتر حساب مصرفي على الأرض، فينبغي ألا تلقي نظرة إلى محتواه بأيّة حال من الأحوال.

لكنَّ سايوكو وجدت نفسها عاجزة عن المقاومة لأنَّ خط الكتابة التي ألقت نظرة عليه كاد يكون خط يدها. الأحرف المفرطة الاستدارة، التي تبدو أجنبية، ذكَّرتها كثيراً بالطريقة التي كانت تكتب بها وهي في المدرسة الثانوية.

بدأت الرسالة بـ «*مرحباً أوكينز*». وعلى الفور خمّنت سايوكو أنّها رسالة موجّهة من زميلة مدرسة مجهولة إلى آوي. ولم يعد في إمكانها أن تزيح عينيها عن الصفحة، وراحت تقرأ بسرعة بقية الرسالة.

مرحباً أوكينز. لقد تكلّمنا عبر الهاتف توا، ولكن ها أنا أبدأ بكتابة رسالة. ماذا لديك على العشاء هذه الليلة؟ لم يكن هناك أحد في منزلنا، ولم أزعج نفسي بإعداد أيّ شيء لذلك اكتفيت بتناول بعض الكعك. من نوع كاولاز مارش. إنّني أتناوله في هذه اللحظة.

في درس تاريخ العالم هذا اليوم، ترك ماتسوبارا تلاميذ الصف يخرجون بشكل مذهل عن صلب الموضوع. هل كنت تعلمين أنّه سافر إلى أنحاء العالم كافة؟ من كان يظنُّ هذا؟ لذلك سأله ريسوكو عن أجمل مكان زاره، وخمّني ما قال؟ إنّه مكان يدعى ماتشو بيتشو[1]. ليست لديّ أيّة فكرة عن موقعه، هل تعرفين أنت؟ من المفترض أنّه أشبه بمدينة أشباح عالية جداً حتى تناطح السماء. أتكون مثل لابوتا[2]، ربّما؟ لا أعلم.

على أيّة حال، هذا ما جعله ينفتح، وبعد ذلك بقي يتكلّم بلا توقُّف حول أسفاره.

(1) ماتشو بيتشو: مدينة مدمَّرة من حضارة الإنكا. تقع في جنوب وسط البيرو. – المترجم

(2) لابوتا: جزيرة خرافية أو صخرة عائمة عالياً في الجو. ورد ذكرها في رواية جوناثان سويفت «رحلات غاليفر». – المترجم

وفكرت وأنا أصغي إليه، ما رأيك في أن نذهب معاً في رحلة طويلة ذات يوم، أنت وأنا؟ إلى فرنسا، ربما، أو أستراليا، أو ما شابه من الأماكن. لا يهمّني في الواقع إلى أين، أنا فقط أريد أن أرحل. أتساءل ما هو أجمل الأماكن. سوف نستمتع باكتشاف ذلك.

إذا فعلنا، هل تعتقدين أنّنا سنشتاق إلى هذه القذارة المملّة؟ كأن نكون جالستين في باري[1] المرحة وفجأة نقول، يا إلهي، أتمنى لو أرى الآن العزيزة ماتاراسه؟ أعلم أنّ هذا يبدو شيئاً غريباً، ولكنّه مجرد كلام، أعتقد أنّه شيء مفرح أن تفكّري هكذا - كأنّك ترغبين في العودة إلى هذا المكان.

أراك في مكاننا المعتاد على ضفة النهر. سأحضر معي كتاب «قبضة نجم الشمال» والعدد الأخير من «أوليف». ما رأيك في أن نتوقّف عند مخزن تموين المكتب بالقرب من المحطة لكي ننظر إلى الكرة الأرضية ونحن في طريقنا إلى المنزل؟ قد نعثر على موقع مانشو بيتشو. إلا إذا كنت لا ترغبين في ذلك.

فجأة أشعر برغبة قويّة في أكل الطون وفطائر الجبن. أعتقد أنّني لاأزال جائعة. ربما سأذهب لأعدّ شيئاً.

آسفة لأنّني أثرثر وأثرثر بخصوص حفنة من الأشياء التافهة. لم لم أنتظر حتى الغد؟ يا لي من حمقاء.

على أيّة حال، أراك عند النهر. إلى اللقاء!

ناناكو

رفعت سايوكو رأسها عن الرسالة.

مثل أمام عينيها مشهد من مكان لم تذهب إليه قط بحيويّة وكأنّه ذكرى حقيقية.

ثمّة طريق تجري بمحاذاة نهر، تنمو على جانبيها أعشاب الصيف طويلة وكثيفة. وفتاتان مراهقتان تسيران على الضفة البعيدة، تتماوج أطراف ثوبيهما

(1) باري: لفظتها كما يلفظ الفرنسيون كلمة باريس. - المترجم

في وجه النسيم، والشعر يتلألأ تحت أشعة الشمس، وثمَّة شيء مضحك يجعلهما تنطويان على نفسيهما من فرط الضحك. وفجأة تنظران عبر المياه فتشاهدان سايوكو المراهقة على الضفة المقابلة. ترفعان أذرعهما في الهواء عالياً وتلوِّحان، وتصرخان بأعلى صوتيهما. تلوِّح بدورها بذراعيها، ويزداد صراخهما. ماذا!!!؟ لا أسمعكما! وتشرعان بالقفز تباعاً وتشيران إلى طول النهر في الاتِّجاه الذي تسيران فيه. تنظر إلى الجهة التي تشيران إليها فترى جسراً عبر النهر. تومئان لها كي تسرع لتدرك الجسر. فترفع أطراف ثوبها وتسرع باتجاه النهر، أيضاً، وكأنَّها تلاحق الفتاتين على الضفة المقابلة. كان التيار يتدفَّق بهدوء بينهما، عاكساً صفحة السماء العالية.

أجفلت سايوكو لدى سماع رنين الهاتف وعادت إلى أرض الواقع. أسرعت بإعادة الرسالة بين صفحات الكتاب.

«أوه، مرحباً! يسعدني سماع صوتك... لا أفعل ماذا؟... أوه، حسن، تعنين هذا. كلا، كلا، أنا لم أقل قط إنَّني لن أفعل. لست بلهاء، كما تعلمين. في الواقع، أريد أن أخبرك أنَّني أفكر في العودة. إنَّ شركة بلاتينوم بلانت الجديدة مستعدة للإقلاع، لذلك أرجوك دعي الطلبات تتوافد بكثرة وبسرعة... نعم، وقد ظهرت على بابي إحدى صاحبات المواهب الفذَّة، أيضاً، لذلك..».

بعد أن رمت سايوكو صندوقاً آخر على الأرض، ألقت نظرة عبر الغرفة نحو آوي. تقابلت عيونهما. وابتسمت آوي ابتسامة عريضة مشرقة لسايوكو، وبسرعة عادت شفتاها إلى وضعهما الحيادي وأنزلت بصرها إلى الحاسوب:

«أهاه، حاضر... حسن، إذن، يجب أن نتقابل لكي نناقش التفاصيل. اليوم مناسب بالنسبة إليَّ... أوه، حسن، غداً إذن... تمزحين. أحقاً؟ هذا مضحك حقاً».

انفجرت آوي ضاحكة من أعماق قلبها.

رفعت سايوكو بصرها بعد أن سطّحت صندوقاً آخر فرأت أنَّ نافذة غرفة الجلوس الكبيرة قد انجلت تقريباً الآن. خارجها، امتدَّ بحر المنازل في المدى، تقطعه هنا وهناك الحدود الخارجية الحادَّة للأبنية الشاهخة التي تخترق السماء الزرقاء الصافية. وبرز شارع ضيّق يتلوي برقّة بين المنازل كنهر ظهر أمام عينيها ومن ثمَّ تلاشى في لحظة. كانت هناك ثلاث فتيات مراهقات يثبن على الأسطح، وضحكهن يتردَّد صداه عبر السماء وهنَّ يتسابقن داخل المدى.

أعادت آوي سماعة الهاتف إلى مكانها والتفتت بسرعة نحو لوحة مفاتيحها. قالت من دون أن ترفع نظرها: «دعينا نشرب البيرة عند الساعة الثالثة، احتفالاً بعودتك إلى العمل».

قالت سايوكو مازحة وهي تواصل التصنيف: «معك حق، سأحتاج إلى شيء ساخن جداً وغنيٍّ بالتوابل يتماشى معها! لا شيء أقلّ من شراب قويٍّ يؤثّر فيَّ هذا اليوم. إنَّ هذه الفوضى تتغلَّب حتماً على غيرها».

انتشرت حزمة أشعة الشمس المتدفّقة من خلال النافذة عبر الأرضية التي تنتشر فيها الفوضى وحتى عتبة غرفة التاتامي المعتمة. تدحرجت قطرة من العرق على جانب وجه سايوكو بدءاً بصدغها وانتهاء بذقنها ثم سقطت على الأرض.

– انتهى –

امرأة على الضفة المقابلة

رواية آسرة، نالت استحسانا واسعا بسبب تصويرها الدقيق والمرهف للحياة اليومية للمرأة اليابانية وصراعها. تتحدث «امرأة على الضفة المقابلة» عن سايوكو، ربة منزل في الخامسة والثلاثين ولها طفلة في الثالثة من العمر. زوجها شخص غامض، وغير مبال، وحماتها دائمة الشكوى والتذمّر من سايوكو وسلوكها مع ابنتها وزوجها. تتساءل سايوكو دائماً إلى متى سيستمر هذا الحال؟ وعندما تقرر أخيراً أن تحدث تغييراً في حياتها تقابل معارضة زوجها وحماتها. لكنها تصرّ على شق طريقها الصعب وحدها. تعمل عاملة تنظيف للبيوت تابعة لشركة صغيرة تديرها آوي. آوي أيضاً في الخامسة والثلاثين، شخصية مستقلة، بلا عائلة ولا أولاد. للوهلة الأولى تبدو المرأتان مختلفتين وليس بينهما أي قاسم مشترك. ولكن مع تقدم أحداث الرواية شيئاً فشيئاً، يتضح لنا أنّ هناك الكثير من جوانب التشابه بينهما.

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة






9 789948 019824